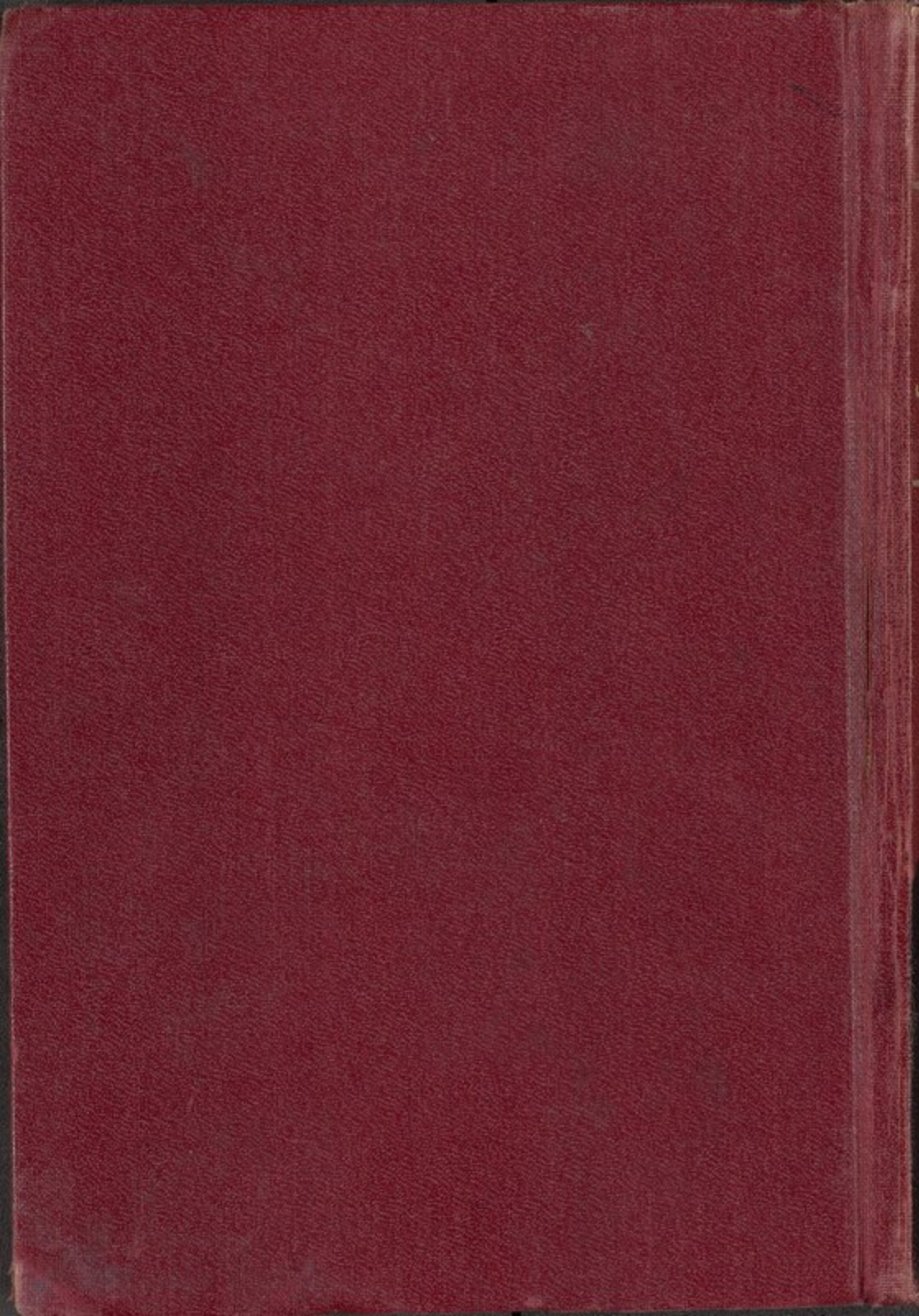




الجلد
صالح القر
بموت - الزوجة

813:H57tAj

• هيرسي، جون •

• تحية الاجراس •

813
H57tAj

~~MAR 3 '55~~

~~AP 20~~

~~MAY 12~~

~~JUN 30~~

~~JUL 10~~

~~AUG 10~~

~~SEP 10 '57~~

~~OCT 9 '58~~

~~NOV 12 '58~~

~~DEC 15 '59~~

~~5 MAY 1969~~

~~25 Oct 67~~

~~AUG 14 '61~~

~~SEP 9 '61~~

~~FEB 24 '61~~

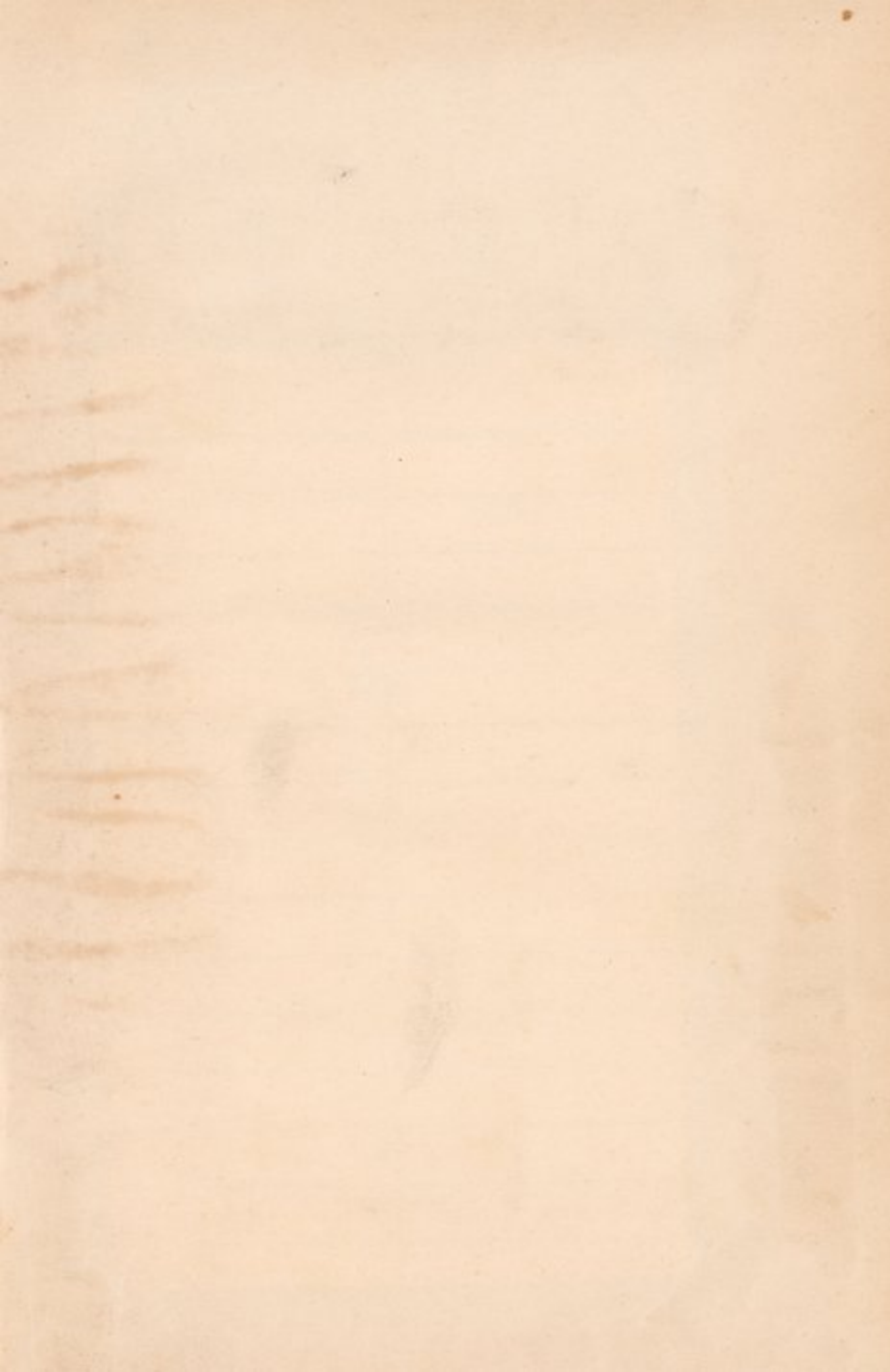
~~MAR 9 '61~~

JAFET LIB:

~~1 FEB 1979~~

~~JUN 1981~~

~~1-Dec-86~~



تَحْفِيزُ الْعَمَلِ فِي

تَأْلِيفِ

جَمُوعِ تَحْفِيزِ

نَقْلَهَا إِلَى الْعَرَبِيَّةِ

حَسَنَ الْحَبِيبِ دَوْدِ الْحَامِي

نشر بالاشتراك مع مؤسسة
فرانكلين للطباعة والنشر
بالقاهرة ونيويورك

هذه الترجمة مرخص بها
وقد قامت مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر
بشراء حق الترجمة من صاحب هذا الحق
وتنازلت عنه لدار أخبار اليوم

This is a translation of « ABell for Adano » by John Hersey,
published by Alfred A-Knoff, In. Copyright, 1944 by
John Hersey.

الفصل الاول

وصل الغزو الى مدينة «أدانو» .

وجرى أونباشى امريكى بحذرفى « شارع فافيمى » القذر .
وعندما وصل الى زاوية الشارع ، ألقى بنفسه على الارض ، ورتب
سلاحه الخفيف ، ثم التفت الى زملائه وأشار لهم بالتقدم .

وفى « شارع كالا بريا » ، فى جزء آخر من المدينة ، زحف ثلاثة
آخرون كما تزحف القطط . فقد حدث انفجار ، لعله من قنبلة
هاوون ، على مسافة نحو الشمال لا تعدو حدود المدينة ، مما حملهم
على الانبطاح على الارض فى انتظار ما قد يحدث .

واخذت فصيلة بأكملها تنتقل من قبر لقبر فى مداخل
« الكابوسين » عند التل المشرف على المدينة . وكان أفراد الفصيلة
جميعا خائفين ، فقد انقطع الاتصال بينهم وبين وحدتهم ، وكانوا
يجهلون سير المعركة ، وقد اقتربوا من هدفهم - وهو الصخرة القريبة
منهم - ولكنهم رغبوا فى أن يعرفوا ما هو حادث فى المدينة
قبل أن يتقدموا .

وكان الامريكى فى جميع أنحاء مدينة « أدانو » على هذا الحال .
ثم تكن تصادفهم مقاومة ، ولكنه كان اليوم الاول للغزو ، فكانت
أعصابهم متوترة .

ولكن ضابطا برتبة ميجر ، يتأبط محفظته ، نزل فى الميناء
الى أحد الارصفة المعدة لشحن الكبريت ، وقد بدا عليه الهدوء
التام ، والتفت الميجر الى الجاويش الذى نزل خلفه وقال : « بورث ،
إننى أحس كما لو كنت عائدا الى أرض الوطن . لطالما رأيت هذه
الرؤيا فى منامى » . ثم انحنى على الرصيف ولمس أرضه براحة

يده ، وأزال التراب بعد ذلك بمسح يده على سراويله (بنطلونه) .
كان هذا الرجل هو الميجر « فيكتور جوبولو » الضابط الأول
للشئون المدنية في مدينة « أدانو » ويمثل حكومة الحلفاء العسكرية .
وكان رجلا متوسط الطول ، في بشرته سمرة موروثه عن والديه
الايطاليين من قرب فلورنسا ، وجهه مستدير ذو شارب ،
وطلعته بهيجة ، ولكن نظراته حادة تدل على الجِد . وكان يبلغ من
العمر نحو خمس وثلاثين سنة .

أما الجاويش الذي كان يتبعه فهو « ليونارد بورث » ، بوليس
حربي ، مكلف بأمور الأمن في أدانو ، ومطلوب منه أن يساعد
في التخلص من أشرار الايطاليين والاستعانة بخيارهم . وقد تطوع
« بورث » ليكون أول من يدخل المدينة مع الميجر ، فقد كان « بورث »
شجاعا لا يأبه لشيء ، وهو من أصل هنغاري ، عاش في أماكن
متعددة : في « بودابست » حيث بدأ يستعد لدراسة الطب ، وفي
« روما » حيث كان مراسلا للجريدة « بوسترلويد » ، وفي
« فيينا » حيث عمل في مكتب سياحة ، « وفي « مارسيليا »
حيث كان سكرتيرا لأحد كبار المصدين ، وفي « بوستون »
حيث كان مخبرا للجريدة « الهيرالد » ، وفي « سان فرانسيسكو » حيث
اشتغل ببيع الراديوهات ، ومع ذلك فلم يكن قد بلغ الثلاثين !
وهو أمريكي التحق بالجيش متطوعا ، وكانت الحرب في نظره نكتة
تدعو للسخرية ، وأعتبر أن مهمته في الحرب أن يحمل الناس على أن
يأخذوا الأمور في كثير من الهوادة !!

فلما لمس الميجر الأرض الايطالية ، قال له « بورث » : انك عاطفي
أكثر مما يجب !

وقال الميجر : قد يكون ذلك ، ولكنك سوف تحس بنفس
الاحساس اذا ذهبت الى هنجاريا .

— أنا ؟ أبدا !

ونظر الميجر نحو المدينة وقال : أتظن اننا نستطيع الذهاب الآن ؟

وقال « بورث » : ولم لا ؟

— اذن كيف نذهب ؟

وبسط « بورث » خريطة للمدينة وقال مشيراً بأصبعه : من هنا فى شارع بارينو حتى شارع ٢٨ اكتوبر ، والسراى فى آخر شارع ٢٨ اكتوبر ٠٠٠

وقال الميجر : ٢٨ اكتوبر ؟ ما هذا الاسم ؟

- انه تاريخ زحف موسولينى على روما عام ١٩٢٢ ! انه التاريخ الذى ظن موسولينى انه أصبح فيه شيئاً مذكوراً ! ٠٠٠
لقد كانت « لبورث » ذاكرة قوية !

وأخذوا فى المسير ، وقال الميجر : لقد نسيت التاريخ ! فى أى يوم من الشهر نحن ؟

- ١٠ يوليو ٠

- اذن سنسميه شارع ١٠ يوليو ٠

وقال بورث : أراك بدأت تغير أسماء الشوارع ، وسوف تشرع فى اقامة التماثيل يا ميجر جوبولو ! ٠٠٠ التمثال الاول للجندي المجهول ، والثانى لك ! اننى لائق فى الرجال العاطفين ذوى الضمائر المتخرجة !

وقال الميجر فى حدة ، كما لو كان تلميذاً عانده بعض زملائه فى المدرسة : كفى سخرية ! ٠٠٠ ولم تحل رتبته العسكرية دون أن يظهر فى صوته ما يدل على أن السخرية قد جرحته ، فقد أحمر وجهه ٠٠٠

وسار الرجلان فى « شارع بارينو » ، ولم يلتقيا فى طريقهما بأحد ، فقد فر الرجال الى التلال المجاورة ، أو اختبأوا فى المخابىء وأقبية المنازل ٠ وكانت البيوت فى هذا الشارع تنطق بفقر أصحابها ، فهى بيوت باهتة الحيطان والفتحات ، يعلوها التراب الذى تراكم من غفر القنابل ٠ وبين الحين والحين تجد بيتاً أصابته قنبلة فتدحرجت أحجاره فى أرض الشارع ٠

وفى التقاطع الثالث لطريق ٢٨ اكتوبر ، وجد الرجلان نفسيهما أمام جثة امرأة ايطالية مقتولة ، متشحة بالسواد ، وقد أطارط قنبلة ساقها اليمنى ، وفضل الذباب - لأمراً ما - بركة الدم والتراب التى تكونت بجوارها على جذعها ٠

وقال الميجر : يا للفضاعة ! ان الدم لم يجف بعد ، ومع ذلك فقد بدأت رائحة كريهة تنتشر ! ان من المؤسف حقاً ان نضطر لارتكاب هذا في اصدقائنا !

وقال بورث : اصدقائنا ؟ انها نكتة !

وقال الميجر : لم يكن هؤلاء ولا أمثالهم أعداءنا • ان جدتي لأمي كانت مثل هذه المرأة • لم يكن خصومنا هؤلاء الفقراء المساكين ، بل عصابة اللصوص المقيمين في سراي المدينة حيث نحن ذاهبون !

وقال بورث وفي نبرات صوته ما يدل على أنه يريد مكيدة الميجر : رويدا ! فسوف يكون مكتبك في سراي المدينة ، فقد تصبح أنت الآخر أحد اللصوص !

وقال الميجر في حدة : كفى !

وقال بورث : اننى لا أطمئن الى ضميرك ، ولذلك عينت نفسي مساعد ضمير لك !

وكرر الميجر قوله : كفى ! • • • واحمر وجهه من الغيظ •

ومرا على بيت هدمته احدى قنابل الاسطول • وقال الميجر : انظر لهذه الفضاعة ! •

وقال بورث : لعله كان منزل أحد اللصوص • اذكيف تستطيع أن تعرف الفرق ؟ دع هذا المنزل وانظر لهذا - وأشار الى مرفيه روث خيل وماعز وتبن وقش وبذور وبقايا فراخ ، قد انتشر عليها الذباب •

واضاف بورث : هنا لا محل للمسئولية أو عدمها ياسيدى الميجر ! انما المطلوب هو ازالة هذه القاذورات • ان أمامك عملا فى هذا الممر لا فى ذلك المنزل !

- اننى أعرف شغلى ، وأعرف ما أريد ان أعمل : وأعرف الفقر يا بورث !

وسكت بورث • لقد وجد أن الميجر « جوبولو » يأخذ الامور على وجه جدى لا سبيل فيه الى المزاح •

ووصلا الى ميدان المدينة المسمى « ميدان التقدم » • وفى ذلك الميدان رأيا السراى التى كانا يبحثان عنها •

لقد كان بناء تبدوعليه مخايل السلطان . لم يكن بناء من تلك
الابنية المؤقتة التي أقامها الفاشيون في جميع المدن الإيطالية
والتي بلغ من جدة تصميمها أنها أصبحت كالأثرات لا يكاد يتم
بناؤها حتى يبطل استعمالها . لقد كان بناء قديما من الصخر .
وفي الدور الثاني منه شرفة قديمة القيت منها خطب كثيرة .
لقد خدم هذا البناء الملوك قبل الفاشيين ، وهو الآن على وشك
أن يخدم الديمقراطية بعدهم . وخشية ألا تتبين مظاهر السلطان
في ذلك البناء ، كتبوا عليه بحروف بارزة من البرونز في منتصف
الواجهة : « سراى المدينة » .

وقام في الزاوية الامامية اليسرى للبناء برج لساعة . وفي
أعلى البرج اطار من المعدن لا بد أنه قد أعد لحمل جرس . وكان شكله
نابيا بدا عليه القدم ولكن لم يكن به جرس .

وبجانب برج الساعة كتب بأحرف كبيرة بيضاء بالاطالية :
« لقد أقام الشعب الايطالى الامبراطورية بدماثة ، وسيجعلها ثمرة
بعمله ، ويدافع عنها ضد من يكيد لها بأسلحته » !!

وأشار الميجر الى ما هو مكتوب وقال : حتى بعد الغزو يقولون :
« لقد أقام ... »

وقال بورث : أعرف أنك تقرأ الايطالية . وأنا كذلك . فلا
ترجم لبورث !

وقال الميجر : أعرف ذلك ، ولكن فكر فى سنخية هذا القول
اليوم !

وقال بورث : لاشك أنه يبدو سخيفا !

وقال الميجر : لو أنهم وجدوا أية ثمرة لعملهم لدافعوا
بأسلحتهم . أراهن أننا نستطيع أن نعلمهم الرغبة فى الدفاع عما
يملكون . انى أريد أن أعمل كثيرا هنا يا بورث !

وقال بورث : وهذا أيضا كلام نظرى . تذكر الممر . نظف
الممر ياسيدى ! انه الممر الذى يجب أن تركز أفكارك عليه .

واخترق الميجر الميدان حتى وصل الى الباب الاسود الكبير
للسراى ، ووضع محفظته على الارض ، وأخرج قطعة طباشير
من جيبه ، ثم كتب على اطار الباب : « فيكتور جوبولو » .

ميجر • الولايات المتحدة • حكومة الحلفاء العسكرية • مدينة
أدانو ، (1910)

ودخل الرجلان الى البناء ، وصعدا سلما من الممر ، وهما
ينظران حولهما أثناء الصعود • ثم انحرفا ومرا من باب مكتوب
عليه : « العمدة » • وما كاد بصرجوبولو يقع على الغرفة التي
ولجأها حتى كاد يغمى عليه من الدهشة ! لقد كان : الغرفة
واسعة جدا لاتقل عن سبعين قدما طولا وثلاثين عرضا ، وكان
سقفها عاليا وأرضيتها من الرخام ••

وكانت هذه الغرفة بعد مظاهر الفقر الصارخة في الشوارع
تبدو ذات ثراء وقح : الاثاث من طراز ايطالى ، ثقيل أسود ، تبرؤ
منه رسومات هي خليط من المخلوقات والفواكه ، والستائر
من حرير مشجر ثمين ، وكسيت الحوائط بالحرير أيضا !

وكان الباب الذى دخلا منه قريبا من الركن الجنوبي الغربى
للغرفة • وعلى يمينه طاولة كبيرة عليها خرط وصور جوية تركتها
فرقة أمريكية استعملت الغرفة فى الصباح كمقر للقيادة •
وكان فى ركن من الغرفة مجموعه من مكائس ايطالية ، وفى وسط
الحائط الجنوبي باب أبيض مزدوج ، وعلى الجانبين أريكتان
كبيرتان مكسوتان بجلد أسود ، وفى الجهة المقابلة المظلة على
الشارع بابان كبيران يوصلان الى شرفة الخطابة •

وقد ازدحمت بجوار الحائط ، بغير ترتيب ، طاولة ثقيلة ،
وكراسى مختلفة الاحجام على هيئة عرش ، وكنبة أخرى • وفى نهاية
الزاوية شمال « قديسة » من الحجر الابيض • ومع أن القديسة
قد لفت عنقها فى حياء بكوفية من الرخاء ، فقد أحيط عنقها بسلك
من تلفون اشارات الجيش الأمريكى ، فى طريقه من أحد
بابى الشرفة الى المكتب ، حيث كانت قد وضعت آلة تلفون
ميدان • وكانت تقوم الى يسار الباب مكتبة ضخمة ، واجهتها
من الزجاج ، وخلفها حوض لغسيل اليدين من الخزف ،
وبجواره أبريق ماء ، وبعد ذلك بيانو ذو نقوش يمجهما الذوق •
والى اليمين فوق الكنبتين صورتان كبيرتان للامبراطور ايطاليا
« فيكتور عمانويل » وملكتها ، ينظر كل منهما للآخر فى تعاسة
وحنو • وعلى الحائط الخارجى صورة لولى العهد « امبرتو »

تقسم لكل ما هو حادث في الغرفة ، وفوق « قديسة التلفون »
صورة الاميرة البلجيكية « ماري جوزيه » زوجة امبرتو ، في
لباس ممرضة من الصليب الاحمر . وفوق المكتبة مربع خلا من
التراب ، مما يدل على أن صورة كانت معلقة ونزعت .

ربدا كل ما في الغرفة من اثاث ثقيل وصور ، كما لو كانت
وضعت في أمكنتها لتدفع العين الى الناحية الاخرى من الغرفة
نحو أكبر صورة به ، هي صورة زيتية خيالية تمثل مجموعة أشخاص
تشير الى بعيد ، وبخاصة الى المكتب .

وكان مقاس كر ما في الغرفة كبيرا ، حتى أن ضخامة المكتب
بدت طبيعية . وعلى جانبي المكتب نقوش محفورة في الخشب
للمناظر ، وقد كتب عليها : « السنة الخامسة عشرة للفاشية » ، أي
سنة ١٩٣٧ ، وهي فيما يبدو السنة التي صنع فيها المكتب .
وكان تحت المكتب كرسي لوضع القدم عليه .

رنال الميجر جوبولو : اظن هنا اسبا جدا !

رنال بورث : انه يشبه مكتب موسوليني . والآن وأنا
أفكر في الامر ، أراك تشبه الى حد كبير موسوليني ياسيدى ،
فيما ا الشارب ! فهل يرضيك أن تترن موسوليني ؟

وقال الميجر : ضحك هذا السخيف ، وتعال فكتشف
ما حولنا .

وخرجا من الباب الابيض في نهاية الغرفة ، واخترقا عدة
مكاتب مزدحمة بتخت وملفات ومكتبات . ولم تفرغ الملفات من
محتوياتها ولا بدت لها يد . وصاح بورث : هذا حسن .
قوائم بالاسماء سجلت فيها بيانات كاملة . ان ذلك مما
يسهل اعمالنا هنا .

وقال الميجر : أظن الفرق بين مكتبي وعنده للمكاتب ! انها
لفضيحة !

وكان كل ما قاله بورث : مكتبك ؟

وا عاد الاثنان الى الغرفة الكبيرة وجدا بها ايطاليا ، لاشك
أنه مختبئا في البناية . كان رجلا قصيرا يرتدى معطف
مكاتب من الكتان ، له ياقة مزورة ولكن بغير رباط رقبة .

وحيا الايطالى القصير التحية الفاشستية ، وصاح فى حماس
بالايطالية : مرحبا بالامريكان ! لبحيى روزفلت ! كم أنا سعيد
بحضوركم ! لقد مرت على سنوات كثيرة وأنا أكره الفاشستين !

وقال له الميجر بالايطالية : من أنت ؟

وقال الرجل القصير : زيتو جيوفانى ! اننى معروف جدا
بكراهيتى للفاشينين !

وقال الميجر جوبولو : وماذا تفعل ؟

واجاب زيتو : اننى أرحب بالامريكان !

وقال بورث فى ايطالية ثقيلة اللكنة : ياغبى ماذا كان عملك
قبل نزولنا الى البر ؟

وقال زيتو : زيتو جيوفانى حاجب فى سراى المدينة ، من
مواليد « ادانو » .

وقال الميجر جوبولو : كنت حاجبا هنا ؟

- نعم كل يوم من الثامنة للثامنة !

- ولماذا خدمت الفاشيين اذا كنت تكرههم ؟

- لقد كرهتهم سنوات طويلة .. اننى معروف بعدائى
للفاشيين . لقد عشت مشبوهاطويلا .

وقال الميجر : اسمع أيها الحاجب .. اننى أحب الصديق ،
وسوف تكتشف ذلك . فاذا كذبت على فستعرض نفسك
لمتاعب كبيرة ! لا تكذب على . اذا كنت فاشيا فيما مضى فقد كنت
فاشيا ، ولا حاجة بك لان تكذب على !

وقال زيتو : لقد كنا فى حاجة لان نأكل ونكسب معيشتنا .
اننى أب لستة أطفال .

وقال الميجر جوبولو : اذن لقد كنت فاشيا . وعليك الآن أن
تتعلم كيف تعيش فى نظام ديمقراطى . ستصبح حاجبى .

وامتلا قلب زيتو سرورا .

وقال الميجر : لاتحنى بهذه التحية ..

وانحنى زيتو وقال : التحية الفاشية ! لياسيدى .

وقال الميجر جوبولو : لاتنحن ، فلا حاجة بك للتذلل هنا •
أنا لا أزيد على أننى ميجر ، وبورث هذا جاويش • فهل أنت
رجل ؟

واختلط الامر على زيتو الصغير ، وأجاب باحتراس : لا
ياسيدى • ولكنه وجد من نظرة الميجر أنه كان يجب عليه
أن يقول « نعم » ، فقالها •

وقال الميجر : تستطيع أن تحيننى بهز يدى ، وتحينى
الجاويش بورث بنفس الطريقة •

وقال بورث وقد دلت تعابير وجهه أنه يريد مكايده الايطالى :
يجب قبل ذلك أن أتحقق من أنه ليس فاشيا خطيرا •

ولم يدر زيتو ، أيضاك أم ييكي ! لقد كان خائفا ولكنه
فى الوقت عينه كان فخورا بهؤلاء الرجال ! فقال : لن
أكذب عليك يامستر ميجر • اننى ضد الفاشيين يامستر
جاويش • وقد أصبحت حاجبا هنا •

وقال الميجر جوبولو : يجب أن تكون هنا فى الساعة السابعة
صباحا من كل يوم •

وقال زيتو : الساعة صباحا؟

وسمعت طلقات مدافع وبنادق من شوارع بعيدة ، فانخلع
قلب زيتو • وقال له بورث : قد تكون رجلا ، ولكن ذلك لا يمنع
أنك مرعوب !

وسأله الميجر جوبولو : كيف كانت الحالة هنا ؟

وأخذ زيتو يثرثر عن القنابل والغارات الجوية • ولما هدا قليلا
قال : اننا فى شدة الجوع • لقد مضت علينا ثلاثة أيام دون خبز !
لقد فر الاشخاص المهمون جميعا ، وتركونى هنا وحدى لاحرس
السراى • ولكن ثنائة الموتى فظيعة ، وخاصة فى ميدان سان انجيللو •
وبعض الناس مرضى ، لان سائقى عربا نقل الماء لم يجرؤوا على
احضار الماء منذ عدة أيام ، بسبب الطائرات فوق الطرق •
وقد يتسنا من النصر وذهب جرسنا !

وقال الميجر جوبولو : جرسكم ؟

وقال زيتو : نعم جرسنا الذى كان يبلع من العمر سبعمائة •

عام • لقد أخذه موسولينى ! لقد كان يرن بنغمة جميلة كل ربع ساعة • أخذه موسولينى ليحوله إلى مواسير مدافع أو إلى شيء من هذا القبيل • وغضبت المدينة أشد الغضب ، ورجا الناس نياقة القسيس الذى هو عم العمدة ليعدم بعض أجراس الكنيسة بدل • سننا ، ولكن نياقته رفض بحجة أنه لا يريد تدنيس الكنيسة على حد قوله • ومعنى ذلك أننا فقدنا جرسنا أسبوعين فقط قبل مجيئكم ! لماذا لم تأتونا قبل ذلك ؟

وأين كان هذا الجرس ؟

— هنا ، • • وأشار زيتو فوق رأسه — لقد كان البناء كله يرن عندما كان الجرس يثق !

وقال الميجر جوبولو لبورث : لقد رأيت مكان الجرس فى أعلى البرج • فهل لاحظته ؟ ثم أضاف موجها الحديث إلى زيتو : هل هذا هو السبب الذى من أجله كنت تود حضورنا قبل الآن ؟

وكان زيتو محتاطا فقال : بعض السبب •

وقال بورث : أيها الحاجب • إذا كنت فاشيا حقا ، ففى استطاعتك أن تقول لى : لماذا هذا الفراغ الكبير حيث كانت تتدلى منه دون شك صورة كبير ؟ ومن السهل أن يلاحظ من أثر التراب أن الصورة كانت ولا شك كبيرة •

وابتسم زيتو وقال : لم يعد للصورة وجود فقد أعدمتم !

وقال بورث : ألسنت تخفيها فى البديروم ؟ ألا تخشى أن يطرد أصدقاؤكم الألمان الأمريكان من هنا ، ويعود زعيمك ويرى المربع المترب ، ويسألك أسئلة محرجة ؟

وقال زيتو : أقسم أنها أتلفت • اننى لا أستطيع الكذب أمام مستر ميجر !

وقال الميجر جوبولو : أيها الحاجب ! وما هذه الصورة الكبيرة فوق مكتبى ؟

وهنا أقدم زيتو الصغير على كذبة جميلة : لقد كانت الصورة تمثل مجموعة من الناس فى ملابس تاريخية ، وكان من الواضح أن أحدهم — بمنظروجه ، وموضعه من الصورة ،

وانفراده بما فيها من اضاءة - هو زعيمهم ، وكان يشير الى جانب الصورة نحو اليسار .

وفكر زيتو بسرعة ثم قال : هذا يا حضرة الميجر هو كريستوف كولومبس مكتشف أمريكا !

وابتسم زيتو لجمال كذبتة ! . ولم يكتشف الميجر جوبولو الا بعد ثلاثة أسابيع أن الصورة تمثل في حقيقتها منظرا من مناظر ثورة الصقليين الدموية التي أثاروها ضد غزاة سابقين .

وقال الميجر جوبولو بالانجليزية محدثا نفسه : انها صورة جميلة . ترى كم عمرها ؟ قد تكون بريشة مصور مشهور !

واتجه الميجر الى المكتب وسحب الكرسي العالى الظهر وجلس عليه ، واضعا قدميه على الكرسي الآخر المعد لهما .

وقال بورث : ماهو احساسك يادوتشى ؟

وقال الميجر : ان أماننا عملا كثيرا ، ولا أدري بماذا أبدأ .

وقال بورث : أنا أعرف ما على أن أفعل . . أبحث عن مقر الحزب الفاشستي لأعثر - أن أمكن - على سجلات أخرى . فهل أستطيع أن آخذ السيد الحاجب لأبحث عن مقر الحزب الفاشستي ؟ فقال الميجر : انطلق يا بورث .

ولما انصرف الاثنان ، أخرج ميجر جوبولو أوراقا من محفظته ، ورتبها أمامه على المكتب ، ثم أخذ يقرأ :

« تعليمات الى ضباط الشئون المدنية - اليوم الاول : ادخل المدينة مع أول كتيبة . تعاون مع القائد المختص في توزيع الحراس وضبط السجلات . ضع الحراسة على جميع مخازن الطعام ومستودعات طعام العدو ومحلات بيع الطعام بالجملة ومخزونات البضائع الأخرى . تحصل من موزعي الطعام المحليين على بيانات عن كمية الطعام الموجود أو الممكن توفيره ، وعدد الايام التي تكفى تلك الكميات لها . قدم تقريرا بالطريق المعتاد عن حالة الطعام في منطقتك . تأكد من وضع المؤسسات الآتية تحت الحراسة أو الحماية : المسابك ، محلات الآلات ، المصانع الكهربائية والكيمياوية ، مطاحن الدقيق ، ومصانع البيرة والاسمنت ، وغرف التبريد ، ومصانع الثلج ، والمخازن العامة للاستيداع ،

ومعامل تكرير زيت الزيتون والكبريت ، ومعاصر الزيوت ،
ومصانع الصابون ، وأية مؤسسات هامة أخرى . وابتدأ وضع تحت
تصرف سلطات الميناء جميع مرشدى البوغاز المحليين المعروفين ،
وهكذا وهكذا بغير انقطاع .

وبعد أن قرأ الميجر ثلاث صفحات نظر جوبولو فى ساعة
يده . كانت الحادية عشرة ونصفاً . لقد انقضى تقريباً نصف ذلك
اليوم الاول . وأخذ الميجر صفحات التعليمات من على مكتبه وقطعها
نصفين ، ثم قطع النصفين الى ربعين ، ثم جمع الاجزاء جميعها
وألقي بها فى سلة المهملات تحت مكتبه .

ثم جلس ونظر الى الفضاء من أقرب باب ، وأطال النظر الى
الشارع الحاوى من المارة ، وبدأ عليه التعب واليأس .

ثم بحث عن محفظته للمرة الثانية ، واستخرج منها مفكرة
صغيرة سوداء امتلأت صفحاتها بمذكرات أخذها حين كان يتتبع
دروس حكومة الحلفاء العسكرية . مذكرات عن تموين المدنيين
وسلامة الجمهور وصحته ، وعن المالية والزراعة والصناعة
والمناقص والنقل ، وكل ما هو مطلوب من سلطات الغزو . ولكنه
مر على جميع تلك الصفحات ، ووقف عند صفحة مكتوب عليها :
« مذكرات من جوبولو الى جوبولو » وقرأ :

« لاتصغر نفسك . كن دائماً فى متناول الجمهور . لاتجعل لك
بطانة . تكلم الايطالية كلما أمكن . لاتفقد حلمك . اذا فشلت
الترتيبات . . . ارتجل . . . تصرف . . . »

تلك كانت الفكرة التى أرادها : اذا فشلت الترتيبات . . .
ارتجل .

لقد كانت ترتيبات هذا اليوم الاول فى سلة المهملات . لقد
كانت ترتيبات عقيمة . ان فيهما من العمل ما يشغل فرقة كاملة
لمدة اسبوع .

أما الآن فقد بدأ فيكتور جوبولو يفكر لنفسه ولم تعد
تظهر عليه آثار التعب . فقام بنشاط واتجه الى الشرفة حيث
وجد بها صابرى اعلام ، فعاد وأخرج من محفظته علمين ،
أحدهما أمريكى والاخر بريطانى .

ووضع العلم البريطاني تحت إبطه وهو في طريقه للشرفة *
وأخذ يبحث عن موضع ربط العلم الأمريكي بالحبل ، ثم ربطه
بحبل الصناري اليساري ورفعته .

وقبل أن يصل العلم الى نهاية الصاري ، كان قد تجمع
بالميدان خمسة من الايطاليين . وقبل أن يربط العلم البريطاني
بالحبل كان عددهم قد بلغ العشرين . وعندما أتم رفع
العلمين كان أربعون شخصاً يهتفون له : « نهارك سعيد »
نهارك سعيد . أيها الأمريكي !

وحياهم بيده ، ثم عاد لغرفته سعيداً نشطاً .
وتناول محفظته من جديد ، وأخرج منها مجموعة من الاوامر ،
وأخذها الى المنضدة الكبيرة ، وبعد أن أزاح ما عليها من الخرط
والصور الفوتوغرافية المتروكة ، رتب الاوامر على المنضدة .
وبينما هو عائد الى مكتبه سمع طرقات على الباب . فصاح
بالايطالية : أدخل .

وفتح الباب ، ودخل منه شخص ذو هيئة مألوفة للميجر
جوبولو . وتبين الميجر بعد ذلك أنه لم يسبق له رؤية ذلك
الرجل . بل هناك كثيرون يشبهونه كل الشبه في أفلام
السينما الأمريكية الرديئة ! انه يمثل شخصية قاطع الطريق
الايطالي من الطبقة الثانية . . الرجل القصير من رجال العصاة
الذي يقف خلف الزعيم ، ويتحمل الضربات دائماً . . أصلع الرأس ،
مزيل الفم ، بخده أثر التحام جرح طويل ، زائغ البصر ، يدل
مظهره على أنه في حاجة لتعليمات يقوم بتنفيذها .

وقال الرجل بالانجليزية : لقد رفعت علماً انجليزياً . هل
انتهت الحرب هنا في « ادانو » ؟ وقال الميجر : نعم . من تكون؟
وقال الايطالي : اننى من « كليفلاند أوهايو » ، ومضى
علي هنا ثلاث سنوات . لديك عمل لى ؟ .

وقال الميجر جوبولو : ما اسمك ؟

وقال الايطالي : « ريبودو جيوزيبى » ، ويدعوننى في
كليفلاند « جو . . .

وقال الميجر جوبولو : وماذا تستطيع أن تعمل ؟

وأجاب الإيطالي : اننى امريكى حسن السلوك . اننى اكره هؤلاء الفاشيين ، وأستطيع أن أؤدى لك أعمالا مفيدة .

وقال الميجر جوبو : اذا كنت امريكا حسن السلوك كما تقول ، فلماذا تركت الولايات المتحدة ؟

وأجاب ريبودو : لقد طردونى ...

— لماذا ؟

— ليس لى جواز سفر .

— وكيف دخلت الولايات المتحدة اذن ؟

— لى اصدقاء كثيرون فى « كليفلاند » وفى « بفلو » .

— وماذا كنت تعمل فى الولايات المتحدة ؟

— اشتغلت هنا وهناك ..

وسر الميجر جوبولو من ريبودو ، لانه لم يحاول ان يكذب عليه فى موضوع دخوله الى الولايات المتحدة بطريقة غير مشروعة وابعاده . وقال له : حسنا ساعينك مترجما لى .

— الا تتكلم الإيطالية ؟

— بل اتكلمها ، ولكن سيوجد هنا امريكان لا يتكلمونها ، وقد احتاجك لامور أخرى .. أتعرف هؤلاء الناس معرفة جيدة ؟ أتعرف من منهم معنا نحن الامريكان ، ومن ضدنا ؟

— طبعا ، ياسيدى الرئيس ، وسأساعدك كثيرا .

— حسنا . ماذا قلت انه اسمك ؟

— ريبودو بيرزيبى . جو ، فقط ، بالنسبة لك .

— لا . اننا فى ايطاليا . سأدعوك جيسوزيبى هنا . ولكن

هناك مسألتين : الاولى — يجب أن تصدقنى فى كل شىء ، فان لم تفعل فالويل لك . والثانية — لا تنتظر منى أية حظوة لاينالها غيرك . افهمت ؟

— اجل ياسيدى الرئيس . لا تقلق .

- والآن قل لى ما أول شيء تحتاجه هذه المدينة ؟
- يمكننى أن أقول أنه صالة سينما يا سيدى الرئيس :
- لا يا جوزيبى ، اعنى الآن فوراً .
- الطعام يا سيدى . أن حالة الطعام سيئة جداً فى أدانو ، فمند ثلاثة أيام لم يأكل كثير من الناس شيئاً .
- لم هذا ؟ إلا يوجد دقيق ؟
- يوجد . ولكن الجميع خائفون ، فالخبازون لا يعملون ، ولا أحد يبيع عجينا ، والماء لا يرد فى عرباته . هذا هو الأمر يا سيدى .
- وكم عدد الخبازين فى المدينة ؟
- وقبل أن يجيب جوزيبى على السؤال سمعا طرقتين على الباب ، أحدهما قوية ، والأخرى ضعيفة .
- أنا افتح لهم ياسيدى الرئيس ...
- لقد كان جوزيبى راغباً فى العمل على الأقل .
- من فضلك يا جيوزيبى .
- وسار جيوزيبى بخطوات سريعة فى الغرفة الطويلة ، وفتح الباب . ودخل رجلان حسنا ابزة ، وفى عنقيهما رباط رقبة: أحدهما مسن جداً ، والآخر بدين جداً يبدو فى الأربعين من عمره . وأسرعوا فى الغرفة ، وكان كل واحد منهما لا يريد أن يسبقه الآخر .
- وقال الرجل المسن بانجليزية منتقاة للكنة: اسمى «كاكوباردو» ، فى خدمتك ياسيدى الميجر . وسنى «ثان وثمانوز عاماً . وأملك تقريباً كل الكبريت الموجود هنا ، فهنا «كاكوباردو» هو الكبريت ، والكبريت هو «كاكوباردو» . وأحب أن أقدم لك نصائح كلما احتجت الى مشورة .
- وقال الرجل البدين الذى تضابق من سبق «كاكوباردو» له فى الحديث : اسمى «كراكسى» . ولدى تلفراف .
- وسأل الميجر جوبولو : ماذا أستطيع أن أعمل لكما إيهما السيدان ؟

وقال كاكوباردو : نصائح !.

وقال كراكسى : التلغراف ..

وقال كاكوباردو : ان الامريكان الذين يأتون الى البلاد الايطالية
في حاجة الى مشورة .

وحقق الرجل المسن فى جيوزيبى و اضاف : أحب ان
اشير عليك بالاحتياط ، ففى ادانو رجال كثيرون كانوا خارجين
على القانون فى امريكا ، ومنهم من حكم عليه بالاعدام فى
بروكلين نيويورك ..

ولما رأى الميجر جوبولو حيرة جيوزيبى، قال له : يا جيوزيبى
اننى أريد التحدث الى قسيس المدينة فهل تستدعيه الى ؟

وقال جيوزيبى : اى قسيس ياسيدى الرئيس ؟

وقال كاكوباردو : فى ادانو ثلاث عشرة كنيسة يا سيدى
الميجر ، وفى بعضها ، ككنيسة سان انجيلو وسان سيباستيان ،
قسيسان او ثلاثة .

وسال الميجر جوبولو : اى الكنائس افضل ؟

وقال كاكوباردو : لا ينبغي ان تكون مفاضلة بين الكنائس ،
ولكن سان انجيلو افضلها ، لان الالب « بنشيو فيكيو » افضل
الجميع !

وقال الميجر جوبولو لجيوزيبى : ادعه لى ، من فضلك ..

وقال جيوزيبى : سمعا يا سيدى الرئيس ...

وانصرف ..

وعقب انصرافه سأل الميجر جوبولو كاكوباردو : هل جيوزيبى
هذا لا يؤتمن ؟

وانحنى كاكوباردو وقال : انا اذكر حكم الاعدام فقط ،
ولكننى لست بالشخص الذى يذكر الاسماء !

وقال الميجر جوبولو فى حدة : لقد قلت انك جئت لتنصحنى،

ويجب ان اعرف اذا كان جيوزيبى هذا شخصا يؤتمن أو لا يؤتمن ؟

وانحنى الرجل العجوز وقال : ان جيوزيبى شخص لا يضر !
وابتدا كراكسى البدين يمتعض لان كاكوباردو يحظى بكل
اهتمام الميجر ، وقال : عندى تلفراف اريد ان يرسل اذا
سمحت .

وقال الميجر جوبونو : ليس هذا مكتب تلفراف . ان الحرب
دائرة . اتحسب ان ليس لدينا ما نعمله افضل من ارسال
تلفرافات ؟

واعتذر كراكسى وقال : اننى خصم للفاشية ، وعندى تلفراف
وانت الوحيد الذى يستطيع ارساله . . واخرج من جيبه قطعة
ورق مسطرة مطوية اربع طيات ، ومثبتة بمشبك ، وسلم
الورقة للميجر الذى وضعها على مكتبه ، مما ضايق كراكسى !
وقال الميجر : قلتما انكما جئتما لتنصحاني ، فما الذى تحتاجه
هذه المدينة فورا ؟

وفى هذه المرة سبق كراكسى البدين ، وقال : الطعام ! كثير
من الطعام .

وقال كاكوباردو : انها تحتاج جرسا أكثر من أى شىء آخر !
وقال كراكسى : ما هذا الجنون ؟ جرس ؟ اهنالك شىء فى
العالم أهم من الطعام ؟

وقال كاكوباردو : ان المدينة تريد استرداد جرسها . أما
الطعام فتستطيع دائما ان تجده .

وغضب كراكسى الذى لم ينل نصيبه من الحديث ، وقال :
— انك تستطيع دائما ان تجد الطعام يا كاكوباردو ، لان عندك
مليون ليرة ! أنت الكبريت . انك تستطيع ان تأكل ولكن
ليس كل الناس . . ثم التفت الى الميجر وقال : الاكل هنا
ضرورى واكثر لزوما من أى جرس .

واندفع كاكوباردو غاضبا يقول بالاطالية : ايها البدين : انك

لا تفكر الا في معدتك . ان الروحانيات اهم من المعدة . لقد كان الجرس جزءا من معنوياتنا . لقد كان جزءا من تاريخنا . لقد وضعه على البرج بيده «بترو الارجونى» وصممه المثال «لوتشيو دى انج» من موديك .

وقال كراكسى بالايطالية : ان الجوعانين يسمعون طنين آذانهم ، فليسوا بحاجة لاجراس .

وقال كاكوباردو : لقد نبه هذا الجرس الشعب عندما حاول «روبيرتو» ملك نابولى غزو المدينة ، فرد على أعقابهم .

وقال كراكسى : ان المرضى بالملاريا يسمعون طنيناً فى آذانهم ايضا .

وقال كاكوباردو : لقد نبه الجرس الشعب عندما احضر الاميرال « تارجو » جنوده الفرنسيين والاتراك الى هذا المكان عام ١٥٥٣ ، وحرق بيوتا وكنائس عديدة . وكل ماترك فى «كنيسة الام» الصليب الفضى الصغير الذى سوف تراه فى كنيسة سان انجيلو » .

واجاب الميجر بالايطالية : ليس لدينا وقت لمثل هذا الشرح . اننى اريد ان اعرف المسائل المستعجلة التى يجب الاهتمام بها فوراً .

وقال كراكسى : لقد قلت : الطعام هو اول شئ .

وقال كاكوباردو : يجب الاهتمام بالجرس فوراً . ان الجرس لم ينبهنا لهذا الغزو ، والا لوجدتمونا فى الشوارع ومعنا الازهار للترحيب بكم .

وقال كراكسى : لم أحتج لاي جرس لقد كنت على الشاطئ لأرحب بالامريكان . ولقد كانت امراتى « مرجريتا » الهائلة معى ، واطفالى السبعة . كنا على الشاطئ . - برغم طلقات المدافع - احببى الامريكان . ولكن بماذا كان اولادى يهتفون ؟ انهم لم يصيحوا مطالبين برنات الجرس . بل كانوا يصيحون : «كراميللا . كراميللا ! لقد كانوا جوعانين . كانوا يريدون الحلوى .

وانا نفسي ، الذي حصلت على حاجتي من الطعام ، كنت اطلب
سجائر لا جلجلة اجراس .

وعاد بورث والحاجب زيتو . . وقال بورث : جاءت الامور
سليمة ياسيدي الميجر . فكل السجلات كاملة توضح كل غامض ،
وبها بيان كامل عن خصوم الفاشية ، وعن المتحمسين والمرائين .
ويوجد ملف كامل لكل شخصية هامة من هؤلاء ؟

وقال كاكوباردو : اسمي كاكوباردو في خدمتك ياسيدي .
كاكوباردو هو الكبريت والكبريت هو كاكوباردو !!

وقال بورث : اذكر الاسم . انهم في السجلات يقولون ان
كاكوباردو مخبول !

وقال كراكسي : هذا حق فانه يظن ان الاجراس اهم من
الطعام .

والتفت بورث الى كراكسي في سخريه غاضبه : ومن هذا ؟
واخذ كراكسي يعتذر من جديد : انني خصم للفاشية .
راسمي كراكسي . وانا الان مؤمن بالطعام !

وقال الميجر جوبولو : انهما يتناقشان في ايهما اكثر اهمية ،
الطعام او اعاده الجرس ؟ ولما كنا لا نستطيع الآن عمل شيء
بالنسبة للجرس ، فسنهتم بامر الطعام .

ويدت على كراكسي علامات الاعجاب بنفسه ! ولكن كاكوباردو
التفت الى زيتو وقال : سنترك هذا الموضوع الى «ابن روزا»
التي كانت زوجة زيتو . ماذا تقول يا زيتو الصغير : ايهما في
تقديرك اهم ، الطعام أم الجرس ؟

ومن الغريب ان زيتو اجاب : اعتقد الجرس !

واهتم الميجر جوبولو بهذا والتفت الى زيتو وسأله : لماذا
يا زيتو ؟

وقال زيتو : لان رنين الجرس كان مرضيا جدا .

وقال كاكوباردو : لا . بل لتاريخ الجرس . فعندما كان
الجرس يتحدث كان آباؤنا وجدودنا يتحدثون الينا .

وآثرت هذه الحجة ، حتى فى كراكسى الذى قال : ليس هذا ، بل لان الجرس كان يدق جميع ساعات اليوم ، وكان يدلنا على الوقت الذى نقوم فيه بأعمالنا كالأكل مثلا . كان يدلنا متى نأكل بيضة الصباح ، ومتى نأكل المكرونة والارانب ، ومتى نشرب البيض مساء !!

وقال زيتو : اظن ان رنته هى الاهم . انها كانت تهدى أعصاب أهل المدينة . تلوم الغاضبين وتسرع الغمومين . بل كانت تضحك مع السكارى . لقد كانت نعمة تتفق مع كل انسان .

وحضر جيوزيى ومعه القسيس . وكان الاب «بنشوفيكىو» اشيب الرأس بشوشا ، وعندما اقترب من المجتمعين حول مكتب المجر اتى بحركة بيده اليمنى يمكن أن تفسر بأنها منح للبركة أو التحية الفاشية .

وبعد اتمام التعارف ، قال ميچرجوبولو للقسيس : ياسيدى الأب ، لقد كنا نتحدث عن الجرس القديم الذى انتزع !

وقال الاب بنشوفيكىو : هذه هى فضيحة هذه المدينة . ان عندى فى كنيسة جرسا لا يقل صوته عن صوت ذلك الجرس الذى أخذ ، وان لم يكن فى جماله ، وهو أحدث منه عهدا ، ولا معنى له كجرس . وأى جرس غيره كان يؤدى المطلوب فى قبة كنيسة . ولقد أردت أن أرسل جرسى ، ولكن سيدى الاسقف لم يسمح . ان الاسقف عم عمدة المدينة ، ولديه أسبابه ليتصرف كما أراد ! ورسم الاب اشارة الصليب يريد بذلك ان يدلل على أن تصرفات الاسقف لم تكن جميلة . « أما فى هذا الشأن فأعتقد أنها كانت خاطئة . »

وسأل المجر جوبولو : لماذا اذن كان هذا الجرس مهما ؟

وقال القسيس : لقد كان هذا الجرس فى وسط المدينة ، وكانت الحياة كلها تدور حوله . كان يوقظ الزراع فى الصباح ، وكان سائقو عربات النقل يعلمون منه متى يبدأون عملهم ، وكان الخبازون يخبزون بأشارته ، وحتى نحن فى الكنيسة كنا نتكل عليه أكثر من اتكالنا على أجراسنا . ويوم السبت عندما تفرغ

أجراس المدينة جميعها ظهرا ، يرتفع صوت هذا الجرس وكان الجميع ينصتون اليه .

وقال كاكوباردو الذى بلغ من السن حدا جعله يفقد الاحترام لكل شيء : انى اعتقد ان الاسقف نفسه نادم على تفريطه فى ذلك الجرس لانه كان يرتب مبادله عليه .

وقال كراكسى : وانا واثق انه كان ينظم عليه طعامه كما يفعل الجميع .

وقال الميجر لبورث بالانجليزية : يجب ان نحاول استحضار جرس آخر .

وقال بورث : انه لامر مضحك . ان هناك أشياء كثيرة أهم من ذلك الجرس . احضر لهم بعض الطعام ، ولاتنس ذلك المر .

وقال الميجر جوبولو : ومع ذلك فللجرس أهمية خاصة عندهم !.. ثم قال بالاطالية : أشكركم لما ذكرتموه لى بخصوص الجرس . أعدكم بأن أعمل كل ما فى وسعى لاتيكم بجرس غيره يكون له مغزى كجرس ونغمة جميلة ، ويكون تاريخه انه قدم لكم من الامريكان ليحل محل الجرس الذى انتزعه الفاشيون ليصنعوا منه مواسير مدافع .

وقال كاكوباردو : ما الطفك !

وقال كراكسى : أشكرك ياسيدى الميجر واقبل يدك .

وقال الميجر جوبولو : تفعل ماذا ؟

وقال كاكوباردو المؤرخ : انه لم يقصد اهانة . انها عادة قديمة هنا ! لقد كان الرجال المهمون هنا يجعلوننا نقبل أيديهم ، ولما أصبح التقبيل الفعلى غير مستحب جرت العادة بأن يذكر التقبيل كما لو كان قد وقع .

وقال كراكسى : لم أقصد أية اهانة يا سيدى الميجر ! اننى خصم للفاشيين !

وقال الميجر جوبولو : يبدو ان جميع من فى هذه المدينة خصوم للفاشية ! حسنا سوف ننظر فى موضوع الجرس .

أريد أن أتحدث على انفراد مع القس. ويمكنك أن تبقى يازيتو
فانك حاجبي. وانت ياجيوزيبى تسـ تستطيع البقاء أيضا لانك
ترجمانى .

وقال كراكسى : التلفراف يامستر ميجر !

واجاب الميجر جوبولو : سأحاول ارساله .

وأعاد كراكسى ذكر تقبيل اليد وانصرف . ولما انصرف الآخرون
قال الميجر جوبولو للأب بنشوفيكىو :

— أريد أن أقول لك ان الامريكان يقصدون خيرا بهذه
المدينة . ان بين الامريكان كما بين جميع الشعوب رجال سوء،
وقد يرتكب بعض الامريكان الذين يأتون الى هنا أفعال سوء.
فان فعلوا فأريد ان أؤكد لك ان اغلب الامريكان سيحسنون
بالحجل من هذه الاشياء بقدر مضايقتها لكم !!

واجاب الأب بنشوفيكىو : احسبنا سنقدر ضعف الطبيعة
البشرية فى رجالكم كما نقدرها فى رجالنا .

— شكرا يا سيدى الأب . . لقد قيل لى انك افضل
قسيس فى ادانو .

وقال القسيس فى تواضع محمود: اننى هنا لاعمل واجبى .

وقال جوبولو : اذن سأطلب منك معروفا. وأحب ان تعرف
ان لك كامل الحرية — ان ترفض ان أردت . أريد منك ان
تذكر بضع كلمات عن الامريكان قبل صلاة الصباح . وسأترك
لك ما تقوله ، وكل ما أرجو ان تضيف ان هناك أوامر الصقها
الامريكان بالحيطان ، وعلى الجمهور ان يقرأها . .

وقال الأب بنشوفيكىو : أستطيع أن أفعل ذلك بكل سهولة .

وقال الميجر جوبولو : اننى كاثولىكى . وان كنت تقبلنى
فاننى أود حضور الصلاة .

واجاب القسيس : ان ذلك ليسرنى !

واحس الميجر جوبولوبالغبطة، لان القسيس لم يقل ان ذلك
بشرفه .

وقال : سأراك اذن غدا .

وقال الأب بنشوفيكو من باب التاكيد : في كنيسة سان انجيلو .. انها في الميدان المسمى باسمها . في الساعة السابعة صباحا .
الى اللقاء يا بنى .

ولما انصرف القس قال جيوزيبى بلكنته الانجليزية : سوف تنجح ياسيدى الرئيس ، وكل ما امامك الآن هو ان تنظم الطعام .
وقال الميجر : اجل . الطعام . ؟ سوف نذهب الى المخازن .
ولكن قبل ذلك هل لديكم مناديهما ؟

وقال جيوزيبى لزيثو بالاطالية : ما اسم المنادى ؟ هل فر الى الجبل مع الآخرين ؟

وقال زيثو : لا انه هنا راسمه «مركوريو سالفاتورى» .
افه هنا ، ولكنه يا مستر ميجر لا يقول دائما ما يطلب منه تماما .
انه يقول المعنى العام لما تريده ، ولكنه يدخل عليه تعديلات .
وحتى لو كتبت له ما تريده ان يقوله فانه يبدل فيه !

وقال الميجر جوبولو : احضره لى من فضلك يا زيثو . اننى اريد ان ابعته ليطلب الى الناس قراءة اوامرنا .

وذهب زيثو ، وقال الميجر جوبولو لجيوزيبى : سنذهب الى المخازن ثم نلصق الاوامر .

وقال جيوزيبى : نعم ياسيدى الرئيس .

ونظر الميجر جوبولو الى مكتبه ، فوجد تلفراف كراكسى ؟
فرفع المشبك وفض الورقة ثم قرا :

« الى فرانكلين د . روزفلت بناية الكابيتول واشنطن » .

وقال الميجر : لننظر يا جيوزيبى مدى قدرتك على الترجمة ..
هذا تلفراف الرئيس روزفلت . يجب ان تصوغه ببلاغة على قدر الامكان . ماذا يقول ؟

« الى فرانكلين د . روزفلت انخ ... اكاد اجن سرورا لاسترداد حرية طال انتظارها ، ردها جنودكم الشجعان الى مدينة ادانو . قف » .

= مامعنى قف ؟

- هي نهاية جملة يا جيوزيبي .

- نهاية جملة . أرجو أن تتقبلوا احساسنا باخلاص

الغبطة والاعتراف بالجميل . التوقيع : كراكسي .. هل

مترسلها يا سيدى الرئيس ؟

وقال الميجر : بالطبع . ان الرئيس سوف يبر حين يسمع

ذلك .

الفصل الثانى

وتأخر «مركوريو سالفاتورى» منادى المدينة بعض الوقت فى الحضور ، لأنه رغب فى أن يلبس بزته الرسمية . وكان حين حضوره منشراح الصدر ، لأنه كان قد حسب أن أيام مناداته بالمدينة قد انتهت ! . لقد كان صوتا للفاشية لسبعة عشر عاما ، ولذلك ظن أن الوافدين الجدد لن يلجأوا الى صيحاته العالية . وكان قد أخذ بزته وأخفاها فى منزل «كرملينا» زوجة «فاتا» ، وأخذ يتنقل فى المدينة متعثرا فى ملابس مدنية ، مما جعل السكان وقد رأوه سبعة عشر عاما فى بزته الرسمية يسخرون منه .

وكان يسأل الواحد منهم الآخر فى حضرته : أين المنادى ؟

- لقد اختفى فى ملابس «فاتا» التى لا توائمه ! . .
ثم يتصايحون ويضحكون !

لهذا كان «مركوريو سالفاتورى» سعيدا شاكرا حين قدم نفسه للميجر جوبولو . وقال له فى صوته الاجش : أننى سعيد بأداء أية خدمة لك وأقبل يدك ! .

. وكان قد تعلم أن يتحدث داخل المنازل بصوت يشبه الهمس ، لعلمه بقوة صوته العادى .

ووقف مركوريو سالفاتورى أمام الميجر جوبولو فى أبهة رخيصة سمجة . انه يرتدى بزة من القرن الثامن عشر ، ويبدو كمالو كان قد ارتداها منذ ذلك العهد . كان لونها يوما ما أزرق ، لكنه انقلب الى رمادى باهت ومنقط ، وكانت حرملتها فيما مضى مغطاة بخطوط من الحرير الاحمر ، ولكن الحرير زال وأحلت «كرملينا» زوجة «فاتا» محله قطعة من الحيش من أكياس مصنع

الكبريت ، صبغتها باللون الارجواني ، مستعملة في الصباغة
عصير العنب ، ولكن الامطار ازالّت اللون ، وبذلك أصبح
مركوريو سالفاتوري اعلاناً متنقلاً لكبريت كاكوباردو .

لو أن ميجر جوبولو كان أى ضابط أمريكى آخر لضحك ملء
شديقه بمجرد وقوع نظره على مركوريو سالفاتوري . ولكن
الميجر جوبولو كان مهتماً بما يريد أن يقوله ، فكاد لا يلاحظ
الملابس . وقال : « أيها المنادى ، ان عندى عملاً لك وأريد أن أشرحه .
ان الأمريكان يختلفون عن الفاشست . يختلفون فى أمور
كثيرة . لذلك سوف تحدث بعض تغييرات فى أدانو ، وأرجو أن
تكون تغييرات لأحسن . »

وقال مركوريو سالفاتوري لبطهر أنه سيدكر كل كلمة تقال له :
نعم يا سيدى الميجر .

وقال الميجر : ولكى أشرح بعض هذه التعديلات ، سأعلق فى أمكنة
ظاهرة من المدينة أوامر عديدة تشرح كل شيء . وكل ما أريد
منك عمله هو أن تقول للناس أن يقرأوا تلك الاوامر . وشبدد
عليهم القول بأن عقوبة عدم اتباع تلك الاوامر ستكون شديدة .
هذا كل ما أريده .

ولم تظهر علامات ارتياح على مركوريو سالفاتوري ، وقال :
ليس فى هذا ما يمكن الصياح به . وقال الميجر جوبولو : هل أعين
منادياً آخر ؟

وأجاب مركوريو سالفاتوري بسرعة : لا يا سيدى الميجر ،
سوف أخرج نداء جميلاً مماقلته .

وقال الميجر : ان الاوامر ستلصق قبل الساعة الخامسة
من بعد ظهر اليوم .

وقال مركوريو سالفاتوري : نعم يا سيدى الميجر ! وخرج .

وأخذ طبلته التى كان قد تركها عند باب مكتب الميجر . وكان فى
المعتاد يبدأ نداءه فى ميدان التقدم أمام السراى ، ولكنه فى هذه المرة
كان هائباً ، ورغب فى أن يجرب نفسه عدة مرات قبل أن ينادى
على مسمع من الميجر . لذلك اتجه الى المتنزه المقابل

للكاتبة رائية ، ودق على طبلته طويلا وبشدة . ورأى رهوسا
إيطالية تطل من النوافذ ، وكان كثيرون قد دلفوا من منازلهم
واستندوا الى الحوائط . وتبين له نظرا لكثرة من فروا الى التلال
أنه لن يجد عددا كبيرا من المستمعين ، كما كان الحال من قبل .
ولكنه - على كل حال - قد وجد مستمعين أكثر مما كان يأمل قبل
ساعة .

وأخذ نفسا عميقا ، واندفع الهواء والدم الى حلقه ، وصاح
بأعلى صوته :

« حسنا ، لقد ضحكتكم طويلا ولكنكم ترون أن مركوريو
سالفاتوري لا يزال منادىكم ، ان الأمريكان أصدقاء مركوريو
سالفاتوري ، والأمريكان يريدون أن يكونوا أصدقاءكم أيضا .
لقد كنتم تنتظرون الأمريكان منذ زمن ، ولكن هل توقعتم التغيرات
التي ستحدث بعد مجيء الأمريكان ؟ هل علمتم أنهم
سيغيرون أشياء كثيرة بعد حضورهم ؟ هل علمتم أنهم
سيغيرون كل شيء تقريبا فيما عدا المنادى ؟ حسنا أن منادىكم
هنا ليقول لكم ذلك . »

ولأنه كان قد مضت ستة أسابيع على مركوريو سالفاتوري ،
دون أن يذيع أي نداء ، فقد كان متحمسا . فارتاح قليلا ، وأخذ
نفسا عميقا ، ثم أخذ يصيح :

« ليس لدى منادىكم الوقت الكافي ليعدد لكم جميع تلك
التغيرات ، ولكنها ستبين في أوامر سوف يلصقها الأمريكان أصدقاء
منادىكم في أنحاء المدينة بعد الظهر في حوالى الخامسة . فاقربوا تلك
الأوامر أيها الناس واتبعوها . والا فان أصدقاءكم الجدد سوف
يغضبون ويتصرفون كما كان يفعل الفاشيون المختبئون الآن
والحمد لله في التلال . فاختاروا أيها الناس بين الصداقة والعقوبات
الفاشية . اقرأوا الأوامر واختاروا . لقد بلغت . »

وحمل مركوريو سالفاتوري طبلته على ظهره ، واتجه الى المرتفع
الموجود أمام أطلال قصر سان جيوفاني . وهناك دق على طبلته
بشدة وحدة ، وانتظر أن يجتمع الناس . وبعد أن ملا رثته بالهواء
أندفع يصيح :

« اننى ارى امامى نرملينا زوجة فاتا امام منزلها • كذلك ارى فاتا الكسول متكئا على حائط منزل زوجته • ان المنادى يريد ان يشكر كارملينا لتخزينها بزته الرسمية خلال ايام الغزو العصبية • وهو يريد ايضا ان يوجه بعض كلمات الى زوجها الكسول • ان من سوء الحظ يافاتا الكسول أنك لم تتعلم القراءة ، فقد كنت من الكسل بحيث لم تكن تحفظ فى ذاكرتك اشكال الحروف • فى هذا المساء كان يكون من حظك ان تقرأ التغيرات التى ينوى اصداؤنا الأمريكان ادخالها فى ادانوا »

« كنت تستطيع ان تقرأ يافاتا الاوامر التى سيلصقها اصداؤنا ! وما كنت تجد شيئا تركزن عليه أثناء قراءةك ، لان الاوامر سوف تلصق على الحائط التى تستند اليها • أن ساعة القراءة - أى نحو الخامسة - كانت تكون ساعة بغیضة اليك ، لانها الساعة التى تجمع فيها نشاطك وترفع زجاجة نبیذ الى شفطيك ! »

« ولكن الآخرين سوف يقرأون • سيعلمون ان الأمريكان اصداؤنا • وسيعرفون عن التغيرات • وسيعلمون ماذا يعملون • سيتجنبون العقوبات ، وستصبح ادانوا لهم مدينة جديدة ، والحياة مختلفة • أما لك فستبقى الامور كما هى • ستخطئ ، وستعاقب ، وتبقى ادانوا لك مصدرا للخوف ،

« انظروا الى فاتا الكسول ، ايها الناس • لا تكونوا مثله • أقرأوا الاوامر • وتعرفوا الى ادانوا الجديدة • لقد بلغت »

وحمل ماركوريو سالفاتورى الطبلة وراء ظهره ، وانتقل الى الامكنة العديدة الاخرى الصالحة للنداء ، وصار يبلغ الناس بطريقته عن التغيرات المنتظرة !

الفصل الثالث

لم يكن الأب « بنشوفيكو » ليذكر متى أجمع في كنيسة
« سان انجيللو » مثل هذا العدد من الناس .

انه لم يخل من الحيلة عندما ذكر عرضا في اثناء الحديث لبضعة
عشر شخصا أن الميجر الامريكي سيحضر الى الكنيسة في الصباح ،
وانه هو نفسه سيقول بضع كلمات عن الامريكان . وأى
قسيس لا يحب أن يكثر عدد مستمعيه ؟ وأى قسيس لا يهوى
برنين قطع النقود التي تتساقط في صندوق الخيرات لأمنا
الكنيسة ؟

ولم يكن الأب بنشوفيكو يأمل عندما كان يذكر في أحاديثه
العرضية أن تأتيه مثل هذه الجموع !

كان القسيس يعلم أنه سوف يندم لسروره بتسببه في انصراف
كل هؤلاء الناس عن الاثنتي عشرة كنيسة الاخرى المنتشرة بالمدينة ،
ولكنه في هذه اللحظة ترك لسروره العنان ، ووقف عند مدخل
الكنيسة يهز رأسه للأشخاص الذين لم يسبق له رؤيتهم من
سنين . كانت هناك « مرجريتا » زوجة « كراكسى » من كنيسة « سان
سياستيانو » ، وكان هناك « بلانكا » الموثق العجوز من كنيسة « اليتامى »
« وأفرونتى » العربجي ذو الصوت المرتفع ، و « بازيل » العربجي
البدن ، وكلاهما من كنيسة « بنديتيني » . وكان هناك رجال
يقفون بجوانب الكنيسة . وحتى « فاتا » الكسول ، الذي لم يسبق
له أن ذهب الى أية كنيسة منذ تدشين طفله الاخير سنة ١٩٣٣
وقف مستندا الى أحد الأعمدة .

لقد كان مما يجلب السرور حقا أن يحضر كل هؤلاء الناس
الى كنيسة سان انجيللو .

ولكن فكرة طرات على الاب « بنشوفيكيو » اقلقتة لا ماذا لو
لم يحضر الميجر ؟ يا للخجل ! تصور كيف يسخر منه القسيس
الآخرون ! وكيف يكون رد الفعل عند هؤلاء المتعاجبين ؟ وكيف
يشكون ؟ تذكر كيف أن رعاياه المخلصين سوف يتكالبون في أيام
الاحاد المقبلة على الكنائس الاخرى ! وتصور ما يحدث له اذ
يضطر للعظة امام مقاعد خاوية .

ان الساعة قد بلغت السابعة وخمس دقائق . وهمس كبين
خدام الكنيسة في أذنه أن وقت بدء الصلاة قد حان ! ولكن الميجر
لم يحضر بعد !

وفي ذلك الوقت كان الميجر جالسا في مكتبه يتناول فاكهة
في افطاره وقد دخل في مناقشة مع بورث ومع الحاجب زيتو ، الذي
لم يسبق له دخول كنيسة ، في موضوع الجرس ، وجلس الميجر
جوبولو واضعا قدميه على المكتب الضخم يأكل فاكهة ، وجلس بورث
على طرف المكتب يأكل فاكهة ايضا ، بينما وقف زيتو الصغير
وقفة انتباه لا يأكل ، ولكنه يتمني لو يأكل !

وقال بورث : انك ياسيدى الميجر تدع قلبك - كعادتك -
يميل على رامسك . انس الجرس ونظف الممر . ان مسألة الجرس
هذه مسألة عاطفية بحث !

وسأل الميجر زيتو بالايطالية: متى وفي أى تاريخ بالضبط أخذ
الجرس ؟

واجاب زيتو فورا وبغير حاجة للتفكير : ١٤ يونيو . أنه اليوم
الذى غرمنى فيه العمدة « ناستا » ثلاث آلاف ليرة ، لا اننى تركت
أطلسى مفتوحا عند خريطة أمريكا الشمالية . لقد اعتدت أن أقرأ
في أطلسى فى ساعات الحلو من العمل خارج الباب هنا . لقد كان
العمدة « ناستا » يعلم - كما يعلم الجميع - أن الأمريكان آتون ، وكان
ذلك يهيج اعصابه ! وظن اننى أسخر به ! وغرمنى مرتب ستة
أشهر .

وقال الميجر : ١٤ يونيو ، أى منذ شهر تقريبا .

واجاب زيتو : لقد احتاجوا اليومين لانزال الجرس ، واستعملوا

ست مجموعات من البسكرات والبلنكات ، ثم صرفوا يوما ثالثا
لتققيصه . وبدأوا ينزلونه فى اليوم الحادى عشر ، ثم وضعوه
على العربة فى يوم ١٤ .

وقال الميجر : فى اليوم الرابع عشر ! وكان منهمكافى التفكير
حتى لقد نسى كل ما يتعلق بالذهاب الى الكنيسة .

وفى هذه الاثناء بدأ الـ'اب' بنشوفيكىو « فى كنيسة » سان
انجيلو « يفقد أعصابه . انـ'رءووس أغلب المصلين - مصلية
المحبوبين - بدأت تستدير نحو الباب ، بدلا من أن تتجه الى الصليب
الفضى الذى نجا من حريق عام ١٥٥٣ ! وأحس بأنه سيفقد
اصغاءهم تماما . سوف ينصرفون جميعا ، ويخرجون الى الشارع
بحنا وراء المسترميجر . لا بد اذن من أن تبدأ الصلاة فورا .

كان ما فعله الـ'اب' « بنشوفيكىو » مخالفا للعرف ، ولكنه
كان يعلم ما قد تعرض له كنيسته . ولذلك لم يبدأ الصلاة من أولها
ولكنه بدأ يتلو ترتيبات الحرب ، مؤملا أن يقتل الوقت حتى يحضر
الميجر .

وبدأ يرتل فى ببطء ..

بينما الميجر فى مكتبه يردد آراءه بالاطالية - بصوت مرتفع -
لانه كان يريد أن يمتحن أثرها على زيتو . نستطيع أن نأتى بجرس
آخر ، ولا بد أن يكون جرسا ذا معنى . ماذا تظن يا زيتو اذا أتيناكم
بجرس من أجراس الحرية ؟

وقال زيتو : وما أجراس الحرية هذه ؟

وأجاب الميجر جوبولو : انها الاجراس التى دقها الامريكان
عندما أعلنوا استقلالهم عن الانجليز .
وقال زيتو : الفكرة حسنة ، ولكن هل ترضى أمريكا أن تتخلى
عن هذا الجرس لمدينة ادانو ؟

وقال الميجر : سنستحضر صورة طبق الاصل .

وقال زيتو : صف لى هذا الجرس .

وقال الميجر جوبولو : انه متدل من برج فى فيلادلفيا على

ما ذكره ، وهو من البرونز . وأظن أن به شرخا في أسفله من القدم .
وتستطيع أن ترى صورته على طوابع البريد ، واتخذته كثير من
الشركات علامة تجارية لها .

وقال زيتو : ونغمته ؟

وأجاب الميجر : هذا يتعلق بالصورة يا زيتو . نستطيع أن
نحصل على جرس حسن الرنين ،

وقال زيتو : انني لا احب مسألة الشرخ هذه . ان الجرس لا يتحتم
أن ينشرخ لمجرد القدم . لقد بلغ عمر جرسنا سبع مائة عام ولم
ينشرخ . وأشك أن أمريكا بهذا القدم ، بصرف النظر عن جرسكم !
وقال الميجر جوبولو : ربما انشرخ لاننا قرعناه بشدة لاعلان
حريتنا .

وقال زيتو : لا أظن أهالي ادا نو يريدون حرية مشروخة ! لا ، لن
يجبوا حكاية الشرخ هذه . ربما تستطيع أن تستحضر لنا جرسا
من اجراس الحرية بغير شرخ .

وقال الميجر : ولكنه - بغير شرخ - لا يكون جرس الحرية .
ان جرس الحرية معمول عمكدا يا زيتو .

وأجاب زيتو : ان ادا نو اذن لا تريد جرس حريتك هذا . وأنا
واثق أنها لن ترغب في هذا الشرخ .

وقال الميجر جوبولو : هذا موضوع انتهى .

واخذ يفكر . وفي هذا الوقت كان الأب « بنشوفيكو » قد
انتهى من ترتيب ترتيبات الحرب ، ونظر بعصبية نحو المدخل ،
ولكن المستر ميجر لم يحضر ، وأشار الى كبير خدم الكنيسة
واسر اليه : ابعث « لودوفيكو » الصغير واطلب منه أن يبحث عن
الميجر ويحضره الى هنا . افعل ذلك من أجل « سان انجيللو » ،
وقل له يسرع .

وبدا القسيس يتلو التوسلات ، ويذكر الخطايا ، وينظر
بعصبية الى المدخل ، بينما الشعب يرتل الردود ، ويدير
رأسه من وقت لآخر نحو الباب !

وأخذ كبير خدام الكنيسة «لودوفيكو» وخرج به الى قاعة
اللبس ، وأخبره أن يفعل كماطلب القسيس . وأسرع لودفيك
الصغير الذي لم يسبق له أن خرج الى الشارع في الساعة
السابعة والدقيقة السابعة عشرة في يوم أحد في جميع السنوات
التي يذكرها ، وخرج دون أن يسأل أين يمكن أن يعثر على
الميجر الأمريكي ؟ ولا من هوالميجر الامريكي ؟ ولا لماذا يوجد
بالمدينة ميجر أمريكي ؟ بل هو لايعرف ان كانت هناك علاقة بين
الطلقات والفرقعات التي اعتادسماعها في الايام الماضية ،
وجود هذا الميجر الأمريكي ؟

ولذلك خرج لودفيك الصغير وجلس على درجات سلم الكنيسة
يعمل فكره في هذه الامور .

وفي مكتبه كان الميجر جوبولو يقول : لقد أخذوا الجرس يوم
١٤ يونيو ، أى منذ شهر الايومين ، وليس هذا بالوقت
الطويل . واذا قسناه بسير الامور في جيشنا ، فلعلهم لم يفعلوا
شيئا بالجرس بعد . الى أين أرسلوه يا زيتو ؟

وقال زيتو : الى الحكومة الاقليمية في مدينة « فيشينامارى » .
وقال الميجر جوبولو : لعله لايزال في ققصه في فيشينامارى ،
ولم يذهب لابعده من ذلك ؟

وظهر الانفعال على زيتو : أظن ذلك ممكنا ؟

وقال الميجر : ممكن . يجب أن نبحث . وأخذ ورقة فولسكاب
من محفظته ، وبدأ يكتب خطابا :

« الى اللفتنانت كيرنيل ر . ن . سارتوريوس . قيادة الحلفاء
في فيشينامارى ، مقاطعة فيشينامارى . »

« من ميجر ف . جوبولو قائد الحلفاء في أدانو مقاطعة فيشينامارى . »

« الموضوع - جرس خاص بمدينة أدانو . »

« ان الموقع على هذا أدناه يكون شاكرا لو أمرتم بالبحث في
سجلات الحكومة المحلية لمعرفة ان كان يمكن تتبع موضوع . . . »

وكانت الصلاة في كنيسة « سان انجيللو » تتبع نظاما

غريبا • فبعد أن أتم التوسلات بدأ الأب بنشوفيكو ترتيل
مزامير القديس يوسف • وكانت أطول ترتيلة مرت بخاطره •
وكان يكرر اللفاظ دون أن يحس معانيها :

• يوسف الشجاع • يوسف المطيع • يوسف المخلص • مرآة
الصبر • محب الفقر • مثال العامل • زينة الحياة المنزلية •
حامى البكارى • حامى الأسر •••

وفجأة توقف الأب بنشوفيكو • لقد خطرت له فكرة •
وأشار ثانية لكبير خدام الكنيسة وهمس في أذنه : « قل لجوتزو
العجوز يدق جرس الكنيسة » •

- الآن ياسيدى الأب !

- اعمل كما أقول لك وبسرعة !

واستمر القسيس في صوته الاجوف : « •• عزاء الفقير ••
وأمل المريض • وشفيح الميت • ومرعب الأبالسة •• »

وكان الشعب يرد : « صل من أجلنا » •

وقال الأب : « حامى الكنيسة المقدسة » •

وبينما الشعب فى منتصف الرد : « صل من أجلنا » سمعوا
دقة الجرس فوق رؤوسهم • وتوقفت الصلاة أثناء قرع الجرس،
لأن طنينه كان يهز الكنيسة كلها !

وفى مكتبة كان الميجر جوبولوينشف الحطاب ويطويه ••

وقال بورث : كم الساعة ؟

ونظر الميجر فى ساعة يده وقال : سبعة وستة وعشرون
دقيقة •

وقال بورث بالاطالية : اذا كنت كما تزعم خيرا بالاجراس،
فما هذا الجرس الذى يدق - بمفرده - الساعة السابعة
والدقيقة السادسة والعشرين صباحا ؟

وقال زيتو : هذا أمر غريب ! انه جرس كنيسة • وأستطيع
أن أقول من رنينه انه جرس كنيسة « سان انجيللو » •

وقفز الميجر من على كرسيه وقال : كنيسة سان انجيللو ؟

يا الهى • لقد وعدت القسيس بالحضور للصلاة ، ونسيت نفسى
وأنا أفكر فى الجرس القديم ! أرنى الطريق يازيتو • اجر •
ان هذا لفظيع !

واندفع زيتو من الباب ، واندفع الميجر يجرى خلفه •

وظن ثلاثة أو أربعة من الكسالى الجالسين فى الشمس أنه لم
يكن يليق بالميجر الأمريكى الجديد أن يطارد زيتو الصغير فى شوارع
المدينة ! وإذا كان يريد أن يعاقبه ، فلماذا لم يبعث ببعض رجال
البوليس خلفه ؟ اذ لا يليق بمركزه أن يطارد زيتو بشخصه ،
خصوصا أنه لا يعقل أن يلحق به !

ونظر خادم الكنيسة « لودوفيك » الجالس على سلم الكنيسة
بدهشة لهذا الايطالى الصغير الذى يطارده ضابط أمريكى !
وتساءل : لماذا يطارد الأمريكى الايطالى ؟ ومرة الاثنان بسرعة
من جوار لوديفيك على درجات الكنيسة قبل أن يخطر بباله أن
هذا هو الميجر الأمريكى • وقام مسرعا وجرى على السلم خلفهما ،
ولكنه تأخر ، ودخلا الكنيسة قبله •

ووقف جماعة المصلين ، حتى فاتا الكسول ترك الاتكاء على
العمود ، وكثرت الهمهمة • وبينما الميجر يسير فى ممشى
الكنيسة وهو يلهث ويجهش عرقه من وجهه ، همس كثير من
الناس : « تقبل يدك • تقبل يدك • »

وبالرغم من أنه لم يسبق لزيتو أن دخل كنيسة ، فقد
تأثر من الزحام ، وقرر البقاء • فمشى وراء الميجر •

أما الاب « بنشوفيكى » - الذى كان وجهه هو الآخر يتصبب
عرقا كما لو كان قد جرى شوطا كبيرا - فقد ابتسم وتحول وجهه
من الصفرة الى احمراره الطبيعى •

وبمجرد أن رأى الميجر جوبولو مقعدا غير مزدحم ، ركع ، ثم
جنس بخفة عليه • وجلس المصلون كذلك • وسلك الاب بنشوفيكى
صوته ، وعاد اليه اطمئنائه الذى كاد يفارقه • فقد حصل على
جمهوره ، وحصل على الميجر •

وتقدم القسيس خطوة الى الامام ثم قال : « لدى كلمة أقولها
لكم بهذه المناسبة » •

ثم سكنت وانتظر قليلا . وساد السكون التام الكنيسة ، فيما
عدا صوت تنفس الميجر وزيتو .

قال الاب بنشوفيكو : « يا أبنائي . ان كل ما يحدث في
هذا العالم هو من صنع الله . لقد منحنا الله القمح والشمس .
والله هو الذى أرسل لنا هؤلاء المخلصين بعد كل صلواتنا .
لقد استجيبت صلواتنا ، وفر القوم الذين كنا نخشاهم الى التلال
التي منحها الله لهم - فى واسع مغفرته - ليختبئوا فيها .

وقد استرعى نظر الميجر جوبولو رأسان على المقعد الذى
أمامه مباشرة : احدهما رأس رجل أصلع ، والاخرى رأس
امراة شقراء .

واستمر الاب بنشوفيكو يقول : « ولكن كما تعلمون جميعا ،
أيا كان أصحاب السلطة ، فيجب عليكم أن تحترموا القوانين .
إذا ارتكب طفل خطأ عاقبه أبوه . وإذا ارتكبتم أنتم خطأ ،
فسيعاقبكم حكامكم الجدد . فعندما تخرجون من الصلاة
اقرأوا الاوامر التي علقها حكامكم الجدد ، وانشروا النصح للجميع
ليتبعوها بدقة » .

واستطاع الميجر جوبولو باماله رأسه قليلا أن يعرف الرأس
الصلعاء هي رأس ترجمانه جيوزيبي . ولم يستطع باماله رأسه
أن يرى وجه صاحبة الرأس الشقراء ، ولكنه استطاع أن يلاحظ
أن الشعر مسرح بتأنق شديد ، وليس به صفائر مهملة .

وقال القسيس : « أظنكم تذكرون أنه كان يقال لنا ان
الامريكان يهاجمون القسيس ، ويهاجمون النساء ويقتلونهن ،
وانهم جميعا بروتستانتيون . ولكن بيننا الآن أميريكيا من
أصل ايطالى ، يحضر صلاتنا ، ويحس نحو كنيسة « سان
أنجيلو » بمثل الخشوع الذى تحسون به . انه رجل مشغول
جدا . مشغول لدرجة أنه اضطر أن يجرى طوال الطريق ليصل
الى الكنيسة ! ومع ذلك فقد وصل متأخرا . ولكننا سرورون جدا
لوجوده معنا » . (وتحدث الاب بنشوفيكو باحساس قوى) :
« سرورون لانه واحد منا . ومن أجل هذا الرجل أعتقد ان
الامريكان أصدقائي . ويجب أن تعتقدوا ذلك أيضا يا أبنائي » .

ولاحظ الميجر جوبولو أن جلد العنق في أسفل الشعر الأشقر
أسمر ، وتسأل : هل شقرة الشعر طبيعية ؟ واستمر يفكر
في هذا الأمر من وقت لآخر أثناء الصلاة التي تلت خطاب
القسيس !

وبعد انتهاء الصلاة خرج مسرعاً ليتجنب الحرج الذي كان
ينتج من اختلاطه بالجمهور • وحرص على أن يبلغ جيوزيبى أن
لديه عملاً يريد منه بعد الظهر ، واستطاع بذلك أن يلقي نظرة
على وجه الفتاة الشقراء •

الفصل الرابع

وفي اليوم الخامس من الغزو، وقفت جموع كثيرة الجلبة في صف أمام مخبز « زابولا » . وكان بينهم نساء كثيرات يلبسن السواد ، وقليل من الرجال . وكانوا يتحدثون بصوت عال ، وكل يريد أن يجد له مستمعين .

قالت « كارولينا » زوجة « افرونتى » العربجى الكثير الجلبة : « انه ممتلئ نشاطا . لقد قال لزيتو الصغير ان يحضر للعمل كل يوم فى الساعة السابعة صباحا . وطن زيتو انه لا يمكن لموظف أن يستيقظ مبكرا مثل هذا التبكير ، وذهب فى الساعة والنصف ، ولكن مستر ميجر قال له انه سيكون هناك حاجب جديد اذا لم يستطع الحاجب القديم أن يستيقظ فى الميعاد صباحا . »

وقالت « كارميلينا » زوجة « فاتى » الكسول التى كانت على رأس الصف ، بصوت مرتفع : « ليت زابولا الحباز يستيقظ مبكرا حتى يكون الحبز معد الآن . »

وخرج « زابولا » الحباز وقد اسود وجهه من فحم الفرن الى واجهة محله ، وصرخ فيهم : « لقد استيقظ زابولا الحباز منذ الرابعة صباحا . واذا سمع زابولا الحباز انتقادا فمن المحتمل أن يعود الى فراشه ويترك الحبز يحترق ! »

وقالت « مرجريتا » الهائلة زوجة « كراكسى » : « هل تذكرون كيف كان العمدة « ناستا » يعقد جلسات العمل ما بين الساعة الثانية عشرة والاولى كل يوم ، أى فى الفترة التى تكون فيها مشغولين بأولادنا ؟ وكيف كنا نقدم بطلب كتابى لمقابلته ؟ »

وكيف كنا ننتظر عشرة أيام ؟ وكيف كان يعاملنا اذا قابلنا ؟
انكم الآن تستطيعون أن تدخلوا مكتبه فى أية ساعة تختارون . »
وسكنت قليلا ثم قالت بلهجة مؤثرة : « انه يقف عندما تدخلون
عليه » .

وقالت « لورا سوفيا » التى لم تكن زوجة لاحد ، ولا ينتظر
فى سنها أن تصبح زوجة لاحد : « يحدث ذلك ؟ أظن أننى سأذهب
لاقابله » .

وقالت « ماريا كارولينا » متهمكة : « بأى حجة تتذرعين ؟
الترمقينه بعينيك الساحرتين ؟ »

وقالت « لورا سوفيا » : بل لا قدم له شكواى ، شأنى فى ذلك
شأنكم ، وان لم يكن عندى كما عندكم فراش يقبع فيه الاطفال
كما تقبع الحنازير !

وقالت « كارملينا » زوجة « فاتا » الكسول : « ان أولادى
جوعانون ، ومن الخير أن يحصلوا على خبزهم فى الميعاد » .

وصاح « زابولا » الحباز من أعماق مخبزه : « ان اطفال بعض
الناس قد يظنون جوعانين اذا لم يحبس بعض الناس لسانهم ! »

ولقد كان « ماركوريو سالفاتورى » منادى مدينة « ادانو » فى
آخر الصف تقريبا . ومع أنه خفض صوته الى همس فى الحديث
الذى اعتاده ، فان جميع من بالصف سمعوه وهو يقول :
أريد أن أقول لكم شيئا . لقد سألته ان كان يمكننى أن أستمع
الى الراديو ، فقال لى : « ولم لا يا حضرة المنادى ؟ » وسألته :
أى المحطات أستطيع أن أصغى اليها : محطة الجزائر أم راديو
لندن المسمى ب . ب . س . ؟ فقال لى : « ان أحسن محطة
تسمع هنا هى راديو روما ، فلم لا تصغى الى الراديو المسموع
بسهولة ؟ » . وقلت له أتعنى ذلك ؟ ان راديو روما ضد
الامريكان ولا يذيع الا الافتراءات عليهم ' . فقال لى : « أيها
المنادى : اننى أحب الصدق ، وأريد منك أن تحبه أيضا . اصغ
الى راديو روما فستجد ثلاثة أرباع ما يذيعه كذبا ! أريد منك أن
تحكم بنفسك وتبحث عن الحق . وعند ذلك قد ترغب فى الاستماع
الى الاذاعات الاخرى التى لا تستطيع الآن سماعها جيدا » .

وقالت « مرجريتا » الهائلة زوجة « كراكسى » : وهل
استمعت ايها المنادى ؟ • وقال « ماركوريو سالفاتورى » : « لقد
اصغيت واكتشفت أمس كذبة واحدة ولكنها كبيرة ! ان اذاعة
روما تقول ان القوات الايطالية فى مدينة فيشينى ماري ردت
هجمات المائى الشريرة • ونحن نعلم جميعا ان فيشينى ماري
وقعت فى قبضة الحلفاء من اليوم الاول لنزولهم الى البر » •

وقالت « كارملينا » زوجة « فاتا » الكسول : « سنصل الى
اليوم الخامس قبل ان نحصل على خبزنا من هذا الحياز زابولا !
واساء » زابولا « ادبه على « كارملينا » بسبب ماقالته • فقد
تقدم اليها وقذفها بقطعة فحم ، وقال لها : « احرسي آيتها
العاهرة » !

ولم تصب قطعة الفحم « كارملينا » ، بل صدمت « مرجريتا »
الهائلة فى بطنها ، فاندفعت تحرك قبضتيها الضخمتين • وعاد
« زابولا » الى فرنه كما لو كان لم يلاحظ من الذى اصيب بقطعة
الفحم •

وفى فترة الغضب هذه ، اقبل « جرجانو » رئيس البوليس
الى الصف • لقد كان الناس يسمون هذا الرجل « ابو يدين »
بسبب حركاته التمثيلية الدائمة بيديه • فقد كان فى نظر نفسه
- فيما يبدو - ممثلا ، اذ لم يكن يقول كلمتين من غير تحريك
يديه ! لقد كان يتقن ويستعمل جميع الحركات الايطالية : اتصال
السبابتين والدائرة المكونة من الابهام والسبابة ، ورفع اليدين
علامة توقف ، واشارة القرنين ، ووضع راحة اليد على الراس ،
ووضع اطراف اصابع اليد جميعها بعضها فى مقابلة بعض ،
وشبك الاصابع ، والتأشير باليدين مبسوطتين الى اسفل فى
حركة تشبه الربت على الرمال ، ورفع اليدين متصلتين باسفلهما ،
ووضعهما على الصدر فى موقف الصلاة ، واشارة السبابة علامة
الاتهام ، ورفع الاصبعين علامة النصر ، او تدخين السيجار ،
ووضع السبابة على الذقن ، ولف اليدين فى حركة دائرة • • كان
يستعمل هذه الحركات جميعها •

وعندما اقترب من الصف ظن الجميع أنه جاء ليعيد النظام •

وكان بعض الناس يشكون فيما اذا كان لا يزال محتفظا بسلطانه، ولكنهم أحسوا بأن الوقت غير مناسب للسخرية منه • ورأوا أن من الأفضل الانتظار لرؤية ما اذا كان سيقدم على القبض على أحد • ولكنه لم يقبض على أحد ، بل ذهب الى « كارميلينا » زوجة « فاتا » الكسول ، وحشر نفسه بينها وبين باب مخبز « زابولا » ووقف • ورأى الناس أن كل ما فعله هو أن يقف في أول الصف في انتظار نصيبه من الحبز •

ولكن « كارميلينا » التي ضايقها اصابتها بقطعة الفحم ، قالت بصرامة: « مسترجرجانو : لقد كنت رئيسا للبوليس في العهد السابق ، وكان ذلك يعطيك الحق في أن تقف في أول الصف ! ولست متأكدة من أنك لا تزال رئيسا للبوليس » •

وقال « جرجانو » مشيرا بيده بحركة تشبه التحية الفاشية : « أنا الرئيس » •

وقالت « كارميلينا » : انى أشك في ذلك • أين الدليل ؟

وقال « جرجانو » : أنظري بذلتى الرسمية ، ومرر سبابته من كتفه الى ركبتيه •

وقالت « كارميلينا » : ليس هذا بدليل • ان الامريكان لا يهتمهم كيف نلبس • اننى أستطيع أن ألبس لباس الارانب ولا يقبض على الامريكان !

وقال « جرجانو » : كفى صياحا أيتها المرأة والاقبضت عليك ، وقبض بيده اليمنى على رسغه الايسر بما يشير الى القبض •

وقالت « كارميلينا » : « أين سلطتك » ؟

وقالت « مرجريتا » الهائلة زوجة « كراكسى » : « اننى أعتقد أن هذا الرجل لا يزال رئيسا للبوليس ، لان المستر ميجر يحتفظ بكثير من أوغاد الفاشيين في وظائفهم حتى يثبت أنهم لا يصلحون للعمل ، ولكننى لا أعتقد أن من حقه تبعا للقانون الامريكى أن يأخذ مكانا في أول الصف • ومن هذه الناحية أعتقد « ياكارميلينا » أنك على حق • »

وقال « جرجانو » : « لقد كنت أقف دائما في أول الصف »

وساستمر أفعل ذلك « . ومربسبائه على طول الخط حتى
وصل الى رأسه حيث وقف ، وأشار بأصبعه الى الأرض .

وصاحت « ماريا كارولينا » زوجة العرّيجي الصّخاب
« أفرونتي » التي سبق أن قبض عليها « جرجانو » : « لاحق لك
يا « أبو يدين » ان الامريكان لم يسهحوا بذلك » . وكانت
هذه اول مرة سمى فيها « جرجانو » بأبو ايدين « فى مواجهته !
ولم يفهم مغزى التسمية .

وخرج « جرجانو » من الصفوقال : « من الذى يرتاب فى
سلطتى ؟ وضرب يديه مقبوضتين احدهما فى الاخرى .

وصدمته « كارميلينا » زوجة « فاتا » الكسول التي كانت
قريبة منه بأن همست فى أذنه : « أنا أرتاب فى سلطتك » !

وحق هذه اللحظة كان « زابولا » الحياز واقفا أمام مخبره
محتارا لا يدري أى السلطتين : القديمة أم الجديدة أحق بطاعته .
ولكنه كان متضايقا من « كارميلينا » لسخرتها منه ، وصاح :
اقبض عليها يا حضرة الرئيس ان كنت شجاعا !

وحق هذه اللحظة كان الرئيس « جرجانو » ، الذى لم يكن موقنا
من حقه ، يفكر فى الانسحاب بلطافة . ولكنه هوجم فى رجولته
وسلطانه ، فاندفع نحو « كارميلينا » وقال لها : « أيتها
المرأة ، أنك مقبوض عليك » .

وصرخت « كارميلينا » فى وجهه : « ارفع يديك الدائمتى الحركة عنى ! »
وقال له « زابولا » : « هل ستترك هذه المرأة تسخر من
سلطتك ؟ »

وقبض « جرجانو » بيديه على « كارميلينا » ، وصرخت هى ، كما
أخذت النسوة من أول الصف لاخره يصرخن : « ليسقط رئيس
البوليس الفاشستى ! ليسقط أبويدين ! ليسقط الرجال الذين
يحشرون انفسهم فى اول الصف أمام النساء اللاتى انتظرن ثلاث
ساعات ! »

وسحب جرجانو كارميلينا وهي تصرخ وتقاوم ، بينما ازداد الصراخ المعادي للقاشية ولجرجانو ارتفعا . وحتى مركوريو سالفاتوري ، برغم أنه مناد بشغل وظيفة شبه رسمية ، وكان يتعين عليه أن يقف على الأقل محايدا ان لم يأخذ جانب جرجانو ، رفع عقيرته بصياح لا يخلو من احتياط وهتف :
« ليسقط الظلم ! »

ولما ادخل جرجانو كارميلينا الى مكتب الميجر «جوبولو» كانت لا تزال تصرخ ، ولكن الميجر وقف فجأة وصاح بخدة : «سكوت أيتها الحشرة ! » وسكنت فجأة .

وسأل الميجر : ما الخبر ؟

وقال جرجانو : ان هذه المرأة هزأت بسلطتي ! . وأشـالـو
بسبابته اليها .

وقالت كارميلينا : الامر أكثر من ذلك !

وقال الميجر جوبولو : سلطتك ! لتفعل ماذا يا جرجانو ؟

وصاحت كارميلينا : سلطته ليقحم نفسه في أول الصف أمام مخبز زابولا !

وقال جرجانو : تلك مـيـزة كانت دائماً من حق موظفي المدينة .

وقال الميجر جوبولو : أهذا ما كان يحدث ؟

وقال جرجانو : أننى اتهم هذه المرأة بالشوشرة والتعدي على سلطتي ! .

ولقد دل هذا على مكر جرجانو ، فقد رأى أن الامور تجري ضده ، ولذلك صبغها بالصبغة الرسمية لا الشخصية . وتعين على الميجر أن يبت في الامر بطريقة رسمية .

واتخذ الميجر قراره بسرعة اذهلت جرجانو ! فقد قرر في نفسه أن المرأة محقة ، ولكنه لا يستطيع أن يصرح بذلك ، لانه

ان فعل عجز رئيس البوليس عن استرداد سلطته . وهو - اى الميجر - يريد ان يحتفظ به فى وظيفته . لذلك قال : احكم على هذه المرأة بالحبس يوما واحدا مع ايقاف التنفيذ . فدعها تذهب يا جرجانو ، وادع جميع موظفى « ادانو » للاجتماع بى فورا .

ولما خرجت « كارميلينا » اتجهت فورا الى المخبز ، ولم يكن الخبز قد أعد بعد ، ورد الجمهور لها مكانها فى أول الصف ، وصاحوا يسألونها عما حدث وعما فعلوه بها ؟

وروت لهم كارميلينا ما حدث وقالت لهم : « هل سبق أن سمعتم عن حكم بسيط كهذا فى ادانو ؟ انى أعتقد فى سريرتى أن المستر ميجر آمن بآنى محقة . اذ ما معنى جمع الموظفين فى مكتبه ؟ أننى أعتقد أنه أيدنى . »

واجتمع الموظفون رويدا رويدا فى مكتب الميجر . وكان بعضهم فاشيين أبقوا فى وظائفهم ، والبعض الآخر موظفين جددا عينوا بدل الفاشيين الذين فروا الى التلال . وأخذ جرجانو يشرح لهم فى همس وحركات واسعة الاهانة التى لحقت به الى أن أمر الميجر بالسكوت . وأحاط الموظفون بالميجر فى دائرة ، ووقف يقول لهم : « اننى أريد أن تكونوا أصدقائى . ولهذا أعتبر من واجبى أن أقول لكم كل شىء أفكر فيه ، اذ أننا لانريد أن نجعل من ادانو مدينة أسرار وشكوك ! لقد كانت ادانو مدينة فاشيستية ، وهذا طبيعى ، لان اليلاد كانت كذلك . ولكن الآن وقد جاء الأمريكان ، فأننا نريد أن تحكم هذه المدينة بطريقة ديمقراطية . وقد لا تعرفون : ما هى الديمقراطية . فسأشرحها لكم ! »

« ان الديمقراطية معناها أن رجال الحكومة ليسوا سادة الشعب ، بل هم خدامه . ما الذى يجعل الرجل سيد رجل آخر ؟ هو أنه يدفع له أجره عن العمل الذى يؤديه له . ومن الذى يدفع أجور رجال الحكومة ؟ هو الشعب لانه يدفع الضرائب التى منها تحصلون على رواتبكم . »

« وإذا فأنتم الآن خدام سكان مدينة أدانو • وأنا أيضا خادهم •
و حين اذهب لا شترى خبزا فساقف في مكانى فى آخر الصف
وانتظر دورى • وأنتم ايضا يجب ان تتصرفوا كخدم لا كسادة •
يجب ان تتصرفوا كخدم للرجل الخافى كما تفعلون للبارون •
فاذا وجدت ان أحدكم لا يؤدى الخدمات بالشكل الذى أريده
فسأستغنى عنه • »

« تذكروا أنكم خدام سكان «أدانو» ولاحظوا أنكم ستتحسون
من ذلك بسعادة لم يسبق لكم ان شعرتم بمثلها • »

الفصل الخامس

وأخيرا ، وبعد يومين أو ثلاثة، وجد الميجر نفسه وحيدا مع مترجمه جيوزيبى . وقال له: هل عندكم يا جيوزيبى فى هذا الجزء من البلاد شقراوات طبيعيات ؟

وغمز جيوزيبى بعينه بلوم ، وقد فهم مغزى السؤال : اذن فلك عينان أنت أيضا يا حضرة الرئيس ؟

وقال الميجر ببرود : هل لديكم شقراوات طبيعيات فى هذا الجزء؟

وقال جيوزيبى : اظنك لاحظت الشقراء التى كانت بجوارى فى الكنيسة يوم الاحد الماضى ياسيدى الرئيس ؟

وقال الميجر بخشونة : أجب عن سؤالى .

وأجاب جيوزيبى : فليكن يا سيدى الرئيس . ان الشعر الاشقر طبيعى فى الشمال ، أما هنا فليس طبيعيا .

— ذلك ما ظننته !

وعاد الميجر الى مكتبه . وتردد جيوزيبى وتشاغل قليلا ثم قال: سيدى الرئيس . وأجاب الميجر فى شيء من الحدة: ماذا يا جيوزيبى؟

— ان كان الرئيس يحس بالوحدة فان جيوزيبى يستطيع أن يحدد موعدا . . . ربما مع صديقه الشقراء !

وقال الميجر جوبولو : من قال اننى وحيد ؟

وقال جيوزيبى : يا سيدى الرئيس . لقد كنت فى «كليفلاند أوهايو» ، وأعرف بما يشعر به الانسان حين يجد نفسه بعيدا عن وطنه . ان المرأ يشعر بالوحشة !

وقال الميجر : ليس لدى وقت لأحس بالوحدة • أننى مشغول
الآن يا جوزيبى •

- نعم يا سيدى الرئيس •

وبعد أن اشتغل الميجر جوبولو بعض الوقت قال : جيزيبى !

- نعم يا سيدى الرئيس •

- من هذه الشقراء التى كنت معها يوم الاحد الماضى ؟

واحتاط جيزيبى هذه المرة ليبدو جادا ويجيب عن سؤال

الميجر بدقة : اسمها « تينا » ، وهى ابنة « توماسينو » ، وهو

صائد سمك •

- صياد سمك ؟ هل هو صياد ماهر ؟

- أحسن صياد يا سيدى الرئيس •

- هل يحترمه الصيادون الآخرون ؟

- بلا شك • انه خيرهم •

- حسنا • أريد أن اراه •••

ولم يستطع جيزيبى هذه المرة الا أن يغمز بعينه ، وقال :

بلا شك يا سيدى الرئيس ، سأحضره •

وقال الميجر جوبولو : ادعه ليقابلنى فى أوائل الاسبوع

المقبل • أريد أن يبدأ الصيادون فى الخروج الى البحر من جديد ،

فالسماك يكمل توريدات الطعام • وأنا متأكد من أننى سأحصل

على اذن البحرية فى أول الاسبوع المقبل •

الفصل السادس

لأدرى مدى ما يسهفه القراء عن الجنرال « مارفن » ! ربما هم لا يعرفون إلا ما قرأوه عنه في صحف يوم الاحد . وقد يظنون أنه أحد أبطال الغزو : الرجل المرح ، مدخن البببة ، المطلع على خفايا التاريخ ، الممتلئ حركة ، حامل الخطر ، الرجل الذي لا يزال يلبس المهماز بالرغم من أنه يتنقل في سيارة مصفحة ، الرجل الذي يطلق اثنتي عشرة طلقة من مسدسه كل يوم قبل طعام الإفطار ، الرجل الذي يستطيع أن يذكر اسم بطل وتاريخ كل غزوة غزت إيطاليا منذ بدء التاريخ ، والد فرقته ، ومنقذ إيطاليا المحبوب !

ولا أوم عليك إذا كونت لنفسك صورة كهذه ، فلن تعرف الحقيقة إلا من الشبان الذين يعودون إلى أرض الوطن ويبارحون المستشفيات إلى بيوتهم . ومع ذلك فالحقيقة تبتتر في أفواههم بسبب ما يحسون به من غضب .

أما أنا فاستطيع أن أقول لكم في عدو تام : ان الجنرال « مارفن » أثبت خلال الغزو أنه رجل سوء أسوأ من الناس الذين كانت جنودنا تسعى لقهرهم .

ما كاد يمر على الغزو سبعة أيام حتى كان يسير سيراً حسناً ناجحاً . فقد أمن الأمريكان نقط ارتكازهم ، وصدوا هجوم أعنف ، ثم بدت جنودنا تتقدم على طول الخط .

وفي الصباح السابع كان الجنرال « مارفن » متجها بسيارته في طريق فيشينيا مارى ، ووصل إلى مدينة ادانو . وكان سائقه

يضطر من وقت لآخر طوال الطريق الى أن يهدى سيره خلف عربات ايطاليا الصغيرة ذات العجلتين ، كى تمر السيارات المواجهة ، وبعد ذلك يجتاز العربات . وكلما مر على عربة كان الجنرال يشير بعضا الركوب التى فى يده الى أن على العربات أن تخلى الطريق . ولكن الطريق لم يكن به متسع الا الحفر الممتدة على طوله ، فلم يكن فى استطاعة العربات اخلاء الطريق . وأخذ الجنرال يغضب ثم يزداد غضبا . ولقد حدث عندما اقترب من النهر الاحمر بالقرب من أدانو ان اضطرت عربة الجنرال المصفحة لتهدئة سرعتها ، لان عربة كانت تسير أمامها فى وسط الطريق . ووقف الجنرال فى عربته وصرخ بصوته العميق المبحوح ، (ذلك الصوت الذى قرأت عنه فى الصحف ، فهو مشهور ، وقد وصفه أحد الكتاب بأنه نفير يتحدث !) : لعنة الله عليك أيتها العربة ! تنحى عن الطريق .

ولسوء الحظ كان قائد العربة شخصا يدعى « ارانتى جايتانو » ، وكان قد باع فى صباح ذلك اليوم ثلاث دسست من البيض لجنود أمريكيان بأربعة عشر ضعفا من ثمنها الاصلى ، وأغرق أغلب ما ربحه فى نبيذ صديقه « متاليانو » ، وكان فى تلك اللحظة يستمتع فوق عربته بنوم عميق سعيد ! لقد كان فى تلك اللحظة ذاتها يحلم بأنه يتلذذ بأكل أحسن قطعة من سمكة هائلة طولها تسع أقدام ! وطبعاً لم يلق بالا لصوت الجنرال « مارفن » برغم شهرته لانه لم يكن بقادر على سماعه .

وصرخ الجنرال « مارفن » فى سائقه : اضرب النفير وألق بابن الزانية هذا خارج الطريق .

وكان السائق شابا لطيفاً من ماشاشوست ، فضغط على كره منه زر النفير ! . لم يكن متعجلاً ، وكان يعلم أنه أيا كانت السرعة التى يسرون بها فان كل ما سيحدث له بعد وصولهم هو أن ينتظر .

ولم يحدث صوت النفير أى أثر فى عقل « ارانتى » وان كان

صوتا مزعجا . . . واستمرت العربية فى وسط الطريق !
ذلك ان بغل ' ارانتى ' كان دابة حذرة محتاطة للحفر التى
على يمين الطريق والتى على يساره . وكانت تلك من صفات
بغل ' ارانتى ' التى طالما باهى بها أصدقائه . وكان يقول :
لاأريد بغلا منحرفا ، انما أريد بغلا عنده فكرة توسط الطرق !
وفكرة السير فى وسط الطريق هذه ستكون السبب فى فقد
بغله ، لان وجه الجنرال « مارفن » بدأ يسود ، وأخذت بعض العروق
التى لم يحرص الكتاب على وصفها تتلوى وتدق فى جبهته !
وصاح : لقد ضقت ذرعا بهذه العربات اللعينة - وكان واقفا
فى العربية يشير بعصا الركوب التى فى يده : هل يظنون أنهم
سيعطلون الغزو الملعون بهذه العربات الملعونة ؟

واستمر « ارانتى » فى نومته الجميلة ! لقد وصل الى الجزء
الرمادى من السمكة تحت الاضلاع . وأخذت السمكة
تنوب فى فمه ، فى الحلم ، ولكنه سمع صوتا يشبه الرعد من
بعيد . لذلك بدا له فى الحلم ان يغطى السمكة ، ويعود لاكل
الباقى منها بعد توقف المطر !! وصرخ الجنرال « مارفن » :
ايظن هؤلاء الايطاليون اولاد الكلب أنهم سيوقفون مجموعة
من الدبابات اللعينة بعدد من هذه العربات الخشبية اللعينة ؟

ولاحظ الكولونيل « ميدلتون » رئيس أركان حرب الجنرال
واللفتنان « بيرد » ياوره قرب انفجار عاصفة غضب الجنرال .
ونظر اللفتنان « بيرد » الى الطريق وراءه ، فلم يقع نظره
على مجموعة - الدبابات اللعينة ، وكل مارآه معطلا خلف الجنرال
عبارة عن سيارة جيب مائية لا يبدو عليها أنها تريد التعجل .
وجاءت العاصفة ، وصرخ الجنرال : ألقوا بهذه العربية خارج
الطريق !

واصفر وجه الكولونيل « ميدلتون » واللفتنان « بيرد »
والشباب الطريف من ماشاشوست ، ولكن لم يكن فى وسعهم الآن
ان يطيعوا ! وأوقف السائق السيارة ، وخرج الثلاثة وأوقفوا

الجيب البحرية ، وضمو اليهم « الجايشية » الثلاثة الذين كانوا بها ، وقد عقدت الدهشة السنتهم . ومشى الرجال الستة في الطريق وصوت غضب الجنرال مارفن يرن في آذانهم ، ولم تكن بهم حاجة للجري ليلحقوا بالعربة فقد كان من صفات بغل ارانتى التى كان يحبها فيه أنه طيب وبطى ! وكان يقول : انه بغل يعيش فى الحاضر ولا يبرطع دائما فى المستقبل ! •

واضطرب « ارانتى » فى نومه . لقد كان الرعد الذى يسمعه فى منامه جميلا ومستمرالم يسبق له أن سمع مثله . وأحاط الرجال الستة بالعربة . وأراد الكولونيل « ميدلتون » أن يوقظ « ارانتى » . ولكن صراخ الجنرال ازداد عنفا : ماذا تفعلون ؟ لقد قلت لكم أن تلقوا بهذه العربة الملعونة خارج الطريق !

وأجاب الكولونيل « ميدلتون » : كنا نريد ايقاظ هذا الرجل وانزاله من العربة - ولكن صوته كان ضعيفا لعلمه بما سيكون الرد .

- انه يستحق • ألقوه هو أيضا • اقلبوا العربة • ولم يعترض أحد الرجال الستة ، وكان الشيء الوحيد الذى قيل هو ما همس به اللفتنان « بيرد » : ان العجوز لم ينل حظه من النوم أخيرا •

وأمسك الكولونيل « ميدلتون » برأس البغل وأداره نحو جانب الطريق ، وأشار على الحمسة الآخرين بأن يتخذوا مراكزهم بالجانب الايسر من العربة ويرفعوه عندما يعطيهم الإشارة •

وصرخ الجنرال « مارفن » : أسرعوا ! انتهوا ! يالكم من مجموعة ضعاف ملاعين •• خلصونى !

وأعطى الكولونيل « ميدلتون » الإشارة • ورفع الرجال الحمسة ، العربة •

وارتفع « ارانتى » فى حلمه فوق السمكة ذات تسع
الاقدام ، وطار فى الهواء ! وكان احساسا لذيذا !

وسمع للعربة صوت يشبه الانين ، وتفتت العجلة اليمنى
تحت محورها وسقطت العربة ببطء فى الحفرة ، والتوى
العريشان ، وأوقعا البغل ! وصرخ البغل الذى كان طول
حياته يتجنب الحفر ، اذ رأى نفسه يقع فيها .

واصطدم « ارانتى » بقوة بالارض . واستيقظ ، ولكنه
بسبب دوخانه وسكره ودهشته وغبائه المعتاد لم يستطع الا أن
يصرخ متألما .

وكان الجنرال « مارفن » هو الآخر مستمرا فى صراخه :
يستاهل ابن الكلب . لقد كان يوقف المرور محاولا تعطيل
الغزو ! ... واندفع الغيظ من جديد الى رأس الجنرال ،
وصاح : « ميدلتون » ! اقتل هذا البغل اللعين .

وجمد الدم فى عروق الكولونيل « ميدلتون » ، وقال : أنتظن
ان ذلك من المستحسن ياسيدى ؟

وصاح الجنرال : ما هذا : ياللجنة . ما هذا ؟

وكان الكولونيل يعلم أن لفائدة ، ولكنه صاح : قلت هل
تظن أن ذلك من المستحسن ياسيدى ؟

ان محاولة التفاهم مع أى رجل ، وخاصة مع هذا الرجل ،
على مسافة مائتى قدم ، وبأعلى صوت ، أمر غير منتج . وصاح
الجنرال : ما هذا « ياميدلتون » ! تحاول أنت الآخر تعطيل
الغزو ؟ افعل ماقلته لك !

وأخرج الكولونيل « ميدلتون » مسدسه ، وأطلق ثلاث
رصاصات على رأس البغل الذى كان يجعر .

وصاح الجنرال « مارفن » : فلنذهب فائنا لانستطيع أن
نمضى اليوم كله هنا !

عاد الرجال الى عربتهم المصفحة والى الجيب المائي • ولا
بدأوا السير قال الجنرال مارفين : لا بد من اعطاء درس لهؤلاء الناس •
سر بنا الى عمدة هذه المدينة الملعونة • ما اسم هذه المدينة ؟
وساروا تاركين « ارافتى » يبنى بجوار بغله ، وقد أحاط
بقذاعيه رغبة البغل الذى كان يحب وسط الطريق ويكره
السرعة !

ووقفت عربة الجنرال المصفحة أمام سراى المدينة • وجرى
اللفتانث بيرد فاخترق الرصيف العريض ، وصعد فى درجات
السلم الرخامى ، واندفع الى مكتب الميجر جوبولو ، وقطع على
الميجر حديثه مع جرجانو رئيس البوليس :
ان الجنرال مارفن بالباب ويريد أن يتحدث اليك فيحسن
بك أن تسرع •

وقال الميجر جوبولو : الجنرال مارفن ! • • • وخلا صوته من
كل • • • على السرور ، فانه وان لم يكن قد سبق أن رأى
الجنرال فقد سمع عنه •
- أنا نازل فوراً •

واستدار الليفتنانت بيرد وجرى على السلم عائداً • أما
الميجر جوبولو فأخذ يرتب أوراقه على المكتب وهو شارد الفكر ،
ثم وقف واتجه الى خارج غرفته ، وأدرك وهو فى وسط السلم
الرخامى أنه لا يرتدى لباسه الرسمى ، وكان قد سمع الكثير
عن تمسك الجنرال « ارفن » بالرداء الرسمى ، بينما هو
يلبس بنطلوناً وردياً وقميصاً كاكيا ، وكان يجب أن يكون
مرتدياً الملابس الصوفية • وأخذ شعور فجائى بالخوف •
فاستدار وأخذ يصعد فى درجات السلم ، لا يدري ماذا يفعل •
وكيف يستطيع أن يلبس الملابس اللائقة •

واقترب الكولونيل « ميدلتون » فى أسفل السلم وصاح به :
ماذا تقصد بتركك الجنرال ينتظر ؟

وأجاب الميجر جوبولو : ها نذا آت ياسيدى .
ولم يكن أمامه ما يستطيع أن يفعله الا أن يهبط درجات السلم
مسرعاً .

وعندما وصل الميجر جوبولو الى السيارة المصفحة كان الجنرال
حالسا رافعا ذراعه اليسرى أمامه محققا فى ساعة يده .
وحى الميجر جوبولو بالتحية العسكرية ، ولكن الجنرال صرخ
فى وجهه : دقيقة وعشرون ثانية ! لقد جعلتنى أنتظر دقيقة وعشرين
ثانية ! يا لعنة ! أتظن أن على أن أنتظر طول النهار ؟ من
أنت ؟

- الميجر جوبولو كبير ضباط الشئون المدنية بمدينة أدانو
باسيدى .

وتذكر الجنرال العربية ، ويبدو أن الغضب قد بلغ منه مبلغا
جعله لا يلاحظ لباس الميجر جوبولو .

- لعنة الله على هذه العربات الايطالية يا ميجر ، انها تعطل
غزونا . ابقها خارج المدينة . لا تترك أى عربية تمر من هذا
الكوبرى فى طريقها الى المدينة . ما اسم هذه المدينة اللعينة على
كل حال ؟

- أدانوا ، يا سيدى ، مدينة أدانوا .

- أدانوا . امنع دخول العربات هذه المدينة . هل سمعت ؟

- نعم يا سيدى ، سأهتم بذلك فورا .

وصاح الجنرال : فورا ؟ هذا ليس بالسرعة الكافية عندى .

- يا سيدى ، سأصعد فورا وأدعو رجال البوليس الحربى وأنبه
عليهم .

- هذا لا يكفى ! يا لعنة ! اننى أريد عملا ، أريد حركة .

لاعربات بعد الآن . ان اسم المدينة ادانو . تذكر ذلك
يا ميدلتون . أدانوا . لاعربات بعد الآن يا ميجر ، هل فهمت ؟

العمل • أريد عملا • فلنذهب لنبتعد من هنا • هل تظنون أنني سأصرف اليوم كله هنا ؟

وقبل أن يتمكن الميجر من التحية ، كانت عربة الجنرال المصفحة قد انصرفت • وعندما وصل الميجر الى مكتبه كان قد قدر النتائج المترتبة على منع العربات من دخول المدينة • انه ليعلم حق العلم مدى ضرورة العربات لحياة المدينة •

ولذلك أدار آلة تليفون الميدان الموضوعة على مكتبه بقلب حزين ، وطلب الكابتن بيرفيس رئيس البوليس الحربى باذانوا ، وأمره - باسم الجنرال مارغن- أن يمنع دخول العربات مدينة أذانوا وأن يوقفها عند الكوبرى شرقا وعند مصنع تكرير الكبريت غربا !

ثم نادى حاجبه زيتو وأمره بدعوة جميع موظفى المدينة الى مكتبه • وكان جرجانو رئيس البوليس حاضرا • وبين الآخرين « بلانكا » الموثق العجوز الامين الذى اختاره جوبولو عمدة ، وقد حضر أول من حضر • لقد كانت عيناه حزينتين شأن الرجل الذى تعذب بسبب أمانته سنين طويلة وسط الفساد • وكان يلبس بزة ورباط عنق أسودين كعادته • ثم جاء بعده « داربا » وكيل العمدة الذى يشبه العرسنة ، و « تاجليا فا » ماريشال المالية ، و « مركوريو سالفاتورى » المنادى صاحب الصوت العالى ، وسكرتير الميجر جوبولو فى شئون البلدية ، الرجل الصغير المدهن « بانتيلكونى » والسيدة « كارميلينا سبيناتو » ذات الرأس البضاوى ، ضابطة الشئون الصحية المتطوعة ، و « روتونديو » ملاحظ البوليس ، والرجل المكلف نظافة شوارع المدينة ، أكثر رجال المدينة نظافة ، « سايتنا » فى رداء أبيض •

فلما اجتمعوا وقف الميجر جوبولو أمام مكتبه وقال : لقد وعدت أن أفضى اليكم بكل اجراء هام تقرره السلطات الامريكية هنا ، فأنا لا أريد أن تصبح هذه المدينة مكانا للأسرار • ففى الحكم الديمقراطى يتعين أن يعرف كل انسان ماهو حاصل

بقدر الامكان • لقد قررت السلطات الامريكية - بسبب
الضرورات الحربية - ألا يباح منذ الساعة دخول العربات التي
تجبرء البغال الى شوارع المدينة ...

ولمخ الميجر جوبولو سامعيه وقد غص ريقهم من الحيس ،
فأضاف : لست سعيدا لاضطراري لانهاء هذا الخبر اليكم • انها
الضرورات الحربية • وأنا آسف! هذا هو الموضوع •

واستدار موظفو اداونا أسفين في طريقهم للخروج • ولم
يحتجوا • لقد تعلموا خلال سنوات الحكم الفاشستي أن
يخفوا اعتراضهم • ولكن الميجر جوبولو أحس بأنهم ليسوا
معه ، وانهم لأول مرة منذ تسعة أيام ضده •

وقبل أن يصل أولهم الى باب المكتب قال الميجر لهم : أريد أن
أقول لكم اننى سأفعل كل ماى وسعى لالغاء هذا القرار الظالم •
وعندما خرج موظفو اداونا من مكتب الميجر جوبولو كانوا
لا يزالون يشعرون بالحزن، ولكنهم كانوا معه ، واشتغل الميجر
طول يومه بالتفكير فى موضوع ذلك الامر وما يستطيع عمله فى
شأنه ، وفام ليلته قلقا بفكر فى الموضوع •

وفى الصباح دخل عليه زيتو الحاجب وقال له : يا مستر ميجر،
هنا ثلاثة رجال يريدون مقابلتك بخصوص العربات ... ولانه
كان قلقا بخصوص هذا الموضوع رد الميجر فى حدة : وماذا
يريدون منى بخصوصها ؟

وأجاب زيتو : ذلك أمر يريدون أن يقولوه لك ولم يفضوا
الى به •

- دعهم يدخلوا •

وكان مطهر الايطاليين الثلاثة يدل على أنهم فقراء ، ولكنهم
محترمون وكان مجيئهم لمقابلة الميجر يحمل فى طياته شعورا
ديمقراطيا سليما • لقد كانوا مندوبى جميع اثنى العربات،
جاموا يتعدثون الى الميجر فى أمرها • لقد كان ثلاثهم يلبسون

معاطف قديمة ، ولكنها نظيفة، ويمسكون قبعاتهم بين أيديهم .
وأحضر زيتو ثلاثة كراسي ، فجلسوا في نصف دائرة في
مواجهة الميجر

وأشار الميجر بقلمه الى أحدهم وقال له : ما اسمك ؟ - وكان
الرجل في نحو الستين ، أبيض الشعر ، تدل ملامح وجهه برغم
ما فيه من تجاعيد على فتوة الشباب . فوقف يدير قبعته بين يديه
القويتين وقال بصوت مرتفع : أفرونتي بيترويا سيدي الميجر .
ثم حيا الميجر بالتحية الفاشستية .

وقال الميجر : تكلم هنا بهدوء ، فلست أصم .
ثم اتجه الى الشخصين الآخرين وسألهما : هل بكما صمم ؟ وقال
الاثنان : لا ، يامستر ميجر .

فقال الميجر للرجل ذي الصوت المرتفع : اذن تكلم بهدوء . ما الذي
تريده ؟

وقال الرجل العجوز محاولاً أن يحتفظ بانخفاض صوته : أريد أن
أناقش موضوع دخول العربات لمدينة أدانو . أريد أن أقول لك
ياسيدي الميجر ان هذه العربات عزيزة جداً علينا . أريد أن أحدثك
عن عربتي . أنها ذات عجلتين من الخشب ياسيدي الميجر . .

وقال الميجر : لقد رأيت هذه العربات ، فلا حاجة بك لوصفها .
وحيا أفرونتي العجوز التحية الفاشستية مرة ثانية ثم قال له :
ولكن هل سمعت الموسيقى التي تنبعث من تلك العجلات يامستر
ميجر ؟ ان العجلتين الخشبيتين من عربتي تغنيان لي . انهما لاتغنيان
غناء فاشستيا يامستر ميجر . انهما لاتغنيان مارشاً حربياً . قد
تظن أن تلك الموسيقى مجرد صرير ، ولكنني أنا أستطيع أن أسمع
ما تريد العجلات أن تغنيه !

وقال الميجر : اننا مهتمون الآن بمسألة ما اذا كان يجب أن
تخترق هذه العربات أو لا تخترق الكوبري الى أدانو . وعند ما نضع

الوقت فى هذا الكلام تضيع وقت زملائك المنتظرين خارج هذا الباب •

وحيا أفرونتى تحية فاشستية أخرى وقال فى صوت أكثر ارتفاعا : لقد قدت عربتى ذات يوم فى الصيف الماضى طول الطريق الى « جيوفادى مونتى » ، وكانت العجلتان تغنيان طول الطريق أغنية هى فى الوقت نفسه تنبؤ !...

ولم يرد أحد من أصدقائى أن يصدق تلك الاغنية • هل صدقتما باصديقى ؟ - والتفت الى الرجلين الآخرين ، وهز الرجلان رأسيهما ولكن ملامحهما كانت خالية من أى معنى لأنهما كانا يفكران فيما ينتويان قوله •

وأخذ صوت أفرونتى يرتفع شيئا فشيئا كما لو كان فى العراء : أريد أن تسمع ذلك الغناء يامستر ميجر ؟

وقال الميجر : لا ، من فضلك ، تكلم فى الموضوع •

وتقهقر أفرونتى خطوتين ، وحل أزرار معطفه ، وأمسك بقبعته مادا ذراعه لآخرها ، وغنى ... لم يكن غناء ، ولكن صوته أخذ يعلو ويعلو وهو يقول :

« الأمريكان آتون لهننا ياسننيور أفرونتى ... »

« الأمريكان قوم عادلون ... »

« وبخاصة مع العربات ... »

وقال الميجر جوبولو : لاتسخرمنى أيها العجوز • فليس لدينا وقت للسخرية هذا الصباح • اننى أريد مساعدتك ان كان عندكم شئ معقول تطلبونه منى • فتكلم فى الموضوع •

وصاح أفرونتى : لقد توقفت الموسيقى ولم تعد هناك أغان •

وقال الميجر : أرجوك ، لاتصرخ هنا • يبدو أنك تظن أن الأمريكان جميعهم صم ! اننا لسنا صما • فلا تصرخ •

وقال أفرونتى بهدوء تام : لقد توقفت الموسيقى ولم تعد هناك

أغان يا سيدى الميجر • شكرا لك يا سيدى الميجر • - ثم جلس
فجأة •

ورفع الميجر قلمه وأشار الى الرجل الثانى وقال له : وأنت ؟
ما اسمك ؟

وكان يبدو على ذلك الرجل الغباء ، وكان خجولا فى طريقة
وقوفه ، ولم يكن يدير قبعته فى يديه كما كان يفعل الآخرون • •
وكان صوته بطيئا ، واحتاج لأن يفكر طويلا قبل أن يقول اسمه •
واخيرا قال : « اربا كارلو »

- وماذا تريد ؟

وتوقف « اربا » وأخذ يفكر • ونظر الى تمثال القديسة حامل
التلفون • ونظر الى علامة الصليب الاحمر على صدر الاميرة مارى
جوزيه • وفكر ثم فكر ، ولكنه لم يستطع أن يتذكر ما يريد
أن يقوله ! لقد نسى حديثه تماما •

وبعد فترة مربكة ترك الآخرون التفكير فيما يريدان قوله ،
وتقدما لمساعدة « اربا » • وقال أحدهما : قل له عن عربات الماء •
وتنهذ اربا الصعداء : اننى أريد أن أتحدث عن عربات الماء •
- ما الذى تريد أن تقوله ؟

ونظر اربا الى الصورة الكبيرة المعلقة فوق الميجر • وأخذ يدرس
تفاصيل الرسم • ولكنه لم يستطع أن يتذكر ما هو الذى
يريد أن يقوله عن عربات المياه •

وقال صديقه الآخر : صف عربتك يا اربا •

وقال اربا : أنها عربية كبيرة ، قدرة من الخارج ، ولكن باطنها
نظيف • وهى تملأ بالماء ويشرب أصدقائى الماء •

وبعد هذا المجهود الشاق تصيب وجه اربا عرقا ، وبداعليه
العجب والانتصار ، ولكنه أحس بصعوبة ما هو أت ، ونظر الى
صديقيه يطلب منهما العون •

وكان الميجر جوبولو يتميز غيظا ، ولكنه كتم غضبه وقال :
نعم يا صديقي حدثني عن عربات الماء . لقد كانت هذه احدى
صفات الميجر ، تظهر بين الفينة والفينة . لقد كان صبورا جدا
مع من يصعب الصبر عليهم ، ولم يكن يطيق صبرا على من يحاولون
اضاعة وقته .

وقال واحد من صديقي اربا : العطش . العطش الشديد !
ونظر اربا الى الميجر بنظرة مزحة تكذب جدية ما هو مقبل
على قوله . لقد كان مرحا لانه تذكر ما كان قد استعد لقوله :
أنكم لاتسمحون لعربتي بدخول ادانو . ولكن اذا لم تدخل عربتي
وباقى عربات المياه ، فان ادانو تحرم من الماء ، ويأخذ العطش
منها كل ماخذ ، وقد ازداد العطش منذ الساعة الحادية عشرة من
صباح أمس . . . أن كارميلينا زوجة فاتا الكسول تقول ان ابنتها
مستموت من العطش . وكل ذلك بسبب الكوبرى . .
والعربات . . . و . .

واستنفذ اربا ما عنده من حديث ، كما استنفدت المدينة ما بها
من ماء . والتفت الى صديقيه وقال احدهما : تحدث يا اربا
عن الامر الصادر بضرورة النظافة . .

وقال اربا : أجل . الأوامر . . ان فى أحدهما يا مستر ميجر
وقد نسيت رقمه لكثرتها . . هل للرقم أهمية يا مستر ميجر ؟
- لا يا اربا وأنا آسف لكثرة الاوامر . . ثم التفت الميجر الى
صديقي اربا ، الاكثر منه نباهة ، والاقدر على تفهم الامور فقال :
انها غلطة السلطات ، ولم اكن اريد أن أعلق أوامر بهذه الكثرة
. . انها ليست غلطتى . اننى آسف . . وليس للرقم أهمية
يا اربا .

وقال اربا : ليس للرقم أهمية . ان الامر يقول ان النظافة
ضرورية ، وان الناس يجب أن ينظفوا أنفسهم بالماء ، وان
الشوارع يجب أن تكون نظيفة . شوارعنا التى بقيت كما هي
منذ زمن . . منذ زمن من يا افرنتى ؟

وقال افرونتى : منذ زمن « بييترودى اراجونا » و « روبرتو » ملك نابولى .

وقال اربا : لقد بقيت الشوارع كما هى . والآن تطلب الاوامر تنظيفها بالماء ! لقد تراكمت القاذورات فى الشوارع منذ ذلك الوقت الذى تحدث عنه افرونتى ، وتنظيفها يحتاج للكثير من الماء ، وعربتى فى الناحية الاخرى من الكوبرى يا مستر ميجر .

وقال الميجر جوبولو : ان النظافة مهمة جدا يا اربا . لنجعل ادانو انظف مدينة فى منطقة فيشينى ماري .

واعجب اربا بالفكرة ، ولعلت عيناه سرورا وهو يقول : سنفعل ذلك يا مستر ميجر ولو كانت القاذورات قد تراكمت من عهد عيسى المسيح ! ثم انطفا بريق عينيه اذ يقول : ولكن عربتى بالناحية الاخرى من الكوبرى ، وقد قلت انها لا يمكن أن تمر . وقال الميجر : ليتكلم الشخص الثالث . أنت . ما اسمك ؟ وأشار بقلمه الى ثالثهم .

وقال اربا : شكرا يا مستر ميجر - وقفز الشخص الثالث واقفا . لقد كان بدينا ، ولكنه حسن المنظر . التصق شعره برأسه بمادة لعلها مأخوذة من شحم عربته ، وكان معطفه الاسود أجد معطف . وقال : « بازيل جيوفانى » يا مستر ميجر - وماذا تريد ؟

وتكلم بازيل بتؤدة وتصميم : ان أخطر ما فى موضوع العربات يا مستر ميجر هو الطعام . انك ترى اننى رجل يستطيع أن يتحدث فى موضوع الطعام بمعرفة (ثم مرر يده على بطنه ليبين ضخامتها) . . أن موضوع العربات هذا لا يؤذنى . اننى أشبه برجل له رصيد فى البنك . عندي ما أستطيع ان أسحب منه فى أوقات الشدة ! ولكن هناك آخرين فى ادانو ليسوا سعداء مثلى . . جاليتو بارتولوميو ، نحيف بحيث تستطيع ان تعد أسنانه ، وشفتاه مطبقتان . ولزوجة

« مانيتو » المسماة « رافاييلا » تسعة أولاد بطونهم كبيرة • ولكن
انتفاخ بطونهم آت من غازات الجوع التي تملؤها ! هل أذكر
لك آخرين نحافا جدا ؟

وقال الميجر : لا • استمر في موضوعك •

وقال بازيلى : أنا المكلف التحدث اليك عن الطعام
والعربات • أنك لم تشاهد عربتى يا مستر ميجر • هل رأيتهما ؟
- قد أكون رأيتهما ، فقد رأيت كثيرا من العربات •

وقال بازيلى : أظن أنك كنت تتذكرها • أنك تعرف كيف أن
جميع العربات صورا مرسومة على جوانبها ، صور قديسين ،
وصورا من تاريخ أدانو ، وصور الحوادث الهامة التي وقعت فى
مقاطعة فيشينينا مارى •

وقال الميجر : أقول لكم انكم لستم فى حاجة لوصف هذه
العربات • لقد رأيت عددا كبيرا منها • وبدأت أتضايق من
موضوعها •

وقال بازيلى : ولكنك يا مستر ميجر لم تر عربتى • أن على
جوانب عربتى أربعة مناظر ، كلها مأخوذة من التاريخ المقدس ،
وكلها تدور حول الطعام • منها معجزة الارغفة والسمكات ،
ومنها الغداء الاخير • • وهناك جرة الارملة التي لم تكن تفرغ
من الطعام مهما كانت الكميات التي تخرجها منها ، وهناك
العرس حيث تحول الماء الى نبيذ • وجميع الاشخاص فى
جميع هذه الصور بدينون • ولا أظن أن فى ذلك اعتداء على الدين ،
فعيسى نفسه قد صورته على عربتى بدينا • ذلك أننى طلبت من
« لوجاكونو ارتورو » الذى صور المناظر أن يرسم جميع الاشخاص
سمانا مثلى ومثل زوجتى « اليزابتا » ، ذلك لان عربتى
عربة طعام ، لتجعل الناس بدنا ومرحين • • وان وجدوا
بعض الصعوبة فى التنفس !!

وقال الميجر : ان هذا اضاعة لوقتي •

ولكن بازيلي تبين كما تبين الآخرون أن الميجر قد اقتنع .
فاستمر يقول : كيف أستطيع أن أقود عربتي حتى بين المزارع ؟
كيف أستطيع أن أعلق حصاني السمين ، المسمى « جنرال
ايزنهاور » تكريما لمنقذنا ، بين هذين العريشين ، وأضع جسمي
البدين فوق المقعد ، ثم أحترق الشوارع بصور الأشخاص
المقدسین البدن ، بين أهل ادانو الذين يموتون جوعا ؟
ولم يأت في جميع الأوامر شيء يشير إلى بغل ارانتي جايتانو
الذي نفق . لماذا إذن هذه الأوامر ؟

وقال الميجر في نفسه بالانجليزية : يا لللعنة ! ومد يده إلى آلة
تليفون الميدان ، وأدار العجلة وطلب نمرة ، وبينما هو ينتظر
الرد قال لبازيلي بخشونة اجلس . ثم قال في التليفون :
أعطني كابتين « بيرفيس » من فضلك ...

— بيرفيس ؟ هنا جوبولو . اسمع مني . ان موضوع العربات
هذا موضوع خطير ! ولقد اتخذت قرارا فيه . ان جنرال
مارفن بجملة واحدة قد هدم كل ما بنيت في تسعة أيام في هذه
المدينة . أنا أعلم أنها قد تؤدي إلى محاكمتي عسكريا ، ولكنني
صممت على الغاء أمره ..
— ... !

— ... أنا أعلم انني أعرض نفسي لمسئولية كبيرة ، ولكنني
مضطر إلى ذلك . اننا لانستطيع أن نترك هؤلاء الناس يتضورون
جوعا . انني مطالب بعمل ذلك يا بيرفيس . ان هذه المدينة
تموت ، فلن يدخل طعام إلى المدينة اذا لم تحضر العربات !
ان المدينة تعتمد على العربات في جلب الماء ، فأنت تعلم أنه لا يوجد
بالمدينة مياه جارية ، ولا يستطيع الناس الذهاب إلى الحقول في
الصباح ليعملوا ! ان منع العربات من دخول المدينة يشبه حرمان
مدينة ريفية في الولايات المتحدة من سياراتها ! انك لاتستطيع
أن تفعل ذلك دفعة واحدة ، فان الناس يموتون ! ولست هنا لاقتل
الناس .

— ...

وواضح ان الكابتين بيرفيس أبدى اعتراضا .. واخيرا

قال الميجر : يا بيرفيس اننى آمرك على مسئوليتى أن تترك العربات تدخل المدينة ، وأتحمل المسئولية الكاملة المطلقة عن الغاء أمر الجنرال مارفن ..

— ...

— اسمع يا صديقى .. اذا لم تتحمل المسئولية هنا فان هذه المدينة ستقلب فاشستية !

— ... !

— فليكن ! ولتذهب انت الى الجحيم . انها مسئوليتى أنا وقد تحملتها .

وجلس الرجال الثلاثة أثناء الحديث التليفونى لا يفقهون منه شيئا . وكانت ملامح وجوههم توحى بأنهم اعتقدوا أن الميجر جوبولو يعد لهم عقابا ، فقد اعتادوا الخوف ، وظنوا أن صاحب السلطان الجالس أمامهم لابد أن يتصرف كما كان يتصرف رجال السلطة الذين عرفوهم من قبل .

وأعاد الميجر سماعه التليفون ، واستدار نحو الرجال الثلاثة وقال : تستطيعون احضار عرباتكم للمدينة ..

وبقى الرجال فترة طويلة لا يدركون ما سمعوا ! ثم وقفوا ، وبدأوا يصيحون ، ويحركون قبعاتهم : نشكرك ! نشكرك كثيرا ونقبل يديك !

وصاح الرجل البدن بازيلي : يامستر ميجر . لم يسبق حصول شيء كهذا .. أن يحضر الفقراء الى سراى المدينة ، وأن تجاب مطالبهم .

وصاح افرونتى صاحب الصوت المرتفع : خصوصا ، خصوصا بغير انتظار أسبوعين أو ثلاثة !

وصاح بازيلي : ولم نحج لكتابة خطاب لك !

وقال افرونتى : ولم يفتشنا البوليس !

وأخيرا استطاع اربا البطيء أن يقول جملة ! لقد كانت من

أجمل وأطول الجمل التي استطاع أن يقولها ! قال : عندما يأتي
الناس ويأخذون ماء من عربتي ليرووا ظمأهم ، سأقول لهم :
اشكروا المسترميجر يا أصدقائي .

وقال الميجر جوبولو : أخرجوا • انكم تضيعون وقتي ووقت
الناس الذين ينتظرون خارج الباب • • وأشار لهم ليخرجوا •
وخرج أصحاب العربات بصبحون وبهنتون أمريكا •

الفصل السابع

كان مركز رئاسة البوليس الحربى قد اتخذ مقرا له البناء الذى كان مخصصا للحزب الفاشستى . وكان البناء عبارة عن مجموعة من الغرف تواجه شارع « دوجانا » بالقرب من الميدان ، وكانت جدران الغرف مغطاة بصور لبطولات فاشستية مختلفة ، وكان بكل غرفة مكتبان ودولاب لحفظ الملفات وثلاثة كراسى أو أربعة غير مريحة ، ولاشيء غير ذلك . وكان البناء يوافق احتياجات رئاسة البوليس الحربى ، وبخاصة مطالب الجاويش بورث ، لان دواليب الملفات كانت تحوى بيانات كاملة عن كل شخص يسكن المدينة تقريبا ، سواء كان من الحزب أو من خصوم الفاشية .

وعندما تحدث الميجر جوبولوفى الصباح بخصوص العربات ، كان ثلاثة أشخاص بمقر رئاسة البوليس الحربى : الكابتن « بيرفيس » والجاويش الفنى « فرانك ترابانى » الذى كان يتولى قيد أعمال الكابتن ويقوم بسكرتيرته ، والامباشى ، شاك شولتز ، الذى كان البوليس الحربى النوباتجى .
وانزل الكابتن بيرفيس سماعة التليفون وقال: هذا الجوبولو! اننى أظنه مجنوننا !

وقال الجاويش ترابانى : ما الذى فعله ياسيدى ؟
- مصيبة . انه يتحدث دائما عن الديمقراطية ، كما لو كانت والدته . انه فى حاجة لان يتساهل قليلا ويمرح . أراهن انه لم يسكر مرة واحدة طول عمره !

وقال الامباشى شولتز مارا بيده على بطنه : يمكنه أن يأخذ
نبيذ داجو هذا ! يالها من ليلة ليلاء !

وقال الكابتن : وهو مع ذلك يريد أن يوقعنا جميعا فى ورطة !

وقال الجاويش ترابانى : ما الذى فعله ياسيدى ؟

وأطل ايطالى براسه من الباب على سبيل التطفل ، فصاح
الكابتن : أخرج عليك لعنة الله • قل لهذه الحشرة ياترابانى أن
يخرج ويبقى خارج الغرفة !

كان الكابتن بيرفيس لا يعرف كلمة واحدة من اللغة الايطالية ،
وكان جهله هذا يغيظه • وطلب ترابانى من المتطفل أن يبتعد •

وقال الكابتن بيرفيس : لقد بلغت الجراءة بجوبولو أن يقول
للجنرال مارفن ما يجب أن يعمل بالعربات • وهو يريد ارجاع
العربات الى المدينة !

وقال الجاويش ترابانى : الواقع أن الامر لم يكن معقولا من
البداية ، وقد يكون الميجر محقا ؟

— محقا ؟

ووضع الكابتن بيرفيس كفه على خده مدهوشا وقال :

— ماذا تقول أيها الرجل • ان الجنرال مارفن سوف يعدمه
وايانا • ماذا تظنه يحدث بجيش هذا الرجل اذا كان فى مقدور
كل انسان أن يفعل ما يريد ، وأن يلغى الاوامر الصادرة ؟ ان النظام
فى جيشنا ليس من اللين بحيث يسمح بتجاهل الاوامر ،
وخصوصا أوامر الجنرالات !

لقد كان الكابتن بيرفيس قد التحق بالجيش منذ ثمانية أشهر ،
وكان نظاميا لا آخر الحدود •

وقال الجاويش ترابانى ، الذى كان يعرف ما يقول حين يبدأ
الكابتن يتكلم عن النظام : نعم ياسيدى !

وقال الكاتبن : لقد صدرت لى الاوامر على كل حال ، وسأذهب
لاجمع الحراس من الطريق عند الكوبرى ومصانع الكبريت .
ولكن ليكن فى علمك أننى لن أحرق نفسى من أجل جوبولو
هذا . انه طيب ، ولكنه جاد أكثر مما يجب . لعنة الله عليه !
كم أتمنى أن أراه ثملا ولو مرة فى العمر .

وقال الامباشى شولتز : الليلة الماضية ! يا الهى ! لن أعود
لشرب ذلك الحليب ثانية .

وقال الكاتبن : اسمعنا . اننى لأريد أن أقع فى مسئولية . ولا
أنتما . ان علينا أن ننفذ الامروندع العربات تعود للمدينة . ولكن
اذا عاد الجنرال مارفن للمرور من هذه المدينة فسنشئ جميعنا .
فلكى نغطى أنفسنا يجب علينا أن نكتب تقريراً ، نذكر فيه
ماحدث ، ونقول فيه أن الجنرال مارفن أمرنا بمنع دخول العربات
المدينة ، وأن الميجر جوبولو ألغى الامر ! . . اكتب أنت التقرير
ياترأباني وارسله لمكتب الجنرال .

— أمرك ياسيدى .

وانصرف الكاتبن بيرفيس .

وقال الجاويش ترأباني لشولتز : ان هذه المذكرة فى غاية
الخطورة ، وقد لا يعود الجنرال مارفن للمرور من هذه المدينة ،
وان مر فقد لا يلاحظ العربات . ولكن متى أثبتنا الموضوع كتابة
فتلك وسيلة لامخرج منها لحراب بيت الميجر ، مع أنه محق جداً
فى موضوع هذه العربات .

وقال الاومباشى شولتز : « أنا لأريد وجع دماغ . اننى مصدع
منذ الصباح » .

وسحب الجاويش ترأباني ورقة قرمزية من بين ملف فاشسقى ،
ووضعها فى الآلة الكاتبة ، ثم كتب :

« الى اللقتنانت كولونيل و . و . نوريس ، الفرقة التاسعة
والاربعين ، من كابتن بيرفيس ، الفرقة ١٢٣ بوليس حربى ادانو ،
الموضوع - عربات البغال بمدينة ادانو ... »

« ١ - فى ١٩ يوليو وصلت أوامر من الجنرال مارفن الفرقة
٤٩ بمنع جميع عربات البغال من دخول مدينة ادانو ، ووضع
حراس على كوبرى النهر الاحمر وعند معامل تكرير كبريت
كاكوبازمو . ونفذ الامر .. »

« ٢ - وفى ٢٠ يوليو رفع الحراس بناء على أمر الميجر فيكتور
جوبولو ضابط الشئون المدنية لمدينة ادانو ، لان العربات كانت
ضرورية للمدينة وتضررت المدينة بدونها . »

وأعاد الجاويش ترابانى قراءة ما كتبه ، ثم قال : أصغ لهذا
يا شولتز ، هل تظن أن هذا سيضع الميجر فى مأزق ؟ ثم قرأ
التقرير بصوت عال ، وقال : أظن أن هذا الجزء الخاص بحاجة
المدينة للعربات يبرر تصرف الميجر .

وقال شولتز : لماذا تهتم بأمر هذا الميجر ؟ اذا كان لا يستطيع
أن يمرح ويمرح ، فلماذا تهتم بأمره ؟

وقال الجاويش ترابانى : لغير ما سبب . الا أننى لا أحب أن
أرى شخصا فى ضيق ، بينما هو يسعى لعمل الخير .

فقال شولتز : اذن لماذا لا تجعل هذا الخطاب يضع بين
أوراق الكابتن بيرفيس . ؟ وهذا يكفي . لا أريد مضايقة ، اذ
يكفينى ما أشعر به من تصدع رأسى .

ونظر الجاويش ترابانى الى الامباشى شولتز نظرة ذات مغزى ،
ثم قام وذهب الى مكتب الكابتن بيرفيس ووضع الورقة القرمزية
فى وسط كوم من الاوراق لا يلمسه الكابتن بيرفيس عادة الا
ليضيف اليه .

وقال ترابانى لنفسه : فكرة حسنة !

وقال له شولتز : انك من أصل ايطالى . قل لى ماذا يضع
هؤلاء الايطاليون فى نبيذهم هذا بحق الآله ؟

الفصل الثامن

وفى بداية الاسبوع التالى ، دخل جيوزيبى المترجم فى شىء
من الحيرة على الميجر جوبولو وقال له : اننى آسف يا سيدى !
وقال الميجر : ولم الأسف ؟

- لقد قلت يا سيدى انك تريد الخروج مع الشقراء تينا • أنا
آسف يا سيدى !

- اننى لم أقل أبدا شيئا كهذا يا جيوزيبى • ماذا جرى
لك ؟

- يا سيدى ألم تقل لى منذ بضعة أيام انك تريد أن تقابل
والدتين ؟

- نعم وأنا أريد أن أراه •

- أنا آسف يا سيدى !

- وما دخل هذا فى الخروج مع الشقراء ؟

وغمز جيوزيبى بعينه ••• وحين يغمز جيوزيبى يتحرك أثر
الالتحام فى وجهه ، ويبدو وجهه كله نحيفا ••• وقال : لا تكايد
جيوزيبى يا سيدى !

- لا تكايد رئيسك يا جيوزيبى ••• (قالها الميجر بحدة)
والآن قل لى ما الذى حدث ؟

وقال جيوزيبى : انك تريد مقابلة والدتين العجوز • حسنا •
أست تريد الخروج مع تينا الشقراء ؟

- اننى أريد أن أقابل والد تينا ، لانك قلت يا جيوزيبى

انه احق الصيادين بالاحترام ، وأنا أريد أن يبدأ الصيادون
الصيد من جديد حتى تجداد انوما تاكله بجانب العجين والطماطم
والبادنجان • ذلك كل ما فى الأمر !

- انك تكايد جيوزيبى ياسيدى !

- أتريدنى أن أبحث عن مترجم غيرك يا جيوزيبى ؟

- فليكن يا سيدى ••• انك لا تكايد جيوزيبى •

- اننى أريد أن اقابل الرجل العجوز ، فهل تستطيع ترتيب
تلك المقابلة ؟

- ذلك ما أنا آسف بسببه !

- ماذا تعنى ؟

- ان الرجل العجوز والد تينالا يريد أن يقابلك !

- لماذا ؟ هل ذكرت شيئا عن رغبتى فى الخروج مع ابنته ؟

- لا يا سيدى ! ان الرجل العجوز توماسينو يقول أنه لم
يسبق له أن دخل سراى المدينة فى حياته • انه يبغض اللصوص
الفاشين ، ولا يعرف أنك مختلف عنهم ، ولن يحضر لهما !

- هذا أمر سهل يا جيوزيبى • سنذهب نحن لمقابلته !
(ونظر الميجر الى مفكرة مواعيده التى بدأ يحتفظ بها على مكتبه)
••• اعمل حسابك لنذهب اليوم الساعة الثالثة بعد الظهر •

وهكذا خولفت التقاليد مرة أخرى فى ادانو • فلم يسبق فى
ذكريات أهل المدينة أن ذهب موظف لمقابلة أحد الاهالى فى عمل •
فأما أن يحضر المواطن باختياره الى سراى المدينة ، أو يقبض عليه
ويؤتى به كرها !!

وفيما بين هذا الحديث والساعة الثالثة بعد الظهر كان جيوزيبى
قد استطاع أن يفضى الى عدد من الناس بموضوع هذا التساهل
من الميجر • فلما حان موعد ذهابهم الى الميناء للبحث عن
« توماسينو » العجوز كان قد تجمع جمهور غفير من الناس أمام
السراى وساروا خلف الميجر وجيوزيبى •

وسأل الميجر جيوزيبى : الى أين يحسب هؤلاء الناس أنهم
سائرون ؟

وقال جيوزيبى : انهم مجموعة من الفضوليين !

واستدار الميجر لهم وقال بالاطالية : عودوا الى منازلكم
أليس لديكم ما تعملونه فى الساعة الثالثة بعد الظهر ؟

ولكن الجموع استمرت تسير خلف جيوزيبى والميجر ...

وعند تقابل شارعى « دوجلنو وبارينو » استدار الميجر ثانية
وقال : اذا لم يكن عندكم أيها الناس ما تعملونه فى الساعة
الثالثة بعد الظهر فان عندى ما أجعلكم تعملونه . اننى أبحث
عن عمال بأجور زهيدة ، وسأجعلكم جميعا تعملون .

ولكن الجموع استمرت فى ملاحظتهما ، بل ازداد عددهم تبعا
لتقدم الميجر وجيوزيبى فى سيرهما . وكلما أطلت رأس من
شباك أو خرج فضولى من باب صاحت به الجموع تدعوه للحاق
بها :

- « تعال . ان السيد الميجر سيعقد اجتماعا للعمل فى الميناء
... يحسن بك أن تحضر ، انه سيزور توماسينو العجوز الذى
يكره رجال السلطة » ...

وهكذا يزداد العدد .

قاد جيوزيبى الميجر ومن خلفه الجموع الى الميناء ، ومروا على
السقالة الحجرية ورصيف شحن الكبريت وأرصفة مارتينو ودى
بوننتى ، حيث كانت مراكب الصيادين مربوطة .

وأحس الميجر أنه سيجد صعوبة فى مناقشة توماسينو
العجوز ، وقال لجيوزيبى : أيها المترجم . اذا لم تخلصنى من
هذه الجموع فستفقد عملك !

لذلك جرى جيوزيبى بحماسة الى الجموع ورفع يديه وأخذ
يصيح بهم : قفوا . لا تتقدموا . لقد صدر الأمر لكم بأن تقفوا .

وقالت الجموع : من الذى أصدر الأمر ؟ الرجل الذى كل
ميزته انه يتحدث لغتين ؟

لقد سارت الجموع مسافة طويلة لمشاهدة المنظر ، ولم يكن من
السهل حرمانها منه .

وصاح جيوزيبى : أرجوكم أن تقفوا ، لانكم أن لم تفعلوا
فسيفقد ريبودو جيوزيبى وظيفته !

وصاحت الجموع : وما قيمة مترجم بالنسبة لنا عندما تسنح
لنا الفرصة لرؤية شيء جديد فى ادانو ؟ .. أن هذا لم يسبق
حصوله .. ما قيمة بطالة رجل واحد ؟ واستمروا فى تقدمهم .
وصاح جيوزيبى : ان الميجر سيفغضب اذا لم تتوقفوا هنا ..
... ثم أضاف بصوت هادئ : لنتفق . اذا توقفتكم ، فسأستمع
الى الحديث وأنقل لكم كل ما يجرى فيه .

وعلى هذا الاساس قبلت الجموع أن تقف .

وكان الميجر قد وصل الى مركب توماسينو المجوز . وقد
عرفه ليس فقط لوجود رجل مقطب الجبين يجلس فيه ، ولكن
للكتابة الزاهية بحروف تتخلل رسومات من أوراق الشجر
والفواكه : « تينا » !

وقفز الميجر الى المركب .

وصاح الرجل المتجهم الوجه : فليكن يا صاحب السلطان !
أقبض على ...

وقال الميجر : اننى لم آت للقبض عليك يا توماسينو .
وأقبل جيوزيبى جريا لينصت . ووقف على الحاجز ليستطيع
أن يوصل بسهولة بين الممثلين والمتفرجين .

وقال الرجل المتجهم : لماذا تحمل مسدسك ؟ أطلق على النار
هيا . أطلق !

وقال الميجر : « اننى أحمل مسدسى باستمرار ؟ ...
وقال الرجل المتجهم : « لقد جئت لتقبض على لاننى رفضت

الذهاب لمقابلة الميجر الامريكى! وقال الميجر : « هذا غير صحيح » !

- « اذن لماذا احضرت هذا المبلغ (المرشد) زيودو جيوزيبى الذى طلب منى أن اذهب لمقابلة الميجر الامريكى ورفضت ؟ »
- « أنا الميجر الامريكى يا توماسينو » !

ولم تطرف لتوماسينو عين !
- « اذن لماذا احضرت كل هذه الجموع اذا لم تكن تريد القبض على ؟ »

- « انالم احضرهم يا توماسينو ، لقد جاءوا من تلقاء انفسهم . وأنا لا أريد هم مثلك تماما . ان كل ما أريده هو التحدث اليك فى موضوع الصيد »

وقال الرجل المتجهم : « لاأصدق ! ان رجال السلطان جميعا من نوع واحد لقد جئت لتقبض على وربما لتطلق على النار » !
وقال الميجر : « أرجوك أن تصدقنى » . . .

وصفر جيوزيبى لنفسه ، وجرى القهقرى نحو الجموع ، وقال بتأثر : « شئ مدهش ! لقد قال الميجر لتوماسينو : « أرجوك أن تصدقنى » !

وقال الواقفون فى الصف الاول : « أرجوك ؟ » أن هذا المدهش ! وقال آخرون : « ان شيئا كهذا لم يسبق حدوثه !! ان المستر ميجر يتنازل ويرجو هذا التوماسينو » !

وصاحت جموع من الخلف ! « ما الذى قاله ؟ »
وصاحت الجموع الامامية : « انه قال أرجوك يا توماسينو » !
وصاح الذين فى الخلف : « مدهش » !

وعاد جيوزيبى الى الحاجز . وكان الميجر يقول : « ان الموضوع اننى أريدك وبقيّة الصيادين أن تعودوا للصيد » . . .
وقال توماسينو : « لماذا ؟ لئلا جيوب رجال السلطة ؟ »

- « لا يا توماسينو ، بل لئلا يظنوا بطون أهالى ادانو » !
وضحك توماسينو : « رجل خير من رجال السلطة »

— « انك لا تفهم يا توماسينو ، ان الامريكان يختلفون عن
الفاشين » !

وقال توماسينو : « لقد سمعت ذلك من قبل . لقد قال العمدة
« كرابا » انه يختلف عن العمدة « مارتوليو » ، وقال العمدة
« ناستا » بعد ذلك انه سيختلف عن العمدة « كرابا » . وكان كل
الاختلاف ان الضرائب والجزية والرشوة كانت تزيد في كل مرة
عن قبل ، فما هو المبلغ الذى تطلبه أنت يا امريكى ؟ »
— « أنك قد كونت فكرة خاطئة يا توماسينو »

وقال توماسينو : « ها ها . اننى رجل عجوز أيها الامريكى .
لقد رأيت رجال السلطة يأتون ويذهبون . ولا اعتقد انك تختلف
عن الآخرين . »

وهنا غضب الميجر جوبولو وصاح فى وجهه : « أيها الصياد
العجوز ! لا بد لك أن تفهم أن شعب أذانو جوعان ، وأنه محتاج
للسمك . يجب أن تدخل هذا فى مخك الغليظ . »

وعاد جوزيبي مسرعا الى الجمهور يقول لهم : « مدعش ! لقد قال
الميجر أن شعب أذانو جوعان ويجب أن يحصل على السمك » .

وكرر الجمهور الذى فى المقدمة هذا الكلام ، ثم صاحوا بأعلى صوتهم :
« ليحيى المستر ميجر . ليحيى المستر ميجر ! »

وسأل الذين فى المؤخرة : « ما الذى قاله ؟ »

وقال الذين فى المقدمة : « انه يقول انه يجب أن نحصل على
السمك لنطعم من جوعنا »

وصاح المجتمعون فى صوت واحد : « ليحيى المستر ميجر » .
وسمع توماسينو فى مركبه ذلك النداء ، ودخله الشك :
« لماذا استأجرت هؤلاء الناس لى يحضروا ويهتفوا ضدى ؟ لن أخرج
للصيد ! »

وقال الميجر جوبولو بالانجليزية لجوزيبي : « اصرف هذه الجموع
انها تفسد كل شئ » !

ونقل جيوزيبى للجموع رغبة الميجر ، ولكنها هزأت منه : « انك مخبول يا حضرة المترجم . ان معرفتك للغتين قد أطارت صوابك » .

وقال جيوزيبى للميجر : « اننى آسف فلست بقادر على عمل شئ » !

وقال الميجر لتوماسينو : « انتظر قليلا يا توماسينو ، فأنتى سأتيت لك أننى أريد بك خيرا » وقفز الى الحاجز ، واتجه نحو الجموع ، وقال : « هل تريدون سمكا ؟ » وصاحوا : « نعم » !

- « اذن يجب أن تذهبوا لبيوتكم ، فليس من السهل اقناع توماسينو بالخروج للصيد ، وعليكم أن تختاروا بين هذه المظاهرة السخيفة وبين السمك » !

واختارت الجموع ! ان مشاهدة هذه المحادثة التى لم يسبق لها مثيل ، والحصول على بيانات من جيوزيبى ، أمر واقع ، أما السمك فموضوع للمستقبل ومشكوك فيه ! فضلت الجموع البقاء والمشاهدة .

وعندما وجد جوبولو أنه لن يستطيع أن يقنعهم بالانصراف ، سأل جيوزيبى : « ألا يوجد تليفون قريب من هنا ؟ » وقال جيوزيبى : « أظن فى مكتب ضابط الميناء ، وسأدلك عليه » .

وازدادت دهشة الجموع عندما انصرف الميجر وجيوزيبى ! أما مكتب ضابط الميناء فكان يشغله الليفتنانت البحرى الأمريكى المنوط به تسهيل مطالب ميناء ادانو ، وهو الليفتنانت « ليفنجستون » الذى التحق بالبحرية فى بداية الحرب ، والذى وضع فى طلبه للتدليل على صلاحيته لأعمال البحرية أن له بعض الخبرة بالفلايك الصغيرة . والواقع أن تلك الخبرة لم تكن تعدو التجديف مع فريق « مدرسة كنت » و « جامعة ييل » . وكان

« كروفت ليفنجستون » معروفافى « ييل » بأنه الفتى الذى يعمل لك كل شىء اذا أعجبته ، ولكنه كان يدقق كثيرا فى اختيار أصدقائه .

ولم يكن الليفتنانت « ليفنجستون » قد قرر بعد أن يحب الميجر جوبولو . فالميجر لم يدرس لا فى « كنت » ولا فى « ييل » ويشاع عنه أنه - فى وقت ما - كان كاتباً فى بلدية مدينة « نيويورك » تحت رئاسة « وولكر واوبريان » . وكان من رأى « الليفتنانت ليفنجستون » أن الجيش قد خان التوفيق بأرسال مثل هذا الرجل ليتولى إدارة مدينة مثل ادانو . وفضلا عن ذلك فعندما يقابل الميجر ضابطافى البحرية ، وعلى كتفه شريطان ، فالمفروض فى كل انسان أن يعرف أنهما للدلالة على رتبة ليفتنانت قديمة ، وواجبه أن يوجه اليه الحديث باعتباره كاتبنا !

وصاح الميجر عندما دخل غرفة الليفتنانت « ليفنجستون » :
« هالو . كاتبن . هل أستطيع أن أستعمل تليفونك ؟ »

- « صباح الخير ، ماذا تفعل هنا ؟ »

وكان فى صوت الليفتنانت خريج « كنت وييل » ما يدل على اعتقاده بأن رجال الجيش يجب أن يبقوا فى مناطق الجيش الأرضية ، ويتركوا لرجال البحرية الشواطئ .

- « وهل أستطيع أن أستعمل تليفونك ؟ » . . . لقد كان الميجر من نوع الرجال الذين تتركز أفكارهم فيما يفكرون فيه وحده .

- « بلا شك تفضل . »

وأدار الميجر التليفون ، وبينما هو ينتظر الإجابة قال لليفتنانت :
« أريد أن أنظم هؤلاء الصيادين ، ولكننى محتاج قبل ذلك لتفرقة جموع من المتظاهرين . »

وبدا أن الليفتنانت لم يسر من هذا التلخيص لنشاط الميجر .
- « هالو ! اسمع يا بيرفيس ، أريدك أن تحضر هنا ، فأن عندى

جموعاً من المتظاهرين يجب تفرقتهم . احضر مسدسك ، وأعتقد أنك إذا أطلقت ست طلقات في الهواء كان ذلك كافياً لانصرافهم لبيوتهم اننا هنا في الميناء بجوار الحاجز الغربى . . . حسناً .
أسرع . »

وشكر الميجر الليفتنانت « ليفنجستون » لاستعمال التلغون .
وقال الليفتنانت : « يبدو لى يا ميجر أن موضوع الصيد متعلق بالبحرية » . . .

وقال الميجر : « نعم ، سأعود لأراك . اننى مستعجل الآن .
شكراً للتلفون يا كابتن . وسأراك بعد قليل »

وبينما الميجر وجيوزيبى يخترقان الجموع متجهين الى الفلك « تينا » قال جيوزيبى للجميع : « اننى أنصحكم كصديق أن تعودوا لبيوتكم » . . . ولكنهم - وقد ازداد فضولهم بسبب هذه الزيارة السريعة بين الميجر وقائد الميناء - هزأوا بـ جيوزيبى : مسكين ريبودو جيوزيبى . ان معرفته للغتين قد أطارت صوابه !

وقال جيوزيبى : « فليكن . لقد نصحتكم كصديق . »
وفى الفلك « تينا » كان توماسينو على كآبته يقول : « أراك قد أعطيت تعليماتك لرجالك المتظاهرين . هيا . خذنى . ما الذى سأخسره ؟ »

- « سيعودون الى منازلهم يا توماسينو . لقد أصدرت تعليمات لاعادتهم الى بيوتهم . والآن عن موضوع الصيد ، هل تظن أن من الممكن جمع بحارة خمسة أوسنة مراكب ؟ »

وقال توماسينو : « ومن سيكون حامى هؤلاء البحارة ؟ أى مجرم ؟ »

- « حامى ؟ »

- « لمن يجب على الصيادين دفع الجزية هذه المرة ؟ »
« لا تهزأ بى أيها الصياد ، عم تتكلم ؟ »

وقال توماسينو : « هاها اهل يريد رجل السلطة أن يزعم أنه لا يعرف نظام الحماية ؟ »

وقال الميجرجوبولو بحدة : « فيم تتحدث أيها الصياد ؟ »

وتردد توماسينو وهو يقول : « الحماية ! قبل مجيئك كان علينا أن ندفع جزية الى « آنيا » مراقب المصايد وهو رجل سوء . وفي مقابل ذلك كان يحمينا ! هاها ! لقد قال « فيورنتينو » مرة أنه لا يحس بالحاجة للحماية . وفي الاسبوع الثاني احترق مركبه « ماتينا » الجميلة ، وهي مربوطة في مرساها . »

وقال الميجر : « لن يكون شيء كهذا في حكم الامريكان ياتوماسينو . هذا هو ما نريد أن نزيله . »

وقال توماسينو : « انك تكذب على ! . لا بد أن في الموضوع خدعة »

وفي تلك اللحظة حضر الكابتن « بيرفيس » بسيارته ، وقفز منها ، وجرى وسط الجموع وصرخ فيهم : « انصرفوا يا أولاد الحرام فورا . اذهبوا من هنا » . . وسحب مسدسه وأطلق ست طلقات في الهواء . وتفرقت الجموع فورا . وصاح صائح : « الايمان ! » وصاح أحدهم : « لقد عاد الفاشستيون ! »

وصاحت امرأة : « لقد قضى الامر » .

وصرخ رجل : « لقد أصبت » ، وهو لم يصب طبعا ، فقد كانت جميع طلقات الكابتن « بيرفيس » في الهواء . . .

وفي أقل من عشرين ثانية ، كانت الجموع قد تفرقت في شوارع « ادانو » ولم يبق في الميناء عند رصيف « بوننتي » الا الدخان الذي تطاير من مسدس « بيرفيس » . وعاد الكابتن الى سيارته وانصرف .

وأقلقت الطلقات توماسينو فقال : « لقد جئت لتطلق على النار . وقفز واقفا : « لقد كنت موقنا أن في الامر حيلة . انك تريد قتلى . »

ولكن الميجر جوبولو طمأنه بقوله : « ان المقصود التخلص من المتظاهرين ، وكل ما أريده هو أن تخرجوا للصيد يا توماسينو . »

وقال توماسينو : « فى الامر خدعة » - وجلس .

وقال الميجر : « اننا فى حاجة لنصف دسنة مراكب ، فهل تستطيع المساعدة ؟ »

« لمن ستدفع جزية الحماية ؟ وما قدرها ؟ »

- لن تدفع جزية للأمريكان يا توماسينو .

- « لاحماية . ولاضريبة . ؟ اننى لأصدق . وماهى الضريبة التى يجب أن ندفعها على مجموع صيدنا ؟ »

- « لن توضع ضريبة على ما تصطادونه يا توماسينو . سيكون عليكم فقط أن تدفعوا الضرائب القانونية . صحيح أن أرباحكم ستحدد بخمسة عشر فى المائة مما تأخذونه ، أما الباقي فيجب صرفه مرتبات للصيادين ولصيانة المراكب . »

- « لاحماية ؟ ولاجزية ؟ ولاضرائب خاصة ؟ انك تهزأ بى أيها الأمريكى . »

- « لم أهزأ بك أيها الصياد . ان وظيفتى أن أدير هذه المدينة ، واعتبر من واجبى أن أستبقى سكانها أحياء ، وهم ليس لديهم ما يكفى لطعامهم ، فأنا محتاج للسماك من أجلهم . ولذلك أريد منكم أن تخرجوا للصيد . لماذا اذن أسخر منك ؟ »

ووقف توماسينو وقال : « أيها الأمريكى . لقد بدأت أعتقد انك تختلف عن الآخرين . »

وتجاهل الميجر هذا التنازل ، وقال : « أريد أن تصبح يا توماسينو رئيس صيادى ادا نو . . . لن أترك مجرماً مثل . . . ماذا قلت اسمه »

- « آنيا »

- « لن يكون هناك « آنيا » على رأس الصيادين . اننى أريد أن يرأس الصيادين صياد منهم . »

وكاد وجه توماسينو الحزين ينفرج عن ابتسامة وهو يقول :
« ان ذلك يكون عدلا . ونحن الصيادين لاسـابق علم لنا
بالعدل » . وفكر الرجل الحزين لحظة ثم قال : « لا أستطيع . »
- « ماذا ؟ » -

- « لاننى سأصبح واحدا من ذوى السلطان ، وهو الشئ الذى
كرهته طول حياتى . »

- « ولكنك سلمت الآن يا توماسينو اننى اختلف عن رجال
السلطة الآخرين . وأنت أيضا تستطيع أن تختلف . تستطيع
أن تجعل سلطانك يبدو نابعا من نفس الاشخاص الذين تسيطر
عليهم . وبعد لحظة يا توماسينو ينبعث ذلك السلطان منهم حقا ،
وما أنت الا آلة لتنفيذ ارادتهم . ذلك ما يريد الامريكان أن يعلموه
لكم أنتم الذين عشتم تحت سلطان أناس ظنوا أنهم هم منبع
السلطان . »

وفكر توماسينو طويلا ثم قال : « أن هذا حسن لدرجة لا تعقل !!
لا بد أن فى الامر خدعة . »

- « نعم ان فى الامر خدعة . وتلك الخدعة هى أن بعض الناس
ليسوا من الطيبة بحيث يستفيدون من ذلك الوضع، وهذا
ما يفسد الفكرة . وهنا الآن فى هذا الغزو لدينا جنرال سيء .
هو الجنرال « مارفن » . انه يعتقد أنه شئ يستحق أن يعبد . ولدينا
آخر قد لا يكون طيبا - فلست متأكدا - وهو أقرب اليـنا من
الجنرال، وأعنى به كابتن البحرية الذى يدير هذا الميناء . انه شاب
صغير مغرم بالسلطان . ويجب علينا يا توماسينو أن نحصل على
تصريح منه قبل أن نستطيع الخروج أنت والآخرى للصيد . »
وقال توماسينو غاضبا : « من هذا الشاب المحب للسلطة ؟ اننى
أحطم رأسه بحربتى . »

وبدا على الصياد كمالو كان يعنى ما يقول .

- « لنذهب ونتحدث اليه » -

وهكذا سار الميجر وتوماسينو لمقابلة الليفتنانت « ليفنجستون »
فى مكتب قائد الميناء . وكان غاضبا بسبب المقابلة
التي قابله بها الميجر لانه كان مستعجلا . ولم يكن الليفتنانت
ليفنجستون مستعدا لاجابة أى طلب لرجل فظ من رجال الجيش .
ولكن الميجر جوبولو ، وكله منصرف لفكرته ، لم يلاحظ حالة
الليفتنانت ليفنجستون ، وهوى يدخل عليه مع توماسينو ، وصاح
بمرح : « هالو ياكابتن . هاقعدت ! »

وقال ليفنجستون دون سرور : « ذلك ماأراه ! »

— « وهذا توماسينو رئيس الصيادين هنا »

ولما سمع توماسينو اسمه حيا الكابتن بالتحية الفاشستية .

وقال الليفتنانت - ليفنجستون : « هل يسمح الصياد العجوز أن
يجلس على كرسي خارج المكتب ؟ ان من قواعدى ألا أسمح لايطالى
بالدخول الى هذا المكتب . »

وقال الميجر جوبولو « انه لامانع عند توماسينو ، ولكنى
أمانع . ماهذه الطريقة لادارة مكتب فى مدينة ايطالية ؟ » ولما
سمع توماسينو اسمه حيا الليفتنانت بالتحية الفاشستية
مرة أخرى .

وأجاب الليفتنانت ليفنجستون ببرود : « لاأدرى كيف تديرون
مكاتبكم فى الجيش ياكابتن ؟ ولكن فى البحرية لدينا مانسميه أمن
الدولة . ولانستطيع أن نتساهل . »

فقال الميجر جوبولو : « غاضبا الى الجحيم ذلك الامن . اننى
أضمن توماسينو . » . .

وحيا توماسينو . لقد كان يكره السلطان ولكنه يعرفه حين يراه .

وقال الليفتنانت بغضب : « ومع ذلك فهذا مكتبى ياميجر ! »

وقال الميجر : « فليكن . ولكن هذه مدينة توماسينو . » . . .

وحيا توماسينو .

وقال اليفتنانت : « ما الذى تريده ياميجر ؟ »

فقال الميجر جوبولو : « أريد تصريحاً من البحرية بخروج ستة من فلك الصيد ليأتوا بسماك لمدينة أدانو » .

وقال اليفتنانت ليفنجستون : « مستحيل » .

وقال الميجر جوبولو : « ولماذا الاستحالة ؟ »

وقال اليفتنانت : « لان ذلك يتطلب أدنا من قائد البحرية فى ايطاليا الذى لا بد له من عرض الموضوع على القائد العام للمنطقة الشمالية الافريقية ، وكلاهما أميرال . فليست هناك وسيلة للحصول على الاذن » .

— « وهل من الضرورى طلب الاذن من الاميرالات؟ الا يتركون لكم أية مسئولية ؟ »

وقال اليفتنانت ليفنجستون بهدوء أوناة : « لا يمكنك أن تفهم . هذه مشكلة تتعلق بالبحرية » .

— « اسمع يا لفتنانت اننا فى هذه الحرب الملعونة سويا . ما الذى يمر بخاطرك ؟ » .

— « كيف تستطيع أن تعلم أن هذا الرجل ليس من البحرية الايطالية ؟ كيف تستطيع أن تعلم انه ليس أجيراً للاسطول الالماني ؟ كيف تستطيع أن تعرف أن كل ما يريده هو للصيد ؟ » .

ولم يستطع الميجر جوبولو من فرط غضبه أن يضحك ، ولكنه قال : « توماسينو ؟ هل سبق لك أن تحدثت الى توماسينو ؟ » .

وحيا توماسينو تحيته . . .

وقال اليفتنانت : « هل يستطيع التحدث بالانجليزية ؟ »

ولم يطق الميجر جوبولو صبرا : « اسمع يا كابتن . ان هذه المدينة جائعة . انها محتاجة الى السمك . انها لا تحصل على شئ يسد رمقها . أن الناس هنا على وشك الموت جوعاً . هل ستسمح لهؤلاء الناس بأن يخرجوا للصيد أو لا ؟ » .

ودهش الليفتنانت من حدة الميجر : وقال فى نوع من الدفاع:
قد يضطدمون بالغام طافية ويقتلون » :

— « فليكن • اننا فى حرب • ويجب أن يموت بعض الناس
ليجيا البعض الآخر • هل ستسمح لهؤلاء الناس بالخروج
للصيد أو لا ؟ » •

وقال الليفتنانت فى تردد : « لاظن أنه يجب على أن أفعل »
وقال الميجر جوبولو : « اذا لم تسمح ياكابتن لهؤلاء الناس
بالخروج فسأرسل خطابا مستقلا بين فيه اسم كل شخص يموت
جوعا فى هذه المدينة لرئيسك ، وأقول فى كل خطاب انها
غلطتك » •

وقال الليفتنانت : « ربما نستطيع أن نعمل شيئا » •

وقال الميجر جوبولو : « لاشك أنك محق فى أننا نستطيع
أن نفعل شيئا • اننى أريد منك أن تعد لغد الغد ست خرائط
تبين الجهات التى تستطيع أن تذهب اليها مراكب الصيد من
غير أن تضطدم بحقول الغامنا • وليس من الضرورى أن تبين
مواضع الالغام • وسأعمل على أن يلتزم هؤلاء الرجال تلك المناطق •
أعد الحوط لغد الغد » •

وقبل أن يتمالك الليفتنانت ليفنجهستون — خريج كنت وييل
نفسه قال للميجر جوبولو الموظف فى بورى تمانى : « نعم •
ياسيدى » •

وخرج الميجر جوبولو مع توماسينو قبل أن يتمكن
الليفتنانت من استرداد وعده •

وبعد أن خرجا قال توماسينو . « اننى أكرهه • ما الذى قاله ؟ »
وقال الميجر : « سخافات كثيرة الا فى مسألة واحدة وهى أنكم
اذا خرجتم للصيد فقد تصابون اذ قد تضطدم مراكبكم بلغم
أمريكى » •

وقال توماسينو: «وماذا يهم ، سأخرج للصيد يامستر ميجر
لو كنت تعلم مقدار حزن صيادي » ادانو « ! ان كل ما نطلبه من
الدنيا هو أن نخرج للصيد . اننا سنخرج للصيد ، ولو
اضطررنا لدفع رشوة لرجال السلطة ، وأنت تقول اننا لسنا
في حاجة لذلك ، فشكرا لك يامستر ميجر . »

وقال الميجر ، وقد قرر في نفسه أن يعمل عملا : « لا
ياتوماسينو ، بل أنا الذي أشكرك لقبولك تعهد أمر الصيادين ،
وأقبل يدك . »

ونظر توماسينو لرجل السلطة هذا وقال : « انك تختلف عن
الآخرين . » ثم جرى الرجل العجوز على رصيف « تينا »
وصار يصيح وهو يجرى : « سنخرج للصيد . سنخرج
للصيد . »

الفصل التاسع

دق جرس التليفون :

« هنا الميجر جوبولو من حكومة الحلفاء العسكرية » .

« يا جوبولو أنا سارتوريوس فى فيشيننا مارى » .

« هاللو يا كولونيل » .

« بخصوص الجرس » .

« نعم . أى توفيق ؟ »

« سأقول . لقد عثرت على البيانات فى خمس عشرة دقيقة .

يا الهى . ان هؤلاء الفاشستين يحتفظون بالبيانات الخاصة بمثل هذه الاشياء - مدينة مدينة - وكل ما احتجت اليه هو أن أنظر فى الملفات تحت كلمة ادانو . ولكن هؤلاء الايطاليين كانوا يسرفون فى الاعمال الكتابية . لقد كان عليهم أن يبلغوا المديرية عن أبسط حادث !

وقال الميجر جوبولو : « وماذا وجدت عن الجرس ؟ »

« لقد وجدت ثلاثة قيود فى الملف » .

« هل نستطيع أن نستعيد الجرس ؟ ذلك ما أريد أن أعرفه »

ولكن الكولونيل ريتشارد سارتوريوس كان رجلا منتظما .

فقال : « القيد الاول مؤرخ فى ١٥ يونيو ويقول ان الجرس وصل من ادانو على عربة بغال ، وأن تغليفه كان ضعيفا ووجب تغليفه من جديد ، وأخذ ذلك ثلاثة أيام » .

« وأين الجرس الآن ؟ هل وجدته ؟ »

- « والقيد الثاني مؤرخ في ٢٢ يونيو ويقول ان الجرس وضع على ظهر الباخرة « الكوري » القاصدة ميلانو عن طريق جنوا .
ومرسل الى مسابك أسلحة في كوراتا ٤٣ شارع اداموسولينى بميلانو » .

- « لعنة الله عليهم لقد شحنوه » .

- « ليس هذا فقط ، بل ان القيد الثالث يقول : ان المسابك في ٤٣ شارع ادا موسولينى في ميلانو - هل تتصور تسمية شارع باسم هذه الخرعة - قد تسلمته - ان هذا القيد في ٢ يوليو . انى أخشى أن يكون جرسكم قد أصبح الآن كتلة مدفع يا جوبولو » .

- « يال سوء الحظ » .

- « على الاقل لقد وجدت لك البيانات » .

- « هذا خبر محزن جدا » .

- « اننى آسف ولكننى مسرور اذ عثرت لك على البيانات » .
« أن كل ما كان الكولونيل سارتوريوس ينتظره هو كلمة شكر ، ولكن الميجر جوبولو الذى لا يفكر الا فى موضوعه قال :
« ان الناس هنا سوف تنفطر قلوبهم » .

- « هل هذا سيحدث حقا ! ليكن » . « وأقفل الكولونيل سارتوريوس التليفون غاضبا .

الفصل العاشر

فى ذات اليوم الذى نزل فيه العمدة « ناستا » من مخبئه فى التلال ، نبتت عند الميجر جوبولو فكرة أن أهالى « أدانو » مغتبطون بدخول الامريكان الى مدينتهم .

كان الميجر جوبولو يتناول طعام الغداء مع كابتن بيرفيس فى مطعم « بسكاتورى » . وكان جوبولو وبيرفيس يختلفان كل الاختلاف أحدهما عن الآخر ، ولكن بدأت بينهما محبة مشتركة . ولعل السبب فى ذلك أنهما ضابطان وأمريكيان ، ولا أهمية لما كان يفصل بينهما فى بلادهما ، فهما هنا يستطيعان أن يتبادلا آراءهما ، ويضحكان سويا ، ويفهم كل منهما الآخر . وكان الأخ بيرفيس لا يزال مغرما بأن يرى الأخ جوبولو سكرانا ، وحتى هذه الرغبة التى بدأت مريرة قد أصبحت الآن موضع المزاح والتسلية .

وكان الطعام فى مطعم « بسكاتورى » خير ما يوجد فى « أدانو » ، وقد اعتاد الميجر والكابتن أن يتناولوا طعامهما بانتظام فيه . ولم يكن فى الطعام ما يستأهل الكتابة عنه الى الاهل فى الوطن ، ولكنه - على كل حال - أفضل من الجراية ! كان طعام العشاء هو بعينه طعام الغداء ، لا يتغيران : مكرونة بصلصة طماطم ، باذنجان مقلى ، وقليل من الجبن ، وعجة ، وعيش ، وفاكهة ، ونبيذ أحمر . وكان يتردد على المحل تسعة زبائن منتظمين ، هم ، فيما عدا الميجر والكابتن ، صاحب المحل ، وزوجته ، وابنه ، ومومستان من المدينة ، ورجلاههما اللذان كانا

يختلفان من طعام لآخر • وفى كل مرة كان الميجر يقول وهو يجلس : « سأخرجهم من المدينة ذات يوم ، ولكن الملاحظة تكررت حتى أصبحت أشبه بدعاء يسبق الاكل ، ولم يعد من المنتظر أن يحقق الميجر وعيده •

وكان يحضر - عند كل طعام - بعض الصياع لسماع اذاعة روما ساعة الظهر ، وفى الساعة السادسة والنصف •

وفى اليوم الذى وصل فيه العمدة « ناستا » من التلال ، كان الميجر والكابتن بيرفيس قد انتهيما من تناول المكرونة ، وأخذا يتحدثان عن رجل الاسطول ثقيل الظل •• ليفنجستون ، عندما سمعا ضجيجا غير معتاد فى الشارع ، وصراخا وصفيرا يدلان على الغضب •

وكانت اذاعة روما مسموعة فى تلك اللحظة تذيع بيانات مليئة بالسخف ، ولذلك تصور الميجر جوبولو مصدر الضجيج وقال : « اظن ان هذه جماعة من أندية ما بعد العمل يستهزون بالراديو • لقد سمعت أنهم فعلوا ذلك منذ يومين ، وهذه أول مرة أسمعهم • »

وقال الكابتن بيرفيس : « ولم لا يشترك الفجر الموجودون هنا فى هذا الصراخ • ماذا يظنون أنفسهم • قل لهم يصرخوا يا صديقى »

ولكن الضجة فى الخارج أخذت ترتفع وتقترب • وفجأة جرى عدد من الصيغ الذين كانوا يستمعون الى الاذاعة فى المطعم • ولما ازدادت الضجة جمعت المومستان كمية من الفاكهة وجرتا وجرى خلفهما الرجلان اللذان معهما • وكذلك جرى الى الخارج صاحب المحل وزوجته وابنه ، وأفواهم مليئة بالمكرونة والباذنجان •

وأخيرا قال الميجر جوبولو : « لنذهب فنرى ما هو حاصل ! » وهكذا خرج هو والكابتن يحملان فى أيديهما « فوطيتيها » • ووقع نظراهما على رجل - فى وسط الشارع - يسير متخاذلا • كان

قصيرا وبدينا ، وملابسه قذرة ممزقة ، وحذاؤه موحل ، ووجهه
حزين . وكان يسير الهوينى وقد تدلت رأسه . وكان فى جسمه
مظهر واحد يدل على التفاخر هو نظارة وجهية على أنفه الضخم .

وكان يسير خلف الرجل وعلى مسافة منه - كما لو كانوا يخشون
سلطانة الديناميتى - جموع من الناس يصيحون ويصفرون
استهزاء !! وكانت سخرية الجموع أقوى عشرات المرات مما
كان يجب أن تكون ، لان هذه هى المرة الاولى التى استطاع أهالى
« أدانو » أن يظهرُوا احساسهم نحو هذا الرجل . حتى فى داخل
منازلهم وأبوابهم مغلقة ، لم يكونوا يجراؤن على التحدث عن العمدة
« ناستا » ، فقد كانت له آذان تسمع فى كل بيت رعيون تطل
من كل شباك ! وكانت عقوباته وحشية قاسية .

أما الآن فهم يهتفون بما يعتقدون .

وكانت الجموع تصيح : « خنزير فاشستى » . ذلك كان نداءهم
الذى أكثرُوا منه .

ولكنهم كانوا يصيحون أيضا : « ان القاتل يعود دائما لمكان
جريمته »

وكانوا يصيحون أيضا : « أين كرباج العمدة « ناستا » ؟ »

ومن الغريب أن المومستين هتفتا أيضا ، وكان فى هتافهما
شئ من التفاخر وهما تقولان : « يا ابن المومس !! »

وكان بين الجموع قسيس صاح فى وجهه : « يا كافر ! »

وكان بين الجموع أطفال يهتفون وهم يجرون من هناك لهنالك :
« يا خنزير . يا خنزير . يا خنزير ! » .

وقارب غضب الجمهور العنف . وعندما اقترب العمدة التعس من
مطعم « بسكاتورى » رفعت احدى المومستين ذراعها وقذفته ببرقوقة
لم تصبه وتبعثرت على أرض الشارع !

وقذفه غلام فى الثانية عشرة بحجر ، ثم بدأت تطير فى الجو

قطع الاحجار ، وانقلب صياح الغضب المكبوت طويلا الى دعوة
للانتقام .

ونظر الكابتن بيرفيس الى الميجر جوبولو الذى قال :
« يجب أن نضع حدا لهذا »

لم يكن الكابتن بيرفيس بالرجل الحاذق ، ولكنه كان لا تنقصه
الشجاعة ، فاندفع الى الشارع بين العمدة «ناستا» والمتظاهرين ،
ورفع يده وصرخ فيهم : « قفوا . قفوا . أيها الجهلة . »

واستمرت الجموع فى تقدمها وقذف الكابتن بحجر أصابه خطأ
وهو فى طريقه الى العمدة «ناستا» !

وأخرج الكابتن بيرفيس مسدسه من جيبه ، وكان ذلك كافيا .
فاحتجز الذين فى المقدمة من خلفهم ، ووقفت الجموع فى
الشارع . واتجه الكابتن بيرفيس الى جانب الطريق .

ولما أحس العمدة «ناستا» بأنه أنقذ ، اتجه الى جانب الطريق
يشكر منقذه الأمريكان : «يا الله . انكم أصدقائي ، شكرا لكم
لانقاذى من هؤلاء الجاحدين ! لقد خدمتهم سنين طويلة ، وانظروا
كيف يتصرفون ! أننى وحيد أيها السادة الأمريكان ! لقد بقيت
فى التلال بمفردى أياما طويلة ، ولم يشأ أحد أن يبقى معى .
ولقد سلم الآخرون جميعا أنفسهم . ولقد فكرت فى كل
شئ . اننى أريد أن أخدمكم ان أمكننى » ..

واستمر يثرثر وصوته يرتفع ويرتفع .

وصاح واحد من المتظاهرين : « اذا ساعدتم هذا الرجل يامستر
ميجر فلستم أصدقاءنا » .

وتصرف الميجر جوبولو بسرعة لينقذ الموقف . وسار الى منتصف
الشارع ، ثم رفع يده مطالباً بالسكوت ، وحرص على أن تكون
يده اليسرى حتى لا يظن أنها تحية فاشية . ثم صاح فى
الجموع :

« انصرفوا الى بيوتكم أيها الناس ، فساتولى بنفسى أمر هذا الرجل كما يستحق • انه مقبوض عليه ! »

ثم قال بالانجليزية للكاتبين بيرفيس : « أقبض عليه يا بيرفيس • اظهر لهذه الجموع أنك تقبض عليه »

وكان هذا هو الشيء الذى يجبه الكاتبين بيرفيس • وبينما هو يضع يده بقوة على كتف العمدة « ناستا » ، قال : « لعنة الله ، ليتنى أفهم الايطالية • ان هذا الشيء عظيم ! »

وانصرفت الجموع تدريجيا وهم يتمتمون غاضبين لحرمانهم من الانتقام •

وقال بيرفيس : « ومن هذه الحشرة يا ترى ؟ يا الهى • كم يكرهونه ! اليس كذلك ؟ »

وقال الميجر جوبولو : « انه الشخص الذى كان عمدتهم »
« ها ها • انه هو • حسنا ! هناك أسباب عديدة تبرر كراهيتهم له طبقا لما يقوله بورث • • » ورفس بيرفيس العمدة « ناستا » فى مؤخرته لمجرد أنه لا يستطيع أن يقول له بالايطالية : « انك ابن حرام ! »

وسأل العمدة ناستا بالايطالية وهو يبكى : « ماذا ستفعلون بى ؟ ان كنتم ستقتلوننى فبالله عليكم قولوا لى • لا تطلقوا النار على من الحلف • »

أما الذى فعله الميجر جوبولو بالعمدة ناستا فهو أنه أخذه الى مكتبه • وقد أظهر الجميع امتعاضهم لرؤية العمدة ناستا ، حتى زيتو الصغير الذى سبق له العمل معه ، وحتى داريا وكيل العمدة الذى يشبه العرسة ، والذى سبق له العمل معه أيضا • وأبدى بعضهم ملاحظات مهينة على مسمع منه •

ولما انتشر خبر عودة العمدة ناستا فى السراى اطل عدد كبير من الناس من باب غرفة الميجر التى كانت فى وقت من الاوقات

مكتب العمدة ، ليلقوا نظرة عليه في حالته المهلهلة ، ويسخروا منه في وجهه .

وقال الميجر جوبولو لزيتو وجيوزيبي : « اننى أريد أن أحادث العمدة ناستا على انفراد . اذهبوا قولا لشاغلي المكاتب الأخرى اننى لا أريد أن يزعجنى أحد ، ولا بفتح هذا الباب أو بوضع الأذان على ثقب المفتاح ! »

وقال زيتو : « نعم يا مسترميجر »

وقال جيوزيبي : « لا يامسترميجر »

وجلس الميجر جوبولو على مكتبه وقال بحدّة : « اجلس . »
وجلس العمدة على أحد الكراسى المواجهة للمكتب .

وقال الميجر جوبولو « ما الذى تريده ؟ »

ومر العمدة ناستا بيده بخنوع على خشب المكتب ثم قال : « انه ليدو غريبا ان ارانى جالسا على الناحية الأخرى من المكتب ! »
وقال الميجر جوبولو « وقد يبدو أكثر غرابة الجلوس فى الناحية الأخرى من أعمدة السجن ! ما الذى تريده ؟ » ورتب العمدة ناستا وضع نظارته على انفه ، ولكنه لم ينظر الى الميجر جوبولو وهو يقول : « كل ما أطلبه ان أعطى فرصة ، يامسترميجر . »
وقال الميجر جوبولو غاضبا : « تريد فرصة . وهل أعطيت أنت لائى أحد فرصة ؟ »

وقال العمدة ناستا : « لقد فكرت فى ذلك طويلا . لقد بقيت فى وحدتى أياما طويلة . لقد فكرت فى الامر يامستر ميجر واود ان اخدم ان استطعت . »

- « ماهى مدة شغلك لمنصب العمدة ؟ »

- « تسع سنوات يامسترميجر »

- « لقد فكرت فى الامر بعد تسع سنوات من شغلك للمنصب ! بعد تسع سنوات رشوة وسرقة واذلالا لهؤلاء الناس ، فكرت وتريد ان تساعد ؟ هل تريد حقا ؟ »

- « ان عندك فى هذا المكتب فاشيين آخرين • لقد رأيت وجه « داربا » منذ لحظة • ورأيت « تاجليا فيا » الذى كان مدير ماليتى • ورأيت « جرجانو » رئيس الشرطة • اذا كنت تستطيع ان تستعملهم ، فلماذا لاتستعمل ناستا العمدة ؟ »

- ان عندى عمدة جديدا خيرا من العمدة السابق ؟
وكانت هذه جارحة !

- « ومن هذا العمدة ؟ »

- « الموثق بللانكا • رجل أمين أكثر أمانة من العمدة السابق ! »
وقال العمدة السابق : « نعم لاشك أن بللانكا رجل أمين • ولكن لاشك أن عندك ماتكلف به ناستا • اننى أقبل أى عمل أقل من العمدية »

ودعك ناستا خشب المكتب باشتياق .

وظهر الغضب فى عينى الميجر جوبولو ووقف فجأة يقول :
« تقبل ؟ اتقول تقبل ؟ نعم ان لدى شينا اكلفك أداءه : وهوان تقدم نفسك كل صباح الى الجاويش « بورث » من الجيش الأمريكى • وستجده فى مكتب الفاشية • ذلك كل ما هو مطلوب منك عمله يوميا • ولكن اياك الاتعمل فانك تتعرض للسجن • »
- « هل تريد أن تقول ان ناستا أصبح مشبوها عاديا ؟ »
- « اذن ناستا يعلم طريق وضع الناس فى قائمة المشبوهين ! ان هذا لظريف منك • لقد كنت أعتقد ان عقوباتكم احنق من ذلك • ! »

وقال ناستا : « أرجو لك ان تكون كريما معى • كلفنى اى عمل ! »
- « كريما ؟ بالله يا ناستا ماذا تنتظر ؟ انك تستحق بسبب الجرائم التى ارتكبتها ضد سكان ادانو أن تقتل بالرصاص فوراً دون محاكمة • وأنت اكنت تمكن أحدا من محاكمة عادلة الا اذا كانت تعود عليك بالنفع ؟ اننى أكثر من كريم • »

اننى اضحك مشبوها ، فاجتهد فى أن تتصرف بعقل ايها الفاشستى
وتذلل العمدة ناستا وقال : « نعم يامستر ميجر • ما هو اسم
الضابط الامريكى الذى يجب أن أقدم له نفسى ؟ »
- « اسمه بورث • وهو ليس ضابطا ، بل جاويشا • انك لا
تستحق ضابطا ياناستا ! »
- « نعم يامستر ميجر • »

وهكذا صار العمدة ناستا يقدم نفسه كل صباح للجاويش
بورث فى مكتب الحزب الفاشى • • ولأن اربعة أو خمسة أشخاص
كانوا يتبعون العمدة حيثما يذهب ، من باب الفضول أو
الحقد ، فقد كان هناك مستمعون قليلون عندما ذهب يبلغ عن
نفسه لأول مرة عند الجاويش بورث • ولقد استمتع المستمعون
بما راوا وسمعوا لأن مثل هذه المواقف كانت غداءا للجاويش
بورث الذى كان ينظر للحرب كلها على أنها تسلية •

ودخل ناستا المهلهل الى أحد مكاتب البوليس الحربى ، ورتب
وضع نظارته وقال : « أين استطيع أن أجد الجاويش بورث ؟ »
- « انا بورث »

- « وأنا ناستا »

ووقف بورث وفرك يديه وقال « هو هو • أذن انت العمدة ؟
لقد فهمت أنك جئت لادانو تستغفر عن خطاياك ! هل هذا
صحيح ايها العمدة الشريف ؟ »

« لقد طلب الى أن أبلغ عن نفسى هنا كل صباح ، وقد جئت
لأبلغ لا لأحقر يا جاويش »

- « يجب أن تدعوني مستر جاويش »

وزنخر العمدة ناستا لكثرة ما اعتاد أن يزنخر • وقال له
بورث بحدة : « أسمع يا ناستا اننى أعرف عنك أكثر مما تعرف
عن نفسك • فأحترس فى أسلوب تصرفك هنا ، واجب عن سؤالى

بأدب : هل صحيح أنك جئت لادانو لتستغفر من خطاياك ؟
واصفر وجه العمدة من الغضب ولكنه قال : « أظن أنك
تستطيع أن تقول ذلك ! »

وقال بورث في كثير من الأدب : « شكرا . في هذه الحالة
ستستغفر في صباح كل يوم عن واحدة من خطاياك كلما تقدمت
للجاويز بورث . هل تود أن تختار أنت خطيئتك أم تترك
للجاويز بورث اختيارها ؟ »

ولم يستطع العمدة ناستا أن يمنع نفسه عن الزنخرة !
وقال بورث بمزيد من الأدب : « حسنا . تفضل أن يختار بورث
لك . حسنا . لننظر . في هذا الصباح سنناقش خطيئتك المخجلة
بهروبك من مركزك أمام الغزو الأمريكي . بماذا تسمى هذه
الخطيئة يا حضرة العمدة ناستا ؟ »
- « ماذا تعنى ؟ ماذا اسميها ؟ »

- « أنك لا تجد الانفاظ ؟ حسنا سيجيب بورث عن سؤال
نفسه . أن اسمها خطيئة الجبن . »

وزنخر العمدة ناستا !!

- « لافرق في أي ناحية كنت ولا أهمية لكونك كنت في فريق
الصوص ، فقد كانت خطيئة أو تفر . أليس كذلك يا عمدة ؟ »
وأصلح العمدة ناستا موضع نظارته بيد مرتعشة .

- « أجب عن سؤالى : هل أعطيت أو لم تعط بنادق للبوليس والحرس
المالية ، وألقيت عليهم خطبة جميلة عن الحرب حتى آخر رجل ،
وبعد ذلك فررت للتلال ؟ »

وقال العمدة ناستا بصوت مرتعش : « قل لى يا حضرة الجاويز
الماهر ! »

وصاح الجاويز بورث : « أجب أيها المشبهه . »

وقال العمدة ناستا يهدوء : « لقد أجبت يا جاويش » لا

— « مستر جاويش »

— « لقد أجبت يا مستر جاويش » !

— « هل أنت آسف لهذه الخطيئة المخجلة يا ناستا ؟ »

وكان العمدة ناستا يسمع الناس يكتمون ضحكاتهم خلفه •
وقال بصوت ضعيف : « نعم يا مستر جاويش »

وقال بورث : « حسنا • تستطيع أن تذهب » •

وذكر المستمعون القلائل الذين سمعوا هذا الاستغفار الاول
لاصدقائهم ، فلما جاء الصباح التالى كان جمع غفير واقفا امام
مكتب الجاويش بورث عندما حضر العمدة ناستا ليبلغ •

وفى اليوم الثانى حمل الجاويش بورث العمدة ناستا على أن
يستغفر عن خطيئة سكناه فى منزل كبير وسط هذه المدينة
الفقيرة ، وعن تخزينه للنقود فى مرتبة فى منزله ، وعن قبوله
الرشوة •

وفى اليوم الثالث جعله الجاويش يستغفر من كونه فاشستيا
أو من كونه فى شبابه عضوا فى السكرتارية الفدرالية فى
روما •

وفى الصباح الرابع جعله الجاويش يعتذر عن محاربته فى اسبانيا
مع فرانكو ، لا بشجاعة ، ولكن لانه حارب على كل حال •

وفى اليوم الخامس جعله الجاويش يستغفر عن حصوله على
نصيب من سوق السمك والمخابز وسوق الخضر ، ولاختلاسه
خمسة وعشرين فى المائة من ضرائب المدينة •

وفى الصباح السادس جعله الجاويش يعتذر عن خطيئة عرضه
العمل كجاسوس للامريكان اذا امتنع الجاويش عن الزامه
بالاستغفار •

وفى الصباح السابع جعله الجاويش يستغفر لسيطرته على
فتاتين من بنات المدينة .

وهكذا استمر الاستغفار يوما بعد يوم ، وفى كل يوم يزداد
عدد المستمعين أمام مكتب الجاويش بورث فى بناء الفاشيو
ويزداد الضحك والسخرية !!

الفصل الحادى عشر

وفى ذات صباح مر توماسينو الصياد على مكتب الميجر جوبولو فى السراى • وكان يبدو وهو يدخل البناء ويسير الى مكتب الميجر كما لو كان سائحا أمريكيا ، فقد كانت رقيبته ماثلة الى الخلف وعيناه زائعتين •

وسر الميجر جوبولو برؤيته ، وقال فى مرح : « صباح الخير ، يا توماسينو »

ولكن وجه توماسينو أنقلب من الدهشة الى التجهم ، وقال : « لم أكن أريد أن أفعل ذلك »

— « تفعل ماذا يا توماسينو ؟ »

— « أن أحضر الى مقر السلطة فى هذه السراى • لم يسبق لى أن أفعل ذلك فى حياتى • وقد أجبرتنى زوجتى على ذلك • »

— « لماذا ؟ ما الذى تريده زوجتك ؟ »

— « انها تقول انه اذا كنت قد صغرت نفسك وجئت لتقابلنى فى مركب الصيد ، فأننى أستطيع أن أصغر نفسى وأحضر لمقابلتك فى السراى • انها تريد منى أن أدعوك للحضور الليلة الى منزلنا للاشتراك فى أكل فطيرة صنعتها ابنتى تينا • أن زوجتى امرأة صعبة • اننى أكرهها • انها تعتقد أنها صاحبة السلطة فى بيتى ! »

وقال الميجر جوبولو : « أرجوك أن تبلى زوجتك أنه وان كان زوجها قد أبلغ — على مضض — رسالتها ، فإنه ليسر الميجر أن يقبل الدعوة ! »

وقال توماسينو : « لا أظن اننى سأبلغها . اننى أكرهها . »
وقال الميجر جوبولو : « متى ؟ »

وقال توماسينو متجهما : « أنك صاحب السلطان . أنت الذى
تحدد الوقت . »

عند ذلك تذكر الميجر جوبولو جملتين من مفكرته « من جوبولو
الى جوبولو » . تذكر : « لا يكن لك محاسيب . . . كن حذرا فى
قبول الدعوات . . . » قد يكون من الأفضل ألا يرى ذاهبا الى
منزل توماسينو ، فقد يسيء أشخاص من مثل المترجم جيوزيبى الظن
ببواعثه . انها تكون فكرة صائبة لو ذهب بعد حلول الظلام . وفكر
الميجر بسرعة : أن الشمس تغيب فى نحو الثامنة والرابع ويبدأ
الظلام . . .

- « ما قولك فى الساعة التاسعة يا توماسينو ؟ »

وقال توماسينو بصوت حزين : « ثمانية ، تسعة ، عشرة
ما الفرق ؟ »

- « ساكون عندكم فى التاسعة . ما هو العنوان ؟ »

- « أنه منزل فطيع ٩٠ شارع فيكتور ايمانويل . »

وفى الساعة التاسعة بالضبط كان الميجر جوبولو يندق باب
المنزل رقم ٩٠ بشارع فيكتور ايمانويل ، وفتح توماسينو الباب ،
ولكنه لم يظهر أى سرور بمجيء الزائر . وقال فى ضجر :
« تفضل . »

وخطا الميجر خطوة الى الداخل ، وحاول أن يصفح توماسينو ،
ولكنه لم يعثر على يده بسبب الظلام .

رقال توماسينو شاكيا : « سنضطر لصعود عدد كبير من
الدرجات ! »

وقد تبين أن الدرجات لا تزيد على دور واحد ، وجدا نفسيهما
بعده أمام صالة مضيئة . وقاد توماسينو الميجر مخترقا الصالة

الى غرفة استقبال ضيقة . وكانت الغرفة تكذب ما يبديه
توماسينوم كره للاختلاط ، فقد تبين أن ليس فى الغرفة من أثاث
الا مجموعة كراسى ، وهى فى « ادانو » الدليل الذى لا ينقض على
كثرة الزوار وترددهم . ولم يكن بجوار الكراسى الا راديو
إيطالى كبير بأحد أركان الغرفة، وطاولة مستديرة فى وسطها .
وكانت الغرفة من الضيق بحيث تمكن الجالسين على الكراسى على
أحد الجانبين من أن يتناولوا ما هو على الطاولة .

ووصل ضيفان قبل حضور الميجر . ودهش الميجر من
شخصيتهما .

قال الكاتب بيرفيس الذى بدا كما لو كان قد شرب زجاجتى
نبيد : « هاللو يا ميجر . لقد قال لى جيوزيبى أن عندك كلب
الصيد العجوز هذا ابنتين جميلتين . ولقد بدأت أحس
بالصدأ . لقد قال لى جيوزيبى أنه رتب كل شئ لى . ياله من
عجوز طيب . »

وقال جيوزيبى : « مساء الخير يا رئيس » . . لقد كان جيوزيبى
مرتبكا ، ولم يكن يعرف أن الميجر سيحضر .

ولم يكن ارتباك الميجر أقل من ارتباك جيوزيبى . لقد كان
يفكر فى جملة مذكرته : « لا تتخذ محاسيب . احترس عند
قبول الدعوات . »

وقال الميجر : « ماذا ؟ . هاللو . »

وقال الكاتب بيرفيس « لم أر العصفورة بعد . فالسيدة
العجوز فى المطبخ . إنها سكرانة . لقد علمتها كيف تقول
يا الهى ! »

وجلس الميجر متخشبا .

وقال الكاتب بيرفيس : « لم أكن أعلم يا نمس أنك من رواد
هذا المكان . لماذا لم تقل لى عن هذه الطيبات ؟ لقد حسبت

يأملون انك لا تهتم الا بالعمل . . قل لى كيف هاتان العصفورتان؟
اننى اود لو قضمت صدر عصفورة فورا . . »

وقال الميجر جوبولو بخنوع : « لم يسبق لى رؤية الفتاتين الا
واحدة منهما فى الكنيسة . . وهذه اول مرة آتى هنا . . »

وقال كابتن بيرفيس، وقد اخذ السكر منه كل مأخذ : بخصوص
موضوع العسافير او الفراخ ، سمعت نكتة اخيرا ، تذكر عندما
قال هوفر انه سيعمل على أن يكون بكل حلة فرخة ، فهم يقولون
انه بعد وجود الجيش الامريكى هنا ستوضع حلة على كل فرخة :
« الكلمة الامريكية حلة بمعنى مبلغ من المال أيضا)

وقهقه الكابتن . . ومع أن جيوزيبى لم يفهم النكتة فقد ضحك
مجاملة . . اما الميجر فقد ذعر ، وأما توماسينو فجلس حزينا لا يفهم
شيئا مما هو حاصل .

وجاءت زوجة توماسينو من المطبخ تحمل طبقا من الفطير ،
وأنقذت الموقف ! كانت تزن على الاقل مائتين وخمسين رطلا . ولما
وضعت الحلوى على الطاولة رفعت ذراعيها : « يا الهى . . يا الهى »
واهتز كل مافى جسمها من شحم ولحم وهى تضحك . وضحك عليها
كل الموجودين الا توماسينو .

ووقف جيوزيبى بسرعة وقدم الميجر الى زوجة توماسينو . وكان
اسمها روزا . وقالت فى صوتها النسائى الملىء الاجش : « اننى
مسعيدة أن أراك هنا يا مستر ميجر . ان هذا الخرج - وأشارت
الى توماسينو - لم يكن يريد أن يذهب لدعوتك . لقد بدأت أعلم
التسكلم بالانجليزية » وأخذت تصيح : « يا الهى . . يا الهى »
بطريقة فى النطق تدعو للضحك، بينما حاول الكابتن بيرفيس أن
يصبح نطقها .

ثم صاح الكابتن بيرفيس : « لعنة الله . أين هاتان السمكتان
المفروض أنهما عند هذا الصياد العجوز ؟ على فكرة باميجر يجب
أن نتفق هنا . ان جيوزيبى يقول ان السمراء ستعجبني »

وقال جيوزيبى محاولا اظهار اخلاصه للميجر : « لقد احتفظت بالشقراء لك ياسيدى الرئيس ! »

ولم يدر الميجر جو بولو ماذا يستطيع أن يقول : «

وأسرع جيوزيبى وقال لروزا البدينة التى كانت لاتزال تضحك بهدوء لنجاحها فى التكلم بالانجليزية : « أين الفتاتان ؟ »

وقالت الام « اذا كنت تعتقد أنك تستطيع استعجال فتاتين جميلتين تحاولان أن تظهرأ أكثر جمالا فانك ستجدهما فى غرفة النوم » !

وانزعج الميجر جو بولو اذ رأى جيوزيبى ينهض ويتجه الى غرفة النوم . وتساءل : أى نوع من الفتيات هاتان الفتاتان ؟

ولكن جيوزيبى عاد بعد لحظات يقود فتاة فى كلتا يديه . ويبدو أنه قد أوضح الموضوع للفتاتين ، لان تينا اتجهت لفورها نحو الميجر وهزت يده ، ثم جلست الى جواره . بينما اتجهت السمراء فرانسيسكا الى الكابتن بيرفيس وهزت يده وجلست الى جواره . وقال الكابتن بيرفيس : « هم .. هم .. هم لابس بها . » وأحس بالاطمئنان لان الفتاتين لا تتكلمان الانجليزية . فقال : ما رأيك فى الذهاب الى السرير فورا يا عصفورة ؟

وقال الميجر : على رسلك !

وأجاب الكابتن : هل تحسبني مستعجلا . لماذا اللف والدوران يا ميجر ؟

وقالت تينا بالاطيالية : لقد سمعتك تنهج فى الكنيسة يوم الاحد الماضى . يحسن بك أن تكثر من التمرينات الرياضية يامستر ميجر !

وقال الميجر جو بولو : لقد كنت متأخرا . متأخرا جدا . فقد شغلت فى دراسة موضوع ونسيت الوقت . فاضطرت للجرى الى الكنيسة . وكان الموقف مخجلا .

وقالت تينا : لقد أقلقك بال الأب بنشوفيكو • أحسست بذلك من طريقة خلطه فى ترتيب الصلاة •

وسأل الميجر جوبولو : هل تذهبن الى الكنيسة كل يوم أحد ؟ وأجابت تينا : طبعاً •

وقال الكابتن بيرفيس : لتذهب الى الجحيم يا ميجر أنت وحديثك بالاطالية • انك تضيع الوقت بينما كل ما أستطيع عمله هو الغمز بعينى لهذه البنية •

وقال جيوزيبي : أنا أترجم يا كابتن • أنت تقول وأنا أنقل ما تقول الى فرنسيسكا •

وهكذا ولفترة اشتغل الكابتن بيرفيس فى أن ينقل سخافاتة الى فرنسيسكا عن طريق ترجمة جيوزيبي غير المضمونة • وعلى كل حال فقد كانت الفكرة العامة لملاحظات كابتن بيرفيس تصل الى فرنسيسكا لانها أخذت تحمر خجلاً •

واستطاع الميجر جوبولو فى الوقت نفسه أن يتحدث الى تينا لا يعترضه أحد الا صيحات الأم من وقت لآخر بالانجليزية : « يا الهى » ، يتلوها انفجار من الضحك من جميع المحيطين بها الا توماسينو الذى كان ينظر غاضباً الى سقف الغرفة •

وقال الميجر : هل تذهبن دائماً الى كنيسة سانت انجيللو ؟ وفى هذه المرة احمر وجه تينا خجلاً وقالت : لا • ان جيوزيبي أخبرنى أنك ستكون هناك ، وأردت أن أرى شكل الميجر الأمريكى ! وفى أغلب أيام الأحد أذهب لكنيسة البنديتينى •

وسألها : وماذا كان رأيك فى الميجر الأمريكى ؟

وقالت تينا : انه يتنفس بصوت عال ، مثله كمثلى قربة أرغن كنيسة البنديتينى المثقوبة • وضحك الميجر •

وقالت تينا : تفضل قطعة من الفطيرة ، لقد صنعتها بنفسى •

وما كان يمكن رفض دعوة تقدم بهذه الطريقة ، ولذلك أخذ
الميجر قطعة كبيرة • وبدأت الحلوى تدار حول الغرفة ، وسكن
الحديث لفترة من الزمن • ولم يكن يسمع الا قرعة تكسير البندق
بين الاسنان ، وصوت محاولة التخلص من التصاق السكر
المحروق بالاسنان • وفى فترة المضغ هذه لم يسمع الميجر جوبولو
الا أن يفكر فى غرابة تضيئة ليلة كاملة حول أكل فطيرة ! ولكن
يبدو أن ذلك هو البرنامج المعد •

ولما قارب الانتهاء من المضغ ، قال الميجر : حسن •
بينما استطاع الكاتب بيرفيس أن يفصح عن حقيقة شعوره
بالانجليزية فقال : يا الهى الى أى مكان حضرنا ؟ الى فاوريقة
صمغ ؟ •

وقالت تينا للميجر مرحبة : قطعة أخرى ؟ •

وأجاب الميجر • بعد لحظة •

وقالت روزا البدينة المحظوظة: يجب أن نتناول بعض النبيذ •
ثم التفتت الى توماسينو وقالت له : اذهب الى المطبخ يا غبى ،
واحضر زجاجة من نبيذ مارسالا •

ولم يكن الميجر جوبولو يستطيع أن يتصور شيئا يمنع الشهية مثل
النبيذ بعد تلك الفطيرة ! ولكن الكاتب بيرفيس ماكاد يسمع اسم
النبيذ بالاطالية (فينو) حتى صاح : « فينو •• أسرعوا أحضروا
الفينو ، ثم قال بجذ كما لو كان ينتشل نفسه : « يا الهى ! لو
شربت من هذا الحمر كمية أخرى، فلا مفر من أن أطرح احدى
هاتين الفتاتين أرضا • واذا وجب أن أبقي طويلا فى هذه المدينة،
فلا مانع عندى من أخذ البدينة وان كانت أمهما » •

ووقف الميجر جوبولو وقال : بيرفيس • اما أن تغلق حنكك
أو أقذف بك الى الخارج •

وقال الكاتب بيرفيس : كفى يا ميجر لا تكن معكرا لصفائنا •
انك تعلم أنك تشعر بنفس الشعور لو صدقتنا القول •

- اخرس يا بيرفيس ...

واستشاطت نظرات الميجر غيظا : هذا امر • والآن كن مؤدبا •
ووقف الكابتن بيرفيس وحياتحة العسكرية ، وقد اهتزت
كرامته • وعاد توماسينو بالنبيذ ، وحياتحة الكابتن بيرفيس
الزجاجة بأن انحنى نحوها ووجه تحيته اليها !

وأحست روزا بأن فى الامر شيئا ، فصاحت يائسة : « يا الهى
يا الهى » ولكن أحدا لم يضحك •

وقفزت تينا واقفة وقالت : « لنرقص » ، واتجهت نحو
الراديو وأدارته لتحصل على راديو موسكو ، وقالت : ان موسكو
تذيع دائما احسن الانغام •

ونقلت فرانسييسكا بمساعدة الميجر جوبولو الطاولة الى آخر
الغرفة بعيدا عن الراديو • وأسرع كابتن بيرفيس نحو روزا وقال :
حسنا يا بدينة ، فلنرقص •

وفهمت روزا من حركاته ما يريد ووقفت تضحك • وأخذ الكابتن
الثلل وشريكته البدينة يدوران حول الغرفة • وبعد دورتين سقطت
روزا منهكة على كرسي تلهت وتكرر كلمتها الانجليزية !

وعندئذ رقص الكابتن بيرفيس مع فرانسييسكا والميجر جوبولو
مع تينا • وأخذوا يدقون الارض ويضحكون ويتكلمون بصوت يعلو
على الموسيقى ، الى أن قال توماسينو متجها : انكم تحدثون
غوغاء وسوف توقظون البنات •

وجرت تينا وخففت من صوت الراديو •

وسأل الميجر : أى بنات ؟

واحمر وجه تينا وقالت : بنات أختي •

- بنات فرنسيسكا ؟

- لا بنات أختي التى فى روما •

ولم يدر بخلد الميجر جوبولو أن يسأل لماذا يوجد الأولاد فى

أدانو بينما الأم في روما ؟ ولا لماذا احمر وجه تينا ؟ ولا لماذا
بدا عليها انها لا تميل الى التحدث في موضوع البنات الناثات ؟
وقالت : لثرقص مرة أخرى •

ومكذا رقصا حتى تصببا عرقا في حرارة منتصف الصيف •
وقد كانت تينا هي التي قالت : هل تريد هواً نقيا يامستر
ميجر ؟

وقال هو : انها تكون فكرة حسنة •

وقالت تينا : « نستطيع أن نخرج الآن »

وتسحبت من باب خشبي الى بلكونة ضيقة فوق الشارع
المظلم ، وتبعها الميجر • وسمع الكابتن بيرفيس خلفه يقول
لجوزيبي : « هاهو ابن الحرام يخرج ليسترسل في حديثه
بالإيطالية • كيف تريدني أن أنزل بينما أنا مضطر لابقائك
بجوارى يا جوزيبي »

وأغلقت تينا الباب الخشبي خلف الميجر •

ووقف بجوار سور البلكون الحديدى البارد وحدا في النجوم ،
وقالت تينا : « هل يعجبك هذا المكان ؟ »

وأجاب الميجر جوبولو : « لم أحس بمثل هذه السعادة طول
حياتي »

وقالت تينا : « هذا عجيب مع هذا البعد الشاسع بينك وبين
بلدك • »

— « لست بعيدا جدا عن بلدى ، لان فلورنسا تكاد تكون

بلدى • فأبى وأمى من بلدة صغيرة بجوار فلورنسا » •

— « ومن أى ولاية أنت • أعنى فى أمريكا ؟ »

— « البرونكس ياتينا • »

— « وأين البرونكس هذه ؟ »

— « نيويورك • »

- « هل البرونكس جزء من مدينة نيويورك ؟ »

- « أنا أعتقد فى بعض الاحيان أن مدينة نيويورك جزء من البرونكس »

- « آه . يجب أن أذهب لهنالك . هل البرونكس جميلة؟ هل المكان جميل لأهالى فلورنسا؟ وكيف يكون الحال لشخص من أدانو ؟ »

- « انه مكان جميل جدا فى نظر والدى الفلورنتيين . نعم . انه مكان جميل . لقد كانا فى ايطاليا مجرد فلاحين فقيرين ، وأنت تعلمين أن الحياة ليست جميلة معنا للفلاحين الفقراء . أما هناك فابى جرسون . أن عنده وظيفة مريحة فى نادى الجامعة . فى وسط ظريف . الكراسى من الجلد كما فى السراى هنا ، والجدران مكسوة بالخشب . ان الحياة هناك جميلة جدا بالنسبة لهما . أما بالنسبة لى فلم تكن الامور دائما كما أشتهى . »

- « لماذا يا مستر ميجر ؟ »

- « من الصعب أن أشرح لك . اننى نشأت فى أمريكا وبدأ لى أن البرونكس ليست أجمل ما فى أمريكا . لذلك كنت أشتهى دائما أكثر مما عندنا . لا أدرى . من الصعب أن أفسر لك ذلك . »

وقالت تينا : « لا . لست فى حاجة لان تشرح لى . اننى أعرف صعوبة احساس الانسان بالقلق وعدم الرضا . ذلك هو السبب فى أن شعرى أشقر فيما أظن . »

لقد كان الميجر جوبولو قد وطن النفس على أن شعر تينا مصبوغ ، ولكنه لم يكن يتوقع أن تتحدث هى عنه .

وأحست تينا بارتباكها : « ان شعرى ليس طبيعيا يا مستر ميجر . لقد صبغته لاننى لم أكن راضية عنه . أن شعرى الاسود هو مدينة برونكس بالنسبة لى . لقد كانت الفتيات جميعهن سود الشعر و اردت أن يختلف لون شعرى . »

وقال الميجر بأدب : « لقد ظننت بادی الامر أنك قد تكونين من شمال ايطاليا . »

وضحكت تينا وقالت : « حدثني عن نفسك »

فقال : « ليس هناك ما يستاهل الحديث عنه »

- « هل ذهبت الى احدى جامعات أمريكا ؟ لقد رأيتها في السينما في فيشينامارى ؟ »

- « لا . لقد ذهبت الى المدرسة حتى السادسة عشرة . ثم كذبت فيما يتعلق بسنى ، وقلت ان عمرى ثمانية عشرة لاحصل على رخصة قيادة وأجد عملا . فعملت سائقا للورى حتى سن العشرين ، ثم أصبت بحادث بسبب رفعى لاشياء ثقيلة . »

- « أى نوع من الحوادث يا مستر ميجر »

- « فتنق . وبعد الحادث بقيت شهرين دون عمل . والبقاء دون عمل فى الولايات المتحدة متعب جدا . وأخيرا وجدت عملا ككاتب فى مخزن بقالة بائنى عشر دولارا فى الاسبوع . »

- « كم يساوى هذا الاجر ؟ »

- « ألفا ومائتى ليرة . »

- « ألفا ومائتى ليرة . لابد أنك كنت غنيا جدا . »

- « لا ياتينا . ان ألفا ومائتى ليرة مبلغ كاف فى اداانو »

- « مبلغ كاف . بلا شك . أن ستمائة مرتب كبير . ان والدى كان يعتبر ربع ستمائة أسبوعا ناجحا . ولكنه لم يخرج للصيد منذ زمن طويل . » قالت ذلك فى صوت حزين .

« ولكن هذا المبلغ ليس كبيرا فى الولايات المتحدة . »

- « هل تريد أن تقول ان كل الناس أغنياء فى البرونكس ؟ »

- « لا . لا أريد أن أقول ذلك ياتينا . كل ما فى الامر أن مستوى معيشتنا أعلى من مستواكم »

- « وما معنى هذا ؟ »

- « من الصعب شرح ذلك • كل ما فى الامر أن كل واحد يملك أكثر مما يملكه الفرد هنا • أن أغلب الناس يملكون سيارات فى زمن السلم • والطعام أفضل قليلا • فكل واحد يحصل على عصير البرتقال واللبن وأشياء من هذا القبيل • وأجورهم أكبر ، وهم لذلك يدفعون ثمنا أكثر لما يشترونه • »

- « وبتعبير آخر : الامر هو كما قلت تماما ، الكل غنى فى البرونكس »

- « ليكن لك ما تريد • وعلى كل حال فقد لعب القدر دورا كبيرا فى حياتى ، فقد ذكر لى أحد أصدقائى ذات ليلة أن امتحانات ستعقد لوظائف فى حكومة المدينة • »

- « مدينة البرونكس ؟ »

- « لا يأتينا مدينة نيويورك • وقال لى اننى يجب أن أتقدم للامتحان ، فقلت له اننى لم أحصل على الكفاية من التعليم ، ولكنه قال لى أنه يجب أن أتقدم وأجرب حظى ، وفعلت وكان ترتيبى الـ ١٧٧ من بين ١١٠٠ ، ولقد رفع ذلك من تقديرى لنفسى ، فقد أثبت أننى على شىء من المعرفة • وقد عينونى فى وظيفة كاتب بإدارة الضرائب والمالية • »

- « وهل أصبحت بذلك غنيا ؟ »

- « لا • أن تحصيل الضرائب فى نيويورك لا يجعل الانسان غنيا • كان مرتبى عشرين دولارا فى الاسبوع ، أى ألفى ليرة • »
- « ألفان • هذا غنى كبير ! »

- « وكنت ناجحاً فى عملى ، ولكنهم انتخبوا رجلاً يدعى لاجوارديا ، ولأنه كان من حزب غير حزب سابقه فصل عددا كبيرا من الناس ، وكنت واحدا منهم • فاقترضت بعض المال من حماتى ••• »

- « حمائك ؟ هل كنت متزوجا ؟ »

- « نعم باتينا . سأشرح ذلك فيما بعد . اقترضت ذلك المال ، واشتريت مخزن بقالية في البرونكس ، وأصبح المخزن كله ملكي . ولكن بعد سنتين ساءت الحالة ، وأصبحنا في أزمة ، واضطرت لبيع كل المحل قبل فوات الوقت . وعدت للمدينة طالبا أن يعيدوني للعمل ، لانهم كانوا قد أرسلوا لى اشارتين عندما كنت أملك محل البقالة ، يقولون انهم يريدوننى . وسألونى لماذا لم أرد على اشاراتهم ؟ فقلت انها لم تصلنى ، ولا بد أننى كنت فى فلوريدا عندما أرسلوها . »

- « وأين فلوريدا ؟ »

- « انها فى الجنوب ولم أذهب اليها مطلقا . وكانت هذه هى المرة الثانية التى كذبت فيها لأحصل على عمل . ومن وقتها وأنا أجتهد ألا أكذب أبدا . ان الصدق أفضل وأسلم . فأعطونى عملا فى الادارة الصحية . وبعد فترة امتحنت للترقية لكاتب من الدرجة الثالثة ، ثم حصلت على وظيفة كاتب من الدرجة الثانية . وكنت أكسب اثنين واربعين دولارا فى الاسبوع عندما التحقت بالجيش . (وبدأ الميجر جوبولو يفاخر بثروته التى لا وجود لها) : كان ذلك يعادل أربعة آلاف ومائتى ليرة أسبوعيا . »

وقالت تينا : « الزوجة ؟ هل كانت جميلة ؟ »

وقال الميجر جوبولو : « نعم انها جميلة جدا ، أو على الأقل تبدو كذلك فى نظرى . اننى أشعر بغيا بها . ان بذقنها من الجهة اليسرى ندية . أما فيماعد ذلك فهى جميلة جدا . انها من أصل ايطالى ، وبشرتها سمراء مثلك ، وانك - من بعض النواحي - تذكرينى بها . »

لقد كانت تينا طول ذلك الوقت تنظر الى النجوم ، ولكنها فجأة نظرت الى أرض الشارع المظلمة ، ثم قالت : « لنعد الى الداخل ونرقص » ! وفتح الباب وأتجهت الى الداخل . وتبعها الميجر جوبولو .

أما كابتن بيرفيس فقد كان قد استهلك كمية ضخمة من نبيذ
توماسينو ، وبدأ يضيق الحاضرين ، ولذلك أقنعه الميجر جيوبولو
بالعودة الى منزله ، وأخذ هو وجوزيبي الى داره .

ولما عاد الميجر جيوبولو الى مسكنه وخلع ملابسه ودخل الى
سريره ، أحس بأنه تعيس ، ولم يدرك سبب تعاسته الا في نحو
الساعة الثالثة صباحا . ان مما يتعس الانسان أن يشعر بأنه
بعيد عن وطنه بمثل المسافة التي تفصل ما بين البرونكس نيويورك
ومدينة اداو بايطاليا .

الفصل الثانى عشر

وفى الغد جلس الكابتن بيرفيس وقد وضع رجله على مكتبه وكان مزاجه معكرا .

وكان الجاويش ترابانى خارج المكتب ، وقال الكابتن بيرفيس الى الامباشى النوبتجى شاكشولتز : « هذا الميجر جوبولو . . . لقد كنت بدأت أحبه ، ولكنه يا الله ! ماأسخفه . لقد كنت بدأت أمس أستمتع بالسهرة عندما انقض على صاحبها لم يذق الخمر وأخذنى الى بيتى »

وسأل الامباشى شولتز : « هل بدأت تسكر من نبيذ داجو الاحمر ؟ »

وقال الكابتن : « نعم ! هناك صياد عجوز أخذنى جيوزيبى الى منزله ، لان عنده زغولتين جميلتين ، فقدم الى نبيذه الاحمر ! »

وقال الامباشى : « هذا النبيذ القاتل ياكابتن . انه يسبب لك اسهالا لا ينقطع »

وقال الكابتن : « هذا صحيح وأنا متعب هذا الصباح ، ولكن هذا لا ينهض عذرا للميجر لمعاملتى بمثل هذه المعاملة »

وقال الامباشى شولتز : « ان هذا النبيذ ضار جدا ياسيدى ، ولاأظنك تريد أن تتناول هذا النبيذ بأكثر مما تستطيع . لقد شربت منه بعض الشيء أمس وأجذنى مضطرا للذهاب كل عشر دقائق منذ الصباح . »

وقال الكابتن بيرفيس : « صحيح لقد أتممت ست رحلات منذ الصباح ، ولكننى لاأزال حاقدا على الميجر »

ولم يكن الامباشى شولتز من غواة الحديث ، ولذلك صمت الاثنان ، وتشاءب الكابتن بيرفيس ، وتمطى ، وحقق فى الطريق بضع

دقائق ، وثائب ثانية ، ثم وقف ومشى حول الغرفة ، وجلس ثانية ،
وثائب ثم قال : « اننى متضايق . ليت عندى ما عمله ! »

ومال على كرسيه ووضع قدميه على المكتب ثانية . وفيما هو يمد
رجليه ، أوقع بعض الاوراق التى على المكتب . ثم قال : « لعنة الله
على هذه الاوراق . قد أحسن عملا بتنظيف هذا المكتب اللعين مما
عليه ، فلامر من عمل ذلك فى يوم من الايام . »

وانحنى الى الارض وجمع الاوراق المتناثرة ، وبدأ يفرز
الاوراق ويضعها فى أكوام ، ورعى البعض ، ووضع البعض
الآخر فى ملفاته ، وقرأ بعضها بصوت مرتفع للامباشى شولتز
الذى لم يكن مهتما بالموضوع اقل اهتمام !

وفى اثناء ذلك تناول ورقة قرمزية ثم قال : « ياللعنة .
ما هذه ؟ » وقرأ : « فى ١٩ يوليو صدرت أوامر من الجنرال مارفن
قائد الفرقة ٤٩ بمنع دخول عربات البغال الى مدينة
ادانو ، وعين حراس عند كوبرى النهر الاحمر ومعمل تكرير
كاكوباردو للكبريت . ونفذ الامر ، وفى ٢٠ يوليو رفع الحرس بناء
على امر الميجر فيكتور جوبولو . » !

وضرب الكابتن بيرفيس المكتب بقبضة يده ، ثم صاح : « لعنة
الله ! أين ترابانى يا شولتز ؟ »

— « قال انه خارج الدقيقتين ياسيدى ، وقال انه عائد فوراً .
هل أستطيع عمل شئ ياسيدى ؟ »

— « لا . لعنة الله ! انتظر حتى يحضر هذا الترابانى . »
وحضر ترابانى بعد بضع دقائق . وقال الكابتن بيرفيس بمجرد
حضوره :

« هانت . تعال هنا »

وقال ترابانى : « نعم ياسيدى »

ومد الكابتن الورقة القرمزية وقال : « ما هذا ؟ »

وتناولها ترابانى ونظر اليها : « هذا التقرير عن عربات البغال
ياسيدى ! قال ترابانى ذلك ببورد : « لقد طلبت منى أن أعد
تقريراً . ألا تذكر ؟ »

— « انك على حق وأنا أذكر ذلك . والى أى جهة قلت لك أن
ترسله ؟ »

- « كان يجب أن يرسل الى الجنرال فى الفرقة ياسيدى » !

- « حسنا • عليك اللعنة • ولماذا لم ترسله ؟ »

- « لقد وضعته على مكتبك ياسيدى لتقرأه • »

وأخذ الكابتن بيرفيس ينفخ ويتململ • انه ليعلم أنه لا يبدى
بمكتبه من الاهتمام ما كان يجب أن يبدىه : « حسنا • لعنة الله !
لنرسله الآن فورا • أريد أن أراك بنفسى ، وأنت تضع هذا
التقرير فى كيس البريد الذاهب الى الفرقة • »

وجلس الجاويش ترابانى لفوره ، وكتب العنوان على ظرف ،
وأدخل فيه قطعة الورق ، ووضع الظرف فى الكيس المزمع إرساله
بعد الظهر لرئاسة الفرقة • لقد كتب العنوان للشخص غير ذى
الاختصاص فى الفرقة ، ولكن الكابتن بيرفيس لم يلحظ ذلك •

الفصل الثالث عشر

وصل رسول يتصيب عرقا يحمل رسالة الى مكتب الميجر جوبولو . وكانت مكتوبة بالانجليزية : « يجب أن أراك فوراً » والتوقيع « م . كاكوباردو » .

وبعد وصول الرسول بأقل من خمس دقائق ، وصل كاكوباردو بنفسه ، مرتديا ملابس السفر . كان يلبس قفازا من الجلد ونظارات واقية ، وكان يحمل مظلة خضراء فى يده اليمنى .

وتقدم الرجل البالغ من العمر اثنين وثمانين عاما نحو مكتب الميجر ، ثم انحنى على المكتب ونظر من فوق كتفيه الى جيوزيبي وزيتو ، ثم نظر الى الميجر ، وقال فى همس مسموع : « أريد أن أتحدث اليك وحدك : »

وطلب الميجر جوبولو من ترجمانه وحاجبه أن يخرجوا .

وقال الرجل العجوز وهو لا يزال يهمس بصوت مسموع : « لقد وصلتني رسالة سرية من المافيا (جمعية سرية) . . . »
« عندي الاسرار الحربية عن مواقع الجيوش الالمانية . يجب ارسال جنودك يامستر ميجر »

وقال الميجر جوبولو : « ليس عندي جنود . اننى مجرد الضابط الادارى لادانو »

وقال كاكوباردو : « لابد أن أذهب للجنرال . اننى مستعد »

وقال الميجر جوبولو : « لحظة يامستر كاكوباردو . اننى لأستطيع أن أرسل كل من هب ودب لرؤية الجنرال مارفن . لابد أن تقدم لى الدليل على صحة معلوماتك »

ووضع كاكوباردو العجوز يد فى جيبه وأخرج ورقة وبسطها

على مكتب الميجر جوبولو وقال : أنظر: هنا بينارو • وهنا التلوي
أمام بينارو ، وهنا الألمان • هنا جزء من سلاح الدبابات الثالث
والأربعين • جزء من هرمان جورنج • ان لدى كل التفاصيل

وقرر الميجر جوبولو لساعته أن هناك احتمالا قويا أن تكون
معلومات الرجل العجوز صحيحة، وأنه يجب أن يرسله للفرقة فوراً •
وقال: « سأرسلك للفرقة يا مستر كاكوباردو ، ولكن يجب أن
أحذرك • ان الجنرال رجل ضيق الصدر ، وإذا كانت معلوماتك
غير صحيحة فسيغضب أشد الغضب، ولا أدري ما الذي سيفعله
بك ، ولكنه على كل حال لن يكون ساراً • وكذلك أريد أن أطلب
منك ألا تخلق لي متاعب ، فان علاقتي بالجنرال مارفن ليست
على مايرام • عدني أن تكون محتاطاً • هل تعد ؟ »

وقال كاكوباردو « سأحتاط، ولكن الخبر مهم »

وحرر الميجر جوبولو تصريحاً لكاكوباردو ، وأرسل يطلب
سيارة جيب •

وتحرك كاكوباردو خطوة الى الخلف ثم حيا بالتحية الفاشية ،
ولكن ذاكرة العجوز تنبهت ، فحرك يده الى جبهته ، فانقلبت
الى تحية عسكرية ، وقال : « كاكوباردو هو الكبريت
والكبريت هو كاكوباردو » ! ثم استدار على كعبه بطريقة عسكرية
بقدر ما استطاع وخرج •

ولم يقل كاكوباردو العجوز كلمة واحدة لسائق الجيب طول
المسافة من السراي بادانو الى مقر القيادة في فيشيناماري • فقد
جلس مائلاً الى الامام مواجهاً الريح ، ونظاراته على عينيه ،
ومظلته مشدودة فوق رأسه • وكان حاجز الريح في الجيب
نازلاً ، وفوقه الغطاء القماشى فى الوضع الذى يجب أن يوضع به
عندما يكون هجوم العدو محتملاً، ولذلك كانت الريح قوية جداً •
وبعد لحظة قرر كاكوباردو العجوز أن الشمس أفضل من الريح ،
ولذلك أنزل مظلته ووضعها أمامه ليتقى بها الريح •

وكانت الفيلا التى تشغلها الفرقة التاسعة والأربعون فى ذلك
الوقت مملوكة لـأحد أصدقاء كاكوباردو • وكان كاكوباردو
وصديقه مغرمين بالاثاث الايطالى، لذلك فان كاكوباردو كان يعلم

قيمة الاثاث الموجود بتلك الفيلا . ولقد مات ذلك الصديق ، ولكن
كاكوباردو أصبح من العسير عليه أن يتذكر أى أصدقائه قد توفي
وأيهم لا يزال على قيد الحياة . لذلك كان يفكر فيهم جميعا على
أنهم لا يزالون أحياء ، فقد كان ذلك أسهل .

ولانه كان يدخل فيلا مملوكة لصديق له يعتبره حيا ، تقدم
كاكوباردو الى البوابة كما لو كان مقدما على زيارة حبيبة .
ولذلك كانت دهشته لامثيل لها .

انه من العسير على من لم يسبق له أن حاول مقابلة جنرال أن
يتصور نوع الاستقبال الذى استقبل به كاكوباردو .
أوقفه ديدبان عند البوابة .

وقال كاكوباردو كما لو كان يحدث خادما على باب صديقه :
« صباح الخير . هل صديقى سالاتيلىو هنا ؟ »

وقال الحارس : « لأعرف أحدا بهذا الاسم هنا . أى شئ هو ؟
وسأل كاكوباردو سائق الجيب عن معنى هذين الحرفين ب . ح .
وقال السائق : « بوليس حربى »

— « بوليس حربى ! طبعاً لا . انه مدير فيشينامارى وغازى
تحف خشبية . انه صديقى وهذه الفيلا ملكه ، هل هو هنا ؟ »

وصاح الديدبان فى شخص مستقل داخل البوابة : « اسمع
يا هذا هل سمعت عن شخص هنا اسمه — ماهو الاسم ثانية ؟ »

— السيد سالاتيلىلو . انه صديقى .
— سالادوليو ؟

وقال باك : « لا . لا يوجد أحد هنا باسم كهذا الاسم . »
وقال الديدبان : لا أحد هنا بهذا الاسم ؟

وقال كاكوباردو : اذن فأين الجنرال مارفن ؟

لقد روض رجال البوليس الحربى على أن يكونوا حريصين مع
الاجانب ، ولذا أجاب الديدبان : لا يا حبيبى . لا أستطيع أن أقول
لك .

وقال كاكوباردو بعد أن أخرج التصريح من جيبه : « عندى ورقة
لمقابلة الجنرال مارفن » .

وقال الديدبان : « يا للمصيبة ، لماذا لم تقل ذلك . معك تصريح !

مؤكد الجنرال هنا « لارثم صاح في زميله : « الرجل العجوز هنا
ياباك ، اليس كذلك ؟ »

- أجل . أظن أن العجوز وصل من نحو نصف ساعة .
وقال الديدبان : « نعم . انه هنا . لماذا تريد أن تقابله ؟ »
واخرج كاكوباردو الخريطة وقال : « أستطيع أن أبين لكم
مواقع الألمان »

وأشار الديدبان في الطريق إلى مدخل الفيلا وقال : « هناك .
في هذا الباب المواجه لك » .

وسارت الجيب إلى الباب الأصلي . وكان هناك ديدبان آخر .
ولما حاول كاكوباردو أن يمر من الباب وضع الديدبان سنجته
تمنع المرور . وجفل كاكوباردو خائفا . وقال : « أنا لست من
الأعداء . ان عندي تصريحاً لمقابلة الجنرال مارفن » ، وقدم
التصريح . لقد فهم كاكوباردو ما يجب عمله وبسرعة لرجل في
سنه .

وتساول الديدبان التصريح وقال : « أشك يا أخاك تستطيع
أن تقابل الجنرال فوراً ! انه لا يجب أن يقابل أحداً في الصباح !
انتظر دقيقة : ثم نادى الديدبان على امباشي الحرس .

وعاد امباشي الحرس فوراً وقال : « من هنا » . ثم قاد
كاكوباردو إلى رجل جالس أمام مكتب .

وقال الرجل بتجهم : اسمك ؟

- كاكوباردو .

وقال الرجل المنجهم : « هل هذا اسم يا الهى أم لقب ؟ »

- وقال كاكوباردو : « هذا لقب أسرتي »

- وكيف تتجهاه ؟

وتجهى كاكوباردو الاسم ، وكتبه الرجل بصعوبة . . .
كاكوباردو

وقال الرجل المتجهم : « الاسم الاول ؟ »

- ماتيو

- لعنة الله ! يجب تهجى هذه الاسماء الإيطالية ؟

وتجهاه كاكوباردو وكتبه الرجل خطأ . . .

- تريد أن تقابل من ؟

- الجنرال مارفن .

وقال الرجل : ليس هناك أمل في أن تراه ! يا للمصيبة !
ان الحرب دائرة يا حضرة . لماذا تريد مقابلة الجنرال ؟

ومد كاكوباردو يده الى جيبه يستخرج الخريطة ، وقال :
أستطيع أن أبين لكم مواقع الالمان !

وقال الرجل مشيراً بقلمه : يحسن أن تكلم الوكيل عن ذلك . . .
الباب الاول على اليمين ، حيث كتب عليه : الكولونيل هندرسون .
وذهب كاكوباردو الى الباب المكتوب عليه « هندرسون »
وطرقه . وصاح صوت من الداخل . . . أدخل : لعنة الله !

وسأل كاكوباردو : « الجنرال مارفن ؟ »

وقال الصوت القلق ، صوت كولونيل بكامل بزمته : فوق .
فوق . وبدأ كاكوباردو يتحرك ، ولكن الكولونيل صاح به :
اسمع ، انتظر قليلا !

واستدار كاكوباردو ، وقال الكولونيل : من أنت على أى حال ؟
- كاكوباردو ماتيو . أرسلت لمقابلة الجنرال .

وقال الكولونيل : ان الجنرال مارفن لا يحب الايطاليين . لماذا
تريد أن تقابله ؟ يحسن ألا تطلب منه أية مساعدة أو استثناء ، فإنه
سوف يرفضك الى خارج الغرفة بنفسه !

وبحث كاكوباردو عن الخريطة وقال : أستطيع أن أبين لكم أين
يوجد الالمان .

- ليس من عملك أن تبين ذلك للجنرال مارفن . ماذا تظن
واجب مساعدة الجنرال ؟ ولماذا وجد ؟ يمكنك أن ترينى هذه
الخريطة . . .

- « لقد أرسلت لمقابلة الجنرال مارفن وهو الشخص الذى اريد
مقابلته »

وبعد مناقشة مع الكولونيل « هندرسون » أرسل « كاكوباردو
محروسا الى الدور الاعلى ، واقف ووجه اليه ديدبان على رأس السلم
أسئلة ثم أعاده للدور الاسفل ، لأنه لم يكن يحمل تصريحاً صادراً
من الفرقة . واعطى التصريح ، واخذ ثانياً للدور الاعلى ، وسئل
عن عمره وديانته ومعتقداته السياسية وجنسه ، بواسطة

جاويش ، ثم ناقشه ضابط من أركان حرب الجنرال الذي أبدى شكه في أن الجنرال يستطيع مقابله ، وحوله إلى الكولونيل ميدلتون ، رئيس أركان حرب الجنرال . وقد استجوبه سكرتير الكولونيل الذي قال له إن الكولونيل مشغول جدا .

وأخيرا أدخل على الكولونيل « ميدلتون » الذي وافق بعد مناقشة على أن يتحرى ما إذا كان الجنرال يستطيع مقابله ، وإن كان يشك في إمكان ذلك .

وفي هذا الوقت كان الجنرال « مارفن » يلعب مع مساعده اللفتنانت بيرد النيشان بمطواه ، وكانا قد اكتشفا أن إحدى الطاولات من الخشب الموجهة تلتقط المطواة بسهولة . وكان الجنرال قد رفع يده إلى أعلى رأسه بالمطواة . فلما دخل الكولونيل « ميدلتون » في الوقت الذي قذف الجنرال بالمطواة ، كان لدهشة دخوله ما أفقد الجنرال إصابة الهدف ، وتدحرجت المطواة على الطاولة دون أن تثبت بها . وضايق هذا الجنرال . فصاح : « يا لعنة ! ألم أقل لك أن تطرق الباب قبل أن تدخل » يا ميدلتون ؟

— نعم ياسيدي . يوجد رجل إيطالي عجوز يريد مقابلتك . . .
— ماذا جرى لك يا ميدلتون ؟ ألم أقل لك أنني لا أريد أن أقابل إيطالين ؟

— نعم ياسيدي ، ولكن يبدو أن هذا الرجل فوق المتوسط .
إنه أرسل إليك من قبل أحد رجالنا ، وهو يقول إن عنده معلومات تهتمك .

— لعنة الله عليه ! أدخله . لماذا أنت واقف هكذا ؟ قلت لك أدخله .

وأخيرا وصل كاكوباردو أمام الجنرال . وكان قد بلغ به الغضب مثلما بلغ بالجنرال . ولما كان هو أكبر من الجنرال بعشرين سنة اعتبر أن من حقه أن يظهر غضبه أولا !

ووجد سبيله لظهور غضبه فيما رآه على وجه الطاولة الموجهة من آثار فقال : « انكم متوحشون ! »

ولم تكن هذه طريقة مقبولة من كاكوباردو العجوز لبدء الحديث مع الجنرال « مارفن » ، خصوصا أن موقفه كان ضعيفا

لسببين : الاول أنه وجد الجنرال في ساعة غضب ، والثاني أنه
إيطالي . وقال الجنرال في صوته المعروف : نحن ماذا ؟

- قلت انكم متوحشون . كيف تجراون على ائتلاف طاولة
صديقي « سالاتيللو ؟ »

ومن باب الجدل المحض لم يكن ليحدث أى فرق ، لو ان الجنرال
مارفن كان يعلم أن « سالاتيللو » قدمضى على وفاته ثلاثة عشر عاما !
لقد بلغ الغضب بالجنرال حد ليس عليه من مزيد : يا لله ! من
هذا الايطالي ؟

- ان هذه الطاولة قد صنعها سيركا في عام ١٧٧٥ ، في وقت
لم يكن قد أصبح لبلدكم وجود بعد يامتوحش ! لقد نحتها
فنشونزو بيانكي من بارما . اننى لا أستطيع أن أقدر ثمن هذه
الطاولة . انكم خنازير ، اذ تخططون وتتلقون سطحها .

وصاح الجنرال : خذوا هذا الايطالي المجنون من هنا !

وجرى الكولونيل ميدلتون والفتنانت بيرد ، وأمسكا
بكاكوباردو ، وأخذوا يدفعانه الى خارج الغرفة .

وصرخ الجنرال : انتظرا . من الذى أرسل هذا المغفل الى هنا
ياميدلتون ؟

- لست ادري باسدى ! انه ميجر .

- لا تعرف . لعنة الله عليك ! ان من واجبك أن تعرف .

وسأل الكولونيل ميدلتون كاكوباردو : من الذى ارسلك
الى هنا ؟

- صديقي الميجر جوبولو الذى ليس متوحشا !

وقال الكولونيل ميدلتون . من أى وحدة هذا الميجر ؟

وقال كاكوباردو العجوز : ادانو . من ادانو . من بلدى
أدانو .

وصاح الجنرال : ادانو . ان هناك شيئا بخصوص هذا المكان!
ماذا لدينا بخصوص ادانو ياميدلتون ؟ لعنة الله . ماهو ؟

وقال الكولونيل ميدلتون : العربية يا جنرال ولم
يكن الكولونيل ميدلتون يستطيع أن ينسى ادانو طوال حياته .

- العربية ؟ أى عربية ؟ لعنة الله ! لا تتحدث بالالغاز ياميدلتون !
أى عربية ؟

- العربية التي أزعجناها من الطريق ياسيدى • البغل الذى أطلقنا عليه الرصاص يا سيدى!

وتذكر الجنرال مارفن وزادت الذكرى من تجاهم وجهه ، وقال
اذن ذلك هو الميجر الذى أرسلك ، ما اسمه ثانية • اننى أريد أن
أتذكر ذلك الاسم •

وقال ميدلتون : « جوبولو »

وصاح الجنرال مارفن : جوبولو • اكتبه يا ميدلتون وتذكر
هذا الاسم • هذا الميجر الملعون • هو أيضا أمريكى ايطالى ! لقد
تذكرت الآن • انه ايطالى ملعون ، أليس كذلك يا ميدلتون ؟

ورغبة فى الا يظلم أحدا ، قال الكونونيل ميدلتون : لا اذكر
يا سيدى !

وصاح الجنرال مارفن : ولكننى أنا اذكر • والآن اقتدوا
بهذا الايطالى المجنون ابن الكلب من هنا • واذا سمحت لى
ايطالى بالدخول هنا يا ميدلتون فسأسخطك الى ملازم ثان !

وقال ميدلتون : نعم يا سيدى !

وبينما هما يخرجه ، قال كاكوباردو : ولكن عندى معلومات!
استطيع أن أقول لكم أين مواقع الألمان • انها معلومات هامة •
الألمان • الألمان •

ولكن الغضب كان قد أخذ من الجنرال مأخذه ، فأخرج
كاكوباردو ، وأعيد الى مدينته دون أن يتمكن من حمل أحد
- حتى ولا الديدبان الواقف على البوابة - على أن يصغى الى
وصفه لمواقع الألمان أمام «بينارو» •

الفصل الرابع عشر

لقد كان الكابتن بيرفيس يكثر من انتقاد الميجر جوبولو وراء ظهره . أما في حضرته فقد كان يظهر الترحاب بل الصداقة ! وقد جمع بين الرجلين زيادة على اشتراكهما في اللغة امر جديد هو معرفتهما لفتاتين أختين . وهذا يكفي - في بلاد الغربية - لخلق صديقين من عدوين لدودين .

وفي ذات يوم ، وهما يتغديان ، تحدثا عن الفتاتين . تحدثا كما يتحدث الأمريكان عن الفتيات وهم في الغربية .

وقال الكابتن : تلك الفتاة الصغيرة فرنسيسكا ، لاشك أن لها نديين لا مثيل لهما .

وقال الميجر جوبولو : أنا اعتقد أن الشقراء أكثر نضوجا

وقال الكابتن : يا أخى أنا مستعد أن أبادلك النضوج بنديين جميلين في أى يوم تشاء من أيام الاسبوع !

وقال الميجر : هذه مسألة ذوق !

وقال الكابتن : أنا مستعد أن اتذوق الصغيرة ! شكرا . أن مجرد التفكير فيها يهيجنى ! ما رأيك ؟ نذهب الليلة هناك لنراهما ؟

وقال الميجر : لنفعل . ان ذلك يسلينا ! ثم اخذ يتساءل عما دفعه لأن يوافق على اقتراح الكابتن بهذه السرعة . ان نظرة الكابتن لهاتين الفتاتين كانت تؤذى الميجر . لقد كان الكابتن ينظر الى الفتاتين كما لو كانتا من سقط المتاع ! انه ينظر اليهما - فيما يبدو - كما لو كانا شيئا يباع ويشترى ، كالبطيخ الايطالى والعنب والنبيذ الاحمر . وكان الميجر يأبى على نفسه أن ينحدر الى مثل هذا التفكير .

ومع ذلك فقد بادر بقبول دعوة الكابتن . وعاد نفا .

التصرفات الجنونية ليلة أن كانوا عند توماسينو. ذكر الحلوى المصمغة ، وصراحة تينا في التحدث عن شعرها الاشقر الصناعي، وفي حديثه عن حياته وعن زوجته ، وعن احساسه بالوحدة في نهاية الليل . وخطر له أن الموضوع كله غريب .

ولكن الواقع انه لم يكن غريبا ، بل بسيطا في الحقيقة . انه يمثل الطريقة التي يشعر بها الامريكان العاديون حين يغتربون . وربما كان ذلك كثران البريطانيين واغلب الالمان واليابانيين أيضا . انه نوع معروف من الاحساس بالوحدة .

لقد كان المجر جوبولو يحب زوجته ، ويفتقدها بشدة . فلما وجد نفسه بعد عدة أشهر بجوار فتاة متوسطة الجمال تعطف عليه، وجد نفسه مهتما بجمالها ، ثم أحس بالحزن ، وتحدث عن التي يحبها في وطنه، ثم وجد نفسه وحيدا ، ثم أخذ يفكر شيئا فشيئا في الفتاة الجميلة القريبة منه ، وأحس بالخل لتفكيره فيها ، وحاول ألا يفعل ، ولكنه لم يستطع .

ولم تكن حالته فريدة كما توهم المجر جوبولو ! لقد كان وحيدا بدرجة مؤلمة ! وكان يتصرف تماما كما يتصرف اغلب الرجال في مثل وحدته . وكان الكابتن بيرفيس ، الذي له هو أيضا من يحبها في الوطن، يتصرف تماما كتصرف المجر جوبولو، والفرق الوحيد هو فرق شخصيتهما !

وهكذا حدث أن الشخصين المتباينين ذهبا في ذلك المساء الى المنزل رقم ٩ بشارع فيكتور ايمانويل، وقد غمرهما احساس مشترك ، وتوقعا نفس الشيء .

وفاجأ المجر جوبولو والكابتن بيرفيس أسرة توماسينو في تلك الليلة ! لقد كانت روزا البدينة جالسة على أرض غرفة الاستقبال ، تنتف ريش فرخة ، وقد انتثر الريش في أنحاء الغرفة ! وكان الراديو يدور ، وقد جلس بجواره بنتا الأخت التي في روما على الأرض أيضا ! أما فرنسيسكا وتينا ، فكانتا في بيجامتين زاهيتين اللون ، وقد استلقيتا احدهما بجوار الأخرى ، تقرأن معا رواية ايطالية رخيصة ، اسمها « قلب في ثلاثة أجزاء » ! وقاد توماسينو ، الذي فتح الباب ، الامريكيين في غير ما سرور - الى الداخل دون أن ينبه الى حضورهما .

ونهض الجميع فجأة : البنات الصغيرات يصرخن ، وروزا البدينة تذكر الله بالانجليزية ، والفتاتان تحيان الامريكيين !

ولم يكن الكابتن بيرفيس قد ذاق نقطة من شراب ، وقد
اعتزم أن يسلك سلوكا حسنا ليبين للميجر أنه يستطيع ،
ولكنه لم يتمالك ، حين رأى الفتاتين في بيجامتيهما ، أن يقول :
« ما أنتما مستعدتان للسريير بافتيات .؟ هلم بنا . ماذا ننتظر ؟
وأضمت أسرة توماسينو وضيافتهما الدقائق الخمس التالية
على أيديهم وركبهم ، يجمعون ريش الفرخة ! ولما انتهوا قالت
روزا لتوماسينو : أيها الرجل الحزين .. ضع الاطفال في السريير .
وقاد توماسينو الصغيرتين دون رفق . وذهبت روزا الى المطبخ
تحمل الريش والدجاجة لتتم عملها .

وبمجرد أن صار الضابطان والفتاتان في بيجامتيهما وحدهم ،
قالت تينا : « مستر ميجر ، أريد أن اتحدث اليك » ! ومدت
يدها فتناولت يده ، وقادته الى غرفة نومها ! وصاح الكابتن
بيرفيس الذي كان صاحبا في هذه المرة : « لا تهجراني . اننى
لا أستطيع أن اتحدث الى هذا الشيء الجميل . الى اين انتما
ذهبان ؟ » ثم أضاف : « يالك من ابن حرام محظوظ » ! ..
ثم جلس وقد وطن النفس على ليلة يائسة ، حديثه فيها بالاشارة .
وجلس تينا على سريرها ، بينما جلس الميجر على كرسي
مام طاولة خشبية .

وقالت تينا : أريد أن أسألك سؤالا يا مستر ميجر ؟
وقال الميجر : نعم ؟
ولم يكن يعرف ماهو السؤال ، ولكنه شعر بأن ذلك سيسعده
أيما كان السؤال !

فقالت : ما هي المدة التي تظن أن الحرب ستستغرقها .
على أرض ايطاليا .. أعنى ؟
ولم يشعر الميجر بأنه سعيد كما توقع ، ولكنه قال : هذا
سؤال خطير ! دعينا من حديث الحرب . أن ذلك ما افعله طول
اليوم . الحرب ، الحرب ، الحرب !

- ولكن عندى سببا خاصا يجعلنى أود أن أعرف . كم
من الوقت تعتقد أنها ستستمر ؟

وسأل الميجر بصوت مرير : وكيف تريدني أن أعرف ؟
لو عرفت ذلك نوجب أن أعرف الكثير جدا من ترتيبات حملتنا ،

وان عرفت ذلك لعرفت اسراراً حربية ! ولا استطيع أن افضى اليك بالاسرار ان كنت اعرفها !

— ولكنك تستطيع أن تحذر يا مستر ميجر ؟

— حسناً . تخمينى .. بعد شهرين !

— وما هى الفترة اللازمة بعد هذين الشهرين لاختلاء سبيل أسرارنا الايطاليين ؟

وفهم الميجر جوبولو ما ترمى اليه بسرعة ، ولم يسره ذلك اقل سرور : الك محب أسر ؟

— المؤلم فى الموضوع اننى لا أدرى ان كان أسر او قتل او ماذا ؟ لذلك أردت ان اتحدث اليك يامستر ميجر . لقد كنت وجيزرجيو على وشك الزواج ...

— وماذا تريدنى ان افعل ؟

— هل تستطيع أن تعرف من أجلى ان كان أسيراً يامستر ميجر ؟

— ماذا تنتظرين منى ان افعل . ان اطوف بجميع معسكرات أسرارنا ، واسأل جميع الأسرى ان كانوا قريبين الى قلب تينا التى تسكن ادانو ؟

— لا بد أن عندكم كشفاً . أليس كذلك ؟

— هذا لا يدخل فى اختصاصى . اننى ضابط مدنى لمدينة ادانو .

— أرجوك أن تساعدنى يا مستر ميجر . ان جهل المصير أسوأ من معرفة انه قد مات !!

— يحضر الي فى مكتبى مئات من الناس كل يوم يسألوننى هذا السؤال ، وأقول لهم ان هذه ليست مأموريتى . أنرحى الحرب لاتزال دائرة ، الاتفهمين ذلك ؟ ان أمامنا معركة يجب ان نخوضها . اننا لا نستطيع ان نقف وسط المعركة ، ونبدأ خدمة أسئلة واجوبة عن المحبين المخلولين .

— أوه ! لا تفعل يا مستر ميجر ! لقد كنت ظريفاً معى لدرجة اننى ظننت ...

— الهذا رجبت بى ؟ الهذا ارسلت أبالك يدعونى لمنزلكم ؟ لكى أبحث لك عن عشيقك ؟

ووقف الميجر جوبولو : اننى آسف لانك تخطئين فهم طريقتى
فى العمل . اذا كان لديك عمل معى فلا تدعينى لمنزلك وتقدمى
لى حلوى ! احضرى الى مكتبى ، وأنا اعاملك كما اعامل الآخرين
على قدم المساواة !

ثم استدار ودخل الى الصالون ، فى الوقت الذى كان الكابتن
بيرفيس يرسم قلبا بسبائتيه وابهامه ، مشيرا اولا الى نفسه
ثم الى فرنشيسكا !

وقال الميجر : اننى ذاهب الى منزلى يا كابتن .

— لماذا ! يا للمصيبة ! لقد بدأت السهرة تحلو !

— لا . اننى قرفت من هذا ! اننى ذاهب لدارى ..

— حسنا . اذن سامحنى اذا لم احضر . لم اكن اظن اننى
استطيع التحدث بأصابعى ، ولكننى نجحت نجاحا لابأس به .
اراك غدا يا ميجر .

وانصرف الميجر . وحاول الكابتن بيرفيس أن يتمم ما كان قد
بدأ يقوله ، ولكن سرعان ما دخلت تينا والدموع تملأ عينيها ،
وقالت لفرنشيسكا بالايطالية عما حدث ، وجاءت روزا وسألت عن
الميجر ، وعاد توماسينو بعد أن وضع الاطفال فى السرير ، وتوقف
الكابتن بيرفيس عن التحدث باصابعه لانه حديث يستطيع الاهل
أن يفهموه كما تفهمه الفتيات ! ولذلك قام هو الآخر وغادر
المنزل !

وبعد ذلك غضب الميجر جوبولو من نفسه لتصرفه وغضبه
السريع من تينا ! وقال لنفسه انه ماكان له أن يتوقع غير ذلك !
وذكر نفسه أنه تحدث فى المساء السابق عن زوجته ، ومع ذلك
لم تستشيط تينا غضبا كما فعل هو . ولكنه لم يستطع أن يحمل
نفسه على الاعتذار لها ، ومضت أيام وليال دون أن يراها .

ولم يكن له من سبيل ليعرف أن تينا كانت تحس بالوحدة
احساسه بها ، ولم يقدر أن الوحدة عند النساء تتخذ بعض
الاحيان نفس الطريق الذى تتخذه مع الرجال .

الفصل الخامس عشر

كان الاومباشى « شاك شولتز » من البوليس الحربى قد اعتاد أن يكثر الحديث عن كراهيته للنبيذ الاحمر ، ومع ذلك فقد كان لذلك النبيذ تأثير خاص فيه . وكذلك كان صديقه الحميمان « بيل و بولاك » من المعجبين بذلك النبيذ ، وكثيرا ما كان ثلاثتهم يشربون من هذا النبيذ معا .

وقد اعتادوا أن يشتروه من كارملينا زوجة فاتا الكسول بسعر دولار واحد للزجاجة . وفي ذات مساء اشتروا ثلاث زجاجات بثلاثة دولارات ، وذهبوا لمنزلهم يشربونها .

ويندر أن يكثر بوليس حربى من الشراب حتى النبيذ ، ولكن الاومباشى شاك شولتز كان نادرا بين رجال البوليس الحربى . وكان صديقه بيل و بولاك فى قسم المهندسين المشتغلين فى ضواحي ادانو . وكانا يقيمان فى نفس المنزل مع بعض رجال البوليس الحربى الآخرين .

ولم يكن شاك وبيل وبولاك يشربون النبيذ ليستمتعوا بمذاقه ، ولا كانوا يشربونه ليقارنوا بينه وبين أنبذة أخرى شربوها ، ولا كانوا يشربونها ليتمموا بها طعامهم ، بل كانوا يشربون ليسكروا ، لذلك لم يكن غريبا أنهم فى الليلة التى اشتروا ثلاث زجاجات بثلاثة دولارات بدأوا من أول الليل يتبادلون نكاتا قبيحة ، ويغنون بعض الاغانى ، ويتجادلون ثم يتململون ويقررون الخروج للنزهة . ولا كان غريبا أن تنقلب نزهتهم الى صخب ، ولا غريبا أنهم عندما اكتشفوا أن سيرهم فى الشوارع لم يأخذهم الى أى مكان الا ان يدوروا ويدوروا ، قرروا العودة الى مسكنهم . لم يكن ذلك غريبا ولكنه كان السبب فى المتاعب التى هبطت عليهم .

لو أنهم بقوا فى مسكنهم ولم يخرجوا للنزهة ، لكانوا فى أحسن حال . كذلك كانوا يكونون لو أنهم بعد نزهتهم لم يعودوا الى

مسكرهم سريعا ، بل استمروا بطوفون حتى طمس السكر على
بصرهم وأضاع حماسهم ، ولكن تصرفهم أوجدهم فى المتاعب .
واليكم ما حدث فى طريقهم الى مسكنهم . قال شاك شولتز :
حرب جهنمية .

وقال بولاك : ماذا حدث يا شاك ؟ هل تحس بالتعب من جديد؟
وقال شاك : لا . اننى فى أحسن حال ، ولكنها حرب جهنمية .
وقال بولاك : أثبت ذلك .

وقال بيل للمرة التاسعة فى تلك الليلة بالايطالية : واحد
اثنين ثلاثة أربعة خمسة .

وقال بولاك : اخرس يا بيل . أثبت أنها حرب جهنمية يا شاك
وقال شاك : الميجر .

وقال بولاك : أى ميجر ؟

وقال شاك : أنت تعرف . الجدع الذى فى سراى المدينة !

وقال بولاك : نعم أعرف من تعنى ؟

وقال شاك : جوبولو . هذا هو الشخص . حرب جهنمية .
وقال بولاك : ما شأنه ؟ ما دخله فى موضوع الحرب ؟

وقال بيل بالايطالية : خمسة خمسة خمسة خمسة خمسة .

وقال شاك : انه لا يسكر أبدا ، أبدا لا يسكر ، ولكنه رجل
طيب .

وقال بولاك : انه رجل عظيم !

وقال شاك : انه أحسن رجل فى الغزو .

وقال بولاك : انه أحسن من ذلك بكثير ، انه كامل !

وقال شاك : لا انه ليس كاملا . انه لا يشرب الخمر ، ولكنه

رجل طيب . انه طيب كجهنم . ان هؤلاء الايطاليين يحسبونهم
عيسى المسيح ! انه أفضل شئ حدث لهذه المدينة .

وقال بولاك : وما الذى يثبت من ذلك ؟ ان الذى يثبت أنها

حرب جهنمية لا تغير الموضوع .

وقال بيل بالايطالية : واحد اثنين ثلاثة واحد اثنين ثلاثة .

وصاح شاك : أوقف هذا العد السخيف يا بيل . سأثبت أنها

حرب جهنمية ، والسبب فى ذلك كله هو الميجر .

وقال بولاك : لعنة الله ! وكيف يستطيع أن يثبت أى شيء إذا كان لا يسكر ؟ •

وقال شاك : سأريكم كيف سيثبت كل شيء • انه أفضل شيء حدث لهذه المدينة ، ولكنه مع ذلك سيأخذ شلوتا • فأتى نوع من الحرب هذه ؟ •

وقال بولاك : ومن الذى سيعطيه الشلوت ؟ أرنى ابن الكلب الذى سيعطيه شلوتا •

وقال شاك : انه الجنرال مارفن • هو الذى سيرفسه ! •
وقال بولاك : يا لعنة • انه يرفس كل انسان ولا أرى شيئا خاصا فى هذا الموضوع •

وقال شاك : أجل ولكن أنظر يا بولاك • ان عندك رجلا هو أفضل ما حدث لهذه المدينة • أعنى انه يفهم هؤلاء الناس • وهذا الجنرال العجوز التافه مارفن سيسخظه الى أمباشى مثلئ • أتى نوع من الحرب هذه ؟

وقال بيل بالايطالية : خمسة أربعة ثلاثة اثنين واحد • بالمقلوب خمسة أربعة ثلاثة اثنين واحد •

وارتاب بولاك ، وقال : كيف عرفت ؟ هل العجوز التافه يقول لك من ينوى أن يسخظهم ومن لا ينوى ؟ •

وقال شاك : لقد رأيت الورقة •
وقال بولاك : الورقة التى ستسخره ؟ •

وقال شاك : لا ، الورقة التى ستسبب فى سخره • لقد حاولت وترا بانى أن نخفيها ولكن الكابتن عثر عليها • ولكن لا شك أنها ستسبب فى سخر الميجر عندما يطلع عليها العجوز •

وقال بولاك : يا للمصيبة ! هل تتصور حربا كهذه •
وقال شاك : حرب جهنمية •

وقال بولاك : لعنة الله يا شاك • لقد أثبت ذلك يا شاك •
حرب جهنمية ! •

وقال بيل : أنا أفضل خمسة • خمسة خمسة خمسة •
وقال شاك : حرب فاسدة معقنة كريهة ظالمة رقيقة ! •

وقال بولاك : حرب جهنمية ! تأخذ وتهدم خير رجل عندك •

وقال شك : أنا أحب الميجر انه ابن كلب أمين • لا أريد أن
يسخط بهذه الكيفية •

وقال بولاك : أنا لم يسبق لى أن رأيت هذا الميجر ، ولكن اذا
كنت تقول أنه أحسن ميجر ابن كلب تعرفه ، فأنا أصدقك وأعتبر
أنها حرب بنت كلب التى تسخط مثل هذا الميجر ! •

وقال شك : هل تعرف يا بولاك أننا يجب أن نعمل شيئا من
أجل هذا الميجر يجب أن نعمل شيئا له •

وقال بولاك : لقد قلت لى ما فيه الكفاية يا شك ••• يجب
قطعا أن نعمل له شيئا •

وقال شك : ماذا نستطيع أن نعمل يا بولاك ؟ شىء حسن •
انه يستحق ذلك • لعنه الله • شىء حسن •

وقال بولاك : ماذا نستطيع أن نعمل يا شك ؟ انك أمباشى
لا أكثر ، وبيل وأنا لسنا الا أنفارا ! ماذا يا للجنة نستطيع
أن نعمل ؟ •

وقال شك : فلنفكر ••

وقال بولاك : أجل يا أخ •• فكر أنت •

وقال شك : نعم •• ولكن ليس عندى أية فكرة ملعونة •

وقال بيل : واحد اثنين ثلاثة • يجب أن نقدم للجدع هدية
وداع اذا كان بالطيبة التى تتحدثون عنها •

وقال شك : أول شىء معقول قلته طول الليل يا بيل • يجب
أن نعطي هدية هائلة ! •

وقال بولاك : ماذا نقدمه له يا شك ؟ •

وقال شك : هذه مسألة صعبة جدا • هدية وداع ! يا للداهية !
لا بد أن تكون هدية جميلة لتقدم له •

وقال بولاك : ان الفكرة أصلا فكرة بيل • ماذا نقدم له يا بيل ؟

وقال بيل بعظمة بالايطالية : واحد اثنين ثلاثة أربعة خمسة •

وقال شك : لا فائدة منه ومن أعداده • لابد أن نعمل شيئا
يا بولاك ، لا بد •

وقال بولاك : لنعد الى المنزل ونأخذ هذه الزجاجات فقد نفكر
فى شىء هناك •

وقال شاك : هذا صحيح لنذهب الى منزل ذى الاربعة العيون
العجوز ، فقد نفكر فى شىء هناك . نشرب ونفكر .

لقد كان المنزل الذى استولى عليه لسكنى شاك وبولاك وبيل
وغيرهم فى المدينة الكبيرة مملوكا لشخص يدعى كواتروتشى (أربعة
عيون) ، وهو تاجر سكنت عائلته اذانو من أجيال ، وكان غنيا جيلا
بعد جيل . وكان منزلهم ، اذا استثنينا منزل كاكوباردو العجوز ،
أجمل منزل فى المدينة . ولقد اختير لايواء الجنود منذ أول يوم
من أيام الغزو . انتقل اليه فى أول الامر مستشفى ميدان ثم
المهندسون والبوليس الحربى . وكان السيد كواتروتشى قد ترك
اثاث المنزل كما هو مكتفيا بتغطيته ببعض القماش . ترك بعض تحفه
الزجاجية فى دواليب أبوابها من زجاج مقفلة . وترك الكثير من
كتبه على أرفف ، كما ترك الجزء الأكبر من الصور معلقة على
الجدران ، فلم يكن قد وجد الوقت الكافى لترتيب محتويات
المنزل ، ولكن الميجر جوبولو أكدله أن جميع المتروكات سيعتنى
بها ..

ودخل السكارى الثلاثة المنزل، وصعدوا فى صخب فى درجات
السلم الى حيث ينامون . وتناول كل واحد زجاجة من لغة
نومه ، وجلسوا لحظة يشربون ويفكرون ..

وقال شاك : « خذ جرعة وفكر فكرة »

وقال بولاك : « خذ لك لعنة واشرب جرعة »

وقال شاك : « يالطيف حاجة صعبة جدا ان نفكر فى شىء يليق
بالميجر الملعون »

وقال بولاك : « استطيع أن أفكر فى أشياء كثيرة، ولكن لاشىء
ملعوننا منها يصلح . أعطونى ميجر فاسد وأنا أوجد لكم هدية
فى أقصر وقت »

وقال شاك : « انها حرب جهنمية حين لاتستطيع أن تفكر
فى هدية وداع لاثقة برجل طيب »

وقال بولاك : « اسمعوا . لقد فكرت فى شىء مريح ، هل أنتم
متأكدون أن هذا الميجر ذاهب؟ »

وقال شاك : « ألم أر تلك الورقة ؟ » .

وقال بولاك : « صحيح . هل نعطيه زجاجة من نبيذ السيد
فاتا ؟ »

وقال شاك : « عليك اللعنة يا بولاك . انك تعلم ان هذا لا ينفع . انك تعرف ان هذا النبيذ يسبب لك اسهالا كلما شربته ، وانك لا تريد ان تودع الميجر ويخرج من هذه المدينة ليتردد على دورة المياه كل عشر دقائق . ام تريد ذلك ؟ »

وقال بولاك : « هذا صحيح . هل نعطيه بعض البزموت . اذا كان عنده اسهال فهذا احسن شيء لمنعه »

وقال شاك : « انا اظن يا بولاك انك سكران . انك تعرف انه لن يصاب باسهال الا اذا قدمنا له هذا النبيذ . ماذا جرى لك ؟ »

وقال بيل : « واحد اثنين ثلاثة اربعة خمسة . لماذا لا تستلقوا شيئا من ذى الاربعة الاعين العجوز لتقدمها للميجر ؟ انكم تجدون هدية جميلة للوداع في هذا المنزل اذا قمتما من مقعديكما البدينين وبخثتما »

وقال شاك : « يا بيل لماذا لا توجد عندك فكرة . ان عندك احسن الافكار حين تكون عندك افكار »
وقال بولاك : « فكرة حسنة ، لنقترض شيئا »

وقال شاك : « يا بيل انك لا تعرف قيمة افكارك حين تكون عندك افكار . انظر . ان هذا الميجر ايطالى ، يتكلم الايطالية كايطالى ملعون . ولا شك انه سيقدر هدية ايطالية من عند ذى الاربعة العيون . لست ادرى يا بيل يا بنى لماذا لست مليونيرا بكل الافكار التى عندك ؟ »

وقال بيل بالايطالية : « واحد وثلاثة اربعة ، اثنين وثلاثة خمسة .. يا سلام استطيع ان اجمع ايضا »

وقال شاك : « لنذهب ونجد شيئا قبل ان ننصرف . »
ووقف ثلاثتهم ، وكان السكر قد بلغ بهم مبلغه . وترنحووا حتى خرجوا من غرفتهم ، ثم من ممر طويل حتى وصلوا الى غرفة الاستقبال .

وقال بولاك : « انظر الى هذه الغرفة . انها كالمدخل الكبير للمحطة . بها تحف ايطالية كثيرة »

وقال شاك : « لننظر »

وقال بولاك : « لماذا لا نعطيه كرسيًا ؟ »

وقال شاك : « فكرة حسنة . ارفعوا هذا الكفن اللعين من فوق الكرسي . لنعطيه كرسيًا »

وتزحلق شاك وبولاك في الغرفة حتى وصلا الى كرسى ، واثنيا عليه لينتزعا الغطاء الذى فوقه . ولكن أيديهم المتعثرة لم تعرف كيف تحل الغطاء !

وقال شاك مقترحا : « ارفعه لننظر اليه من اسفل »

وهكذا رفعوا الكرسى فوق رأسيهما . وتزحلق بولاك . وترك شاك الكرسى ، ووقع الكرسى على الارض ، وكسرى احدى أرجله . وتناول بيل الرجل المكسورة .

وقال شاك : « شئ متعب ، كرسى زفت ، لعنة الله على الكرسى ! » ووقع نظر بولاك على تمثال نصفى من الفخار فوق قاعدة من المرمر في أحد الاركان ، فقال : « من هذا ؟ »

وقال بيل كما لو كان يعرف : « جاريبالدى »

وقال بولاك : « لنقدم له تمثال جاريبالدى » ... وذهب الى الركن ورفع التمثال من على القاعدة وترنح في طريقه للآخرين وفقد توازنه ، ثم اقلت التمثال الذى تكسر الى مئات القطع الصغيرة .

ونظر بولاك الى صورة امرأة عارية بدينة فوق المدفئة ، وقد بدت جميلة في عينيه الثملتين وقال : « لنعطه امرأة . ان كل ميجر يحتاج الى امرأة ! »

وعمل ثلاثتهم على انزال الصورة . واخذوا يوازنون انفسهم على الكراسى ، وتعاونوا ، ورفع ثلاثتهم الصورة من اسفلها ، واستطاعوا ان يخرجوها من مشبكها ، ولكن لم يستطيعوا حفظ توازنها ، فوقعت الصورة واصطدمت بأحد الكراسى ، فتمزقت المرأة البدينة وشطرت نصفين !

وقال بولاك : « الى الجحيم ! صالة المحطة ، لنذهب لغرفة اخرى .. »

وذهبوا لغرفة الطعام . وكان بأحد الاركان فترينة من الزجاج بها قطع زجاجية فينيقية على ارفف . وقال شاك : « لنقدم له شيئا يشرب فيه »

وحاول فتح الدولا ب ، ولكنه كان مغلقا . فقال : « يا بيل افتح هذا الشئ المغلق الملعون . لا تقف هكذا بهذه العصا الملعونة في يدك .. افتح »

وقال بولاك : « عند الضرورة اكسر الزجاج واسحب الذراع »

وتقدم بيل خطوة ووضع رجل الكرسي ، ثم قال بالاطيالية :
« واحد اثنين ثلاثة » وفي الثالثة قذف بها . وانهال الزجاج على
الارض . وتقدم الثلاثة يهتزون ليختاروا هدية . فأوقعوا أول
الامر طاسة ، ثم أوقعوا اوزة من زجاج ، ثم قلة كبيرة من الزجاج ،
ثم أوقعوا الدولاب وكسروا كل محتوياته .

وذهب الثلاثة من غرفة لغرفة بهذه الطريقة ، تاركين خلفهم
الدمار ، وقد ازداد استياؤهم كلما تبينوا أن أملهم خائب في
العثور على شيء لائق أو متين يصلح لتقديمه للميجر .

وأخيرا قال شك : « حرب جهنمية هذه التي لا تستطيع أن
تعثر في منزل ذي الاربعة العيون على هدية » !

وقال بولاك : « الى جهنم تلك الحرب الفاسدة الجائرة ! »

وقال بيل : « لنذهب الى أسرتنا » . .

وهكذا ذهبوا ليناموا ، وسمع بولاك شك يبكي في سريره
فقال له : « مابالك يا شك هل أنت متعب ؟ »

ونحنه شك باكيا : « حرب جهنمية ! »

وقال بولاك : « نعم حرب جهنمية يا شك . نم »

الفصل السادس عشر

عندما وصل الميجر جوبولو الى مكتبه في الغد ، كان بانتظاره زائران : أحدهما كواتروتشي ، صاحب المنزل المستولى عليه الذي يقطنه شاك وبيل وبولاك. ولكن كان على كواتروتشي أن ينتظر لان الآخر كان « لورد رنسن » أحد الرؤوس الكبيرة في حكومة الحلفاء العسكرية . ذلك ان الحكومة العسكرية للحلفاء كانت شركة بين الانجليز والامريكان ، وكما كان الحال في القيادة العسكرية كان الضباط الانجليز والامريكان مشتركين ، وكان لورد رنسن قريبا من الرئاسة .

كان اللورد رنسن رجلا في حوالى الخمسين ، له شعرا شقر متموج ، وعيون ذات بريق قل أن تنظر صراحة في وجه محدثه ، وكان يتعاطى التشوق . وفيما عدا نظرتة الاستعمارية الى الايطاليين ، كان معتبرا رجلا طيبا في حكومة الحلفاء العسكرية ، وكان النشاط واحدا من صفاته الكثيرة . وفي هذا الصباح بالذات كانت الساعة الثامنة وخمس دقائق فقط ، ومع ذلك فأن اللورد رنسن كان قد بدا رحلته في السادسة والنصف ، وتناول افطار الصباح في غيط قمح ، وبقي ينتظر ممثل حكومته منذ خمس عشرة دقيقة . لقد كان يقوم بدورة تفتيشية ليكتشف احسن الامثلة لاعمال حكومة الحلفاء العسكرية في المدن المحتلة .

وأدخله الميجر جوبولو الى مكتبه . وقال اللورد رانسن « هنا مقر الساحر » . لقد كان اللورد رنسن يحاول أن يتكلم باللغة العامية التي يتكلمها مرؤوسوه ، ولكنه كان دائما يستعمل اللغة العامية الامريكية في حديثه مع الجنود البريطانيين ، والعكس بالعكس ، مما جعل الكثيرين لا يفهمون الا قليلا مما يقول .

وكانت هذه هي المرة الاولى التي وجد الميجر جوبولو نفسه يتحدث على انفراد مع لورد حقيقى صريح . ودهش اذ وجده

يلبس البنطلون القصير والياقة المفتوحة ولا يلبس قبعة . وكان الاحترام الذي ابداه اللورد لجوبولو ، وهو يجلس امامه على المكتب يوجه اليه الاسئلة ، جعل جوبولو - الذي كان في وقت من الاوقات كاتباً في ادارة الصحة ببلدية نيويورك - يحس بأنه أصبح شخصاً مهماً .

وكيما يتبدى الحديث ، قال اللورد مشيراً الى ناحية كواتروتشي : « ان صديقك الايطالى متهيج ! » وقال كاتب الصحة السابق : « ماذا قلت يا اللورد ؟ لم افهم ماغنيت » .

وقال اللورد : « لا بأس . قل لى عن عملك هنا يا جوبولو » وقال الكاتب الصحى السابق : « الواقع ياسيدى اللورد ان العمل سائراً سيراً حسناً ! »

وابتسم اللورد ، قال : « سائراً سيراً حسناً » وقيد ذلك بالنوته التى فى يده لاستعمال مقبل ، ثم قال : « ثم ماهى أفضل الاشياء التى عملها هنا ؟ »

اولا كان هناك موضوع الاعانة . لقد اعتاد الايطاليون ان يدفعوا لكل أسرة لها ابن فى الجيش ثمانى ليرات يومياً لرب الأسرة وثلاث ليرات لكل فرد يعوله . ولان هؤلاء الناس كانوا يستندون فعلاً على هذه الاعانة ليعيشوا فقد بدأ الميجر جوبولو يدفعها لهم على الاسس القديمة . وهو يسميها الان المساعدة العامة ، لانه وجد ان هذه التسمية أكثر ديمقراطية ، وكان يدفعها من الغرامات وايراد البضائع التى كان يبيعها ، وكون لجنة من العمدة ومدير البوليس وأحد الاهالى - ترر ماذا كانت الأسرة محتاجة ومستحقة للمساعدة العامة . وقد دفعت المدينة فى اليوم الاول أربعة وسبعين الفليرة .

شرح الميجر جوبولو ذلك للورد .

وقال اللورد : « عظيم . وماذا بعد ذلك ؟ »

ولأظهار أن المدينة تمون نفسها ، كان هناك الحرير المسلين . فقد وصلت احدى بواخر الحرية الى ميناء ادانو وأفرغت حمولة من ذخيرة الحرب ومعداتاها ، كالات اصلاح الطرق ومساواة الكبارى والحيم والذخيرة . وفى أسفل أحد العنابر وجد العمال مست بالات من المسلمين الابيض ، وقال ربان السفينة انه مضطر

لتفريغ تلك البالات . ولكن ناظر الميناء لم يقبل تسلمها لعدم وجود أوراق تبين مصدرها ولمن تسلم .

وكان الموسلين يحمل علامة وزارة المالية الامريكية ، فهي لابد من الاعارة والتسليف ، وانها بلاشك قد فقدت . وسمع الميجر جوبولو بموضوعها . ولما كان يرى الحرق التي تكسواها الى مدينته ، قال انه يستطيع ان يستفيد بها . فدعا مدير التموين المدني وتكلم معه في موضوع الموسلين وصرح المدير ببيعه بسعر مناسب . وعرض الميجر جوبولو بالتين للبيع ، ووضع الاربعة الاخرى في الاحتياطي . وكانت حاجة المدينة للكساء شديدة حتى ان البالتين نفدتا في ساعتين .

وقال اللورد : « مجهود طيب . وما غيره ؟ »

كانت هناك مسألة اللاجئين . في يوم الغزو كان بالمدينة سبعة آلاف أو سبعة آلاف شخص ، أما الآخرون فقد فروا الى التلال وفي خلال بضعة ايام وصل عدد السكان الى اثنين وثلاثين أو ثلاثة وثلاثين ألفا . وازدحمت المدينة ، وكان من اسباب ذلك كثرة اللاجئين من فيشيماري . وقد جاء هؤلاء الناس الى ادانو لان الحلفاء كانوا يدمرون فيشيماري بشدة قبل الغزو . والآن وقد انتقل القتال الى مابعد فيشيماري ، فهم

يريدون العودة الى بيوتهم ، ولكن وسائل النقل غير متوفرة . وفي ذات يوم رأى الميجر سيارة اوتوبيس ألمانية تسير في الشوارع يقودها جندي أمريكي . وقال الميجر جوبولو لنفسه : أستطيع ان استعمل هذا الاوتوبيس . وسأل فاكشف انه خاص بالمهندسين ، استدعى ضابط الموترات وقال له : « أحب ان

استعمل الاوتوبيس الخاص بكم يوما في الاسبوع » . وقال الضابط انه لا يعارض اذا حصل الميجر على تصريح رسمي . وتكلم الميجر جوبولو مع قائد قاعدة ادانو الذي وافق . وبعد بضعة ايام بدأت جماعة تملأ الاوتوبيس ، تهتف وتضحك ، وهي في طريقها لمنازلها . وبعد قليل سمع الكولونيل سارتوريوس رئيس حكومة الحلفاء العسكرية فيشيماري بموضوع الاوتوبيس وغضب ، وأمر الميجر جوبولو بان لا يعود لعمل ذلك . وقال الميجر جوبولو : « اننى فى بعض الاحيان اعتقد ان الكولونيل سارتوريوس مسطول !! »

وقال اللورد رانسن : « هل تريد ان تقول انه يتعاطى مخدرات ؟ »

وقال الميجر جوبولو : « لا يالورد كل ماأردت قوله انه غبى ! »

وقال اللورد : مسطول ، هاها ؟ وضع الكلمة فى مفكرته ، ثم قال :

« حسن جدا وماذا غير ذلك ؟ »

وقال الميجر جوبولو :

« ان أهالى ادانو ياسييدى اللورد سروامن معاملة الامريكان ، حتى لقد عرضوا من تلقاء أنفسهم من غير أن يقترح أحد عليهم أن يعتنوا بالمقبرة الامريكية الصغيرة الموجودة خارج المدينة . ولذلك أقاموا سياجا حولها وطلوه باللون الابيض ، وأخذ روسو النحات العجوز ينحت شواهد للقبور ، وفى كل يوم أحد يأخذ الاهالى الازهار ويضعونها على مقابر الجنود الذين ماتوا وهم يحتلون المدينة . »

وقال اللورد « ان هذا لمؤثر جدا . وماغيره ؟ »

وكان الطعام متوفرا . فقد بعثر الميجر فى الايام الاولى على خمس عربات محملة قمحا على شريط سكة حديد منعزل بمحطة السكك الحديدية ، فطحنه الى دقيق ، واستطاع أن يوفر جزءا للبلاد المجاورة للتلال التى كانت فى مجاعة . وحكم على خباز بغرامة كبيرة ، ثلاثة آلاف ليرة ، لانه خبز خبزا مشبعا بالماء ورفض أن يبيعه على الحساب ، ورفض أن يقبل ليرات الغزو الامريكية ، ولأن يديه كانتا قذرتين . ومن وقتها والخبز جيد جدا عند جميع الخبازين . واتخذ خطوات ليخرج الصيادون لصيد السمك . وهيا للناس أن يحصلوا على المعكرونة التى لم يكونوا قد ذاقوها منذ ثمانية أشهر . لقد كان حال الطعام جيدا .

واذ انتهى الميجر من شرح جهوده فى سبيل تدبير الطعام ، قال اللورد رانسن : « هذا حسن » . وفى كل مرة كان اللورد يتناول النشوق كانت عيناه الميجر جوبولو تكادان تخرجان من ماقيهما وينسى ماهو بسبيله .

وعاد اللورد يقول :

« وماذا غير هذا ؟ »

ان نظافة هذه المدينة كانت أشبه بحكاية هيرقل واسطبله . ولكن من حسن الحظ أن للميجر سابق خبرة بالشئون الصحية . فعندما دخل الامريكان المدينة كان المكلف بنظافتها رجل عجوز

واحد . وكل ما كان في مقدوره أن يفعله هو أن يكنس الرصيف أمام السراى وينقل قمامة العمدة ناستا . أما الآن فعند الميجر جوبولو خمسة وأربعون رجلا يعملون ، وعندهم ثمانى عربات كناسة ، ولورى ايطالى حول الى فنطاسى ماء ، وهو يرش الشوارع فى كل صباح .

وقال اللورد : الماء . ان هذا لبديع »

ولم يفهم الميجر التعبير العامى الذى استعمله اللورد ، ولكنه فهمه على انه مدح . وقال : « ان هذه المدينة يا لورد أحسن بكثير مما كانت عليه قبل حضورنا . انك لاتستطيع أن تتصور كيف كان هؤلاء الناس مدفونين . لقد اعتادوا الخوف من الرجال العموميين ، كما اعتادوا أن يملأوا الاستثمارات وأن يساقوا الى المحاكم وأن يسألهم رجال البوليس عن أسمائهم ، حتى انهم جميعا يضعون اللقب فى الاول والاسم فى الآخر كما يحدث فى الأوراق الرسمية . تماما كالصينيين .

« وكثيرون من بينهم قد أكدوا لى انهم أحسن حالا الآن عن ذى قبل . فمثلا يمكنهم أن يتجمعوا فى الشوارع ويتحدثوا فى أى موضوع يريدون . ويستطيعون الاستماع للاذاعات . وهم يعرفون انهم يحاكمون منى محاكمة عادلة . انهم يستطيعون الحضور الى سراى المدينة والتحدث الى فى أى وقت يريدون . لقد كان العمدة ناستا محدد مواعيد عمله من الثانية عشرة الى الواحدة كل يوم ، وكان لابد من طلب المقابلة قبل الحصول عليها بأسابيع . ولقد قلت لك من نظافة الشوارع . ان هناك طرقا كثيرة ياسيدى اللورد ، وسيكون هناك طرق أكثر اذا تركت لى حرية التصرف . وبدأ اللورد يتضايق قليلا . واخذ يكثر من وضع أصبعيه فى علبه النشوق وينظر من الشباك : « مظهر جميل ، مظهر جميل ، هل هناك شئ غير جميل فى هذه المدينة ؟ »

وقال الميجر : « نعم ياسيدى اللورد شئ واحد ! »

- « بودى لو أن كل مدتنا فيها شئ واحد ينقصها يا جوبولو »

- « ان هذا ياسيدى اللورد ليس بالشئ الرديئى » وقد يبدو

لك سخيفا !

وقال اللورد رانسن وهو يتعاطى النشوق بعظمة : « ان واجبى

ان أعمل أشياء حسنة من السخافات . ما هو هذا الشئ

يا جوبولو ؟ »

- « ياسيدي . ان هذه المدينة محتاجة الى جرس . »
- « جرس ؟ لقد سمعت ياميجر مجموعة أجراس تدق في الساعة الثامنة من صباح اليوم حتى لاحسب اننا في يوم عيد الميلاد ! »

- « نعم ولكن هذا جرس خاص ياسيدي اللورد »
- « لم أكن أعرف أن هناك أجراسا خاصة الا في جهنم »
- « ان هذا الجرس كان عمره سبعمائة سنة ، وكان تقريبا أهم مافى المدينة بحسب حديث هؤلاء الناس . وقد أخذه موسولينى ... »

وروى الميجر جوبولو كيف حزم الجرس وشحن بالباخرة لتحويله الى مواسيرمدافع ، وكيف جاء اليه الناس فى شأنه وكيف حاول أن يتتبعه ، وكيف اكتشف انه صهر أوانه على الاقل فى منطقة غير محتلة .

وبدأ تفكير اللورد الاستعماري وقال : « لاشك ان هؤلاء الناس يستطيعون الاكتفاء بما عندهم من أجراس . اننا لانستطيع أن نحكم عواطفنا كما تعلم ياجوبولو . لانستطيع أن نجعل هؤلاء الناس سعداء جدا كما تعلم . لانستطيع أن نجعل النظام يتراخى . »

- « اننى لأعتقد ان السعادة والنظام لايتفقان »
وقال اللورد وهو يتعاطى كمية من النشوق للتأثير : « أيها الشاب ، أظن أن تجربتى فى هذه الناحية تزيد قليلا على تجربتك ، وقال الميجر جوبولو : « كلما صنعت شيئا لهؤلاء الناس وجدت انهم يلبون لى طلبين من باب الاعتراف بالجميل » !!

- « حسن ، ماذا تريدنى أن أعمل بخصوص هذا الجرس ؟ »
- كنت أفكر ياسيدي اللورد انك قد تقترح طريقة للحصول لهم على جرس آخر . ليس أى جرس كما تعرف ، بل جرسا يمكن أن يحل محل جرسهم الذى فقدوه . »

وقال اللورد : « كلما أردت شيئا غير عادى قدمت طلبا للجيش الامريكى . ان لديهم أغرب الاشياء كما تعلم . لقد أعطونى سيارة جيب . وأعطونى أنواع البيبات التى أحبها من خشب اسكوتلاندى جميل ، سارطول الطريق من اسكتلندا الى الولايات المتحدة ، ثم عاد أدراجه الى الجزائر بطريق الجيش الامريكى ... »

لقد حدثنى بعضهم عن أمواس الحلاقة الكهربائية ، فأحضروا لى واحدا منها . ولكنى لانستطيع استعمالها بسبب هذا التيار

الايطالى اللعين، انه تيار غلط كما تعلم ليس كتيارنا . اننى اقترح
أن تجرب الجيش الامريكى يا جوبولو ،

- لم أجد نفس الحظ مع الجيش ياسيدى اللورد . هل لك صديق
أو شيء ؟ ممن تطلب هذه الاشياء الكمالية التى يحضرونها لك ؟

- اكتب للجنرال ولسون . و . ب . ولسون ، مخازن القوات
بالجزائر . لقد قال لى الجنرال ولسون أنه سيحاول أن يحضر لى
أى شيء . أطلبه . اذكر له اسمى يا جوبولو وهو سيجد لك جرسا .
اننى موقن من ذلك .

وكتب الميجر جوبولو اسم الجنرال ولسون وعنوانه وقال :
شكرا لك ياسيدى اللورد ! يبدو كما لو كان النجاح نصيبنا . اننى
حقا أريد جرسا لهذه المدينة .

وأغلق اللورد رانسن علبة النشوق ووقف يقول : يبدو لى
يا جوبولو انك تقوم هنا بعمل ساحر . حافظ عليه . واذا
صادفتك أية صعوبة دقلى تليفونا . . . وانصرف اللورد وهو على
وشك أن يعطس عطسة جميلة كان محتفظا بها فى نخاشيشه
لمدة عشر دقائق .

ونظر الميجر جوبولو من الشباك وكان سعيدا سعادة مضاعفة
لما حققه من عمل ولما سمعه من مديح . ولكنه انتزع من سعادته
بفيضان من الالفاظ الايطالية ، كان مصدرها كواتروتشى :

- انتم الامريكان تحسبون انكم متمدينون . انكم تظنون انكم
تخدموننا بالنزول فى شواطئنا . انكم لستم أفضل من الالمان .
ان الالمان لم يعملوا فى هذه المدينة شيئا مثل الذى عمله
رجالكم . لقد قدمت لكم بيتى ، ولم أمانع فى تقديمه لكم ، وكنت
أحسب الامريكان متمدينين . وقد قلت انهم سيعتنون بمنزلى كما
لو كان ملكهم . انك كاذب ! !

ولقد صعد الميجر جوبولو لهذه الاهانة ، خصوصا بعد
ما سمعه من مديح . فقال بحدة : ماذا تريد . ضع حدا لهذه الثروة
وقل لى ماذا تريد ؟

- اننى لا أريد شيئا . ان ما فقدته لا يمكن ان يعوض ، فكيف
تريدنى ان أطلب شيئا ؟

- اذا كنت لا تريد شيئا فلماذا تضع وقتى ؟
وتحدث كواتروتشى بسخرية : أنا أسف اذا كان وقتك ثمينا
الى هذا الحد يا فخامة الرئيس .

ثم قال بغضب : لقد فقدت أشياء لها قيمتها فى نظرى أيضا .
لقد ذهبت الى منزلى هذا الصباح لأخذ بعض الأشياء التى تركتها
خلفى . فما الذى وجدته ؟ لقد وجدت ان متوحشيك قد كسروا
تمثالى الفخار . لقد صنعته كاميليانى الفلورنتينى فى القرن السادس
عشر . أى ثمن تستطيع ان تحدده لهذا ؟ لقد مزقوا صورة
فينوس من رسم جيورجىونى . ما قيمة هذا الرسم ؟ لقد حطموا
الزجاج الذى شربت فيه أمى نخب زواجها فى فينيسيا . كم من
الذرات كانت تساوى فى نظرى هذه الكؤوس ؟

وبدا كواتروتشى يبكى ويتحدث حديثا غير مفهوم !

واستشاط الميجر جوبولو غضبا ، وطلب الكابتن بيرفيس
على التلفون ، وقال له : بيرفيس ، ما الذى جرى لرجالك ؟ هل علمت
أنهم تصرفوا كمجموعة من المتوحشين فى المنزل المخصص لسكنهم ؟
لقد كان هذا الشخص من الطيبة لحد أنه تركهم يسكنون بيته
ويستعملون بعض حاجاته ، فلماذا لعنة الله عليهم اساءوا واستعمالها ؟
أريد منك أن تبحث عن الذين أتلفوا أشياء مسكنهم ، وتجمعهم فى
مكتبك فى مدى خمس عشرة دقيقة ، ثم وضع سماعة التلفون دون أن
يترك للكابتن الحيران فرصة يتنفس فيها .

وانتقل الميجر جوبولو الى الناحية الأخرى من مكتبه ، وربت
على كتف كواتروتشى الذى كان مستمرا فى البكاء ، وقال : تعال
يا كواتروتشى ، لنذهب الى منزلك ، ونرى ما الذى فعلوه على وجه
التحقيق .

ومشى الرجلان فى الشارع الى المنزل الجميل . وقاد كواتروتشى
الميجر خلال غرف الدور الثانى واره الأشياء المكسرة .

واكتأب الميجر جوبولو أشد الاكتئاب لما رأى ، وقال فى حنان
لكواتروتشى الذى فاق غضبه كل الحدود : لا يوجد أى عذر يبرر
هذه الفعلة .

وأخذ الميجر جوبولو كواتروتشى الى قيادة البوليس الحربى ،
وكان الكابتن بيرفيس قد جمع عنده شاك وبيل وبولاك .
وبمجرد أن دخل الميجر وقف الثلاثة وقفة انتباه .

وقال الميجر جوبولو : خذوا راحتكم ولكن اصغوا الى
ووقف الثلاثة صفا .

وقال الكابتن : كان يجب ارسالكم الى الولايات المتحدة . أى

مثل تظنون انكم تضربونه لسكان هذه البلاد ؟ كيف تظنون اننا
نستطيع اقتناعهم اننا اناس طيبون ! اذا كنتم تتصرفون كما لو كنا
جميعا نساكن الغابات ونلبس جلود الحيوانات ؟
وقال بولاك : ولكننا لم نقصد سرا ياميجر .

وقال الميجر : ان بواعثكم لا تحدث أقل تغيير . ان النتيجة
هى التى يعول عليها ...

وقال بولاك : اننا فعلنا ذلك من أجلك ياميجر !

— ما الذى تعنيه ؟ عملتم هذا من أجلى ؟ كيف يمكن أن تتصوروا
أننى أريد منكم أن تعملوا عملا كهذا ؟

وقال بولاك : لقد كنا نبحث عن هدية نقدمها لك يا سيدى .
وكان بولاك يظن فى نفسه انه اذا كان الميجر يستحق كل
الاغراق فى المدح الذى غمره به شاك شولتز فى الليلة
الماضية ، فهو مستطع ولا شك أن يتخلص من المأزق الذى وقعوا
فيه .

وقال الميجر ، ولماذا بحق الاله تريدون أن تقدموا لى هدية . اننى
لم يسبق لى ان رأيتمكم ؟

وقال بولاك : اننا مجرد انفار مجندين . ولكننا رأيناك قبل
ذلك

وقال الميجر جوبولو : لا ازال اريد ان اعرف لماذا فكرتم فى
البحث عن هدية لى وبأية مناسبة ؟

وقال بولاك : انها كانت ستكون هدية وداع ...

وقال الميجر : ومن هو الذى سيودع ؟

وقال بولاك : ان الامباشى شولتز قال ...

وقال شاك شولتز : دعنى أتولى هذا الموضوع يا بولاك ...
والتفت الميجر جوبولو الى الامباشى شولتز ، وقال له :
قل لى ما هو الموضوع ؟

وتبين شولتز انه لا يوجد اى مخرج فقال : لم يكن هناك اى
مبرر لما عملنا ياسيدى الميجر . لقد كنا فى اشد حالات السكر .
وأظن ان بولاك لا يزال سكرانا !

ورفع بولاك قبضته مهددا وقال : ماذا يا ...

وقال الميجر جوبولو : وما موضوع الهدية ؟

وقال شاك : لقد مرت علينا فكرة اوحى لنا بها السكر انك احسن ضابط راينا ، وفكرنا في ان نقدم لك هدية . وخطر في بالنا أننا قد نجد لك هدية في المنزل . وكنا نعلم انك ايطالي قريبا ، وحسبنا ان شيئا ايطاليا من المنزل قد يروقك . ذلك هو كل ما في الامر !

وقال الميجر جوبولو بصوت فقد الكثير من حدته : اننى لست ايطاليا ، يا اولاد ، اننى امريكى وفى بعض الاحيان لأحس بأننى نخور بذلك بالقدر الذى كنت أرجوه !

ثم التفت الميجر الى كواتروتشى وقال له بالاطالية : لا اكاد ادرى ما اقوله لك . اننى أعرف ان اى اعتذار واى تعويض مالى لن يرد لك ما فقدته . اريد ان اقول لك ان هؤلاء الرجال الذين ارتكبوا الجريمة آسفون الآن لما فعلوا بعد ان تبينوا كم كانوا قساة . اريد ان اقول لك يا كواتروتشى اننى أحس باننى قد فقدت جزءا من الزهو الذى كنت احس به بالامس . سوف يعاقب هؤلاء الرجال بعدل وصرامة لما فعلوا . وارىد منك ان تقدم طلبا للتعويض عما أتلّف ، ولن ألومك اذا ضاعفت الثمن . ذلك كل ما استطيع قوله لك يا كواتروتشى !

وقال كواتروتشى : لا ادرى شيئا عن أغلب الامريكان ، ولكننى اعلم يامستر ميجر اننى استطيع دائما ان اнал الحق منك .

وقال الميجر : نهارك سعيد يا كواتروتشى . ومن الآن سيعلن بيتك . استطيع ان أعدك بذلك .

وانصرف كواتروتشى والتفت الميجر الى الرجال الثلاثة وقال لهم : لا ادرى ان كنتم قد أدركتم مدى اساءتكم لهذا الايطالى ؟ انه كما لو كنتم قطعتم ذراعه ، انه كان يحب هذه الاشياء التى كسرتموها . ولقد قلت له انكم ستعاقبون بشدة بمثل الشدة التى أسأتم بها اليه .

وارتعد الرجال الثلاثة :

وقال الميجر : سأجعل عقابكم ان تتحمل ضمائرکم آلام هذا الرجل ، ومن الآن فصاعدا عليكم ان تصونوا بيته نظيفا كما لو كان بيت أمکم . انصرفوا - ١٠٠٠ !

وقال شاك : نعم يا سيدى ، وشكرا !

وقال بولاك : شكرا يا سيدى !

وقال بيل : شكرا يا سيدى سنعتنى بالبيت !

وقال بولاك : نعم يامى يدى سوف نعتنى به ولا شك !

وبمجرد أن خرجوا قال شاك : هذا أحسن رجل ابن كلب رأيته
فى هذا الجيش !

وقال بيل : ان الشئ الذى أثر فى هو ماقاله بخصوص أمى !

لقد كانت أمى فخورة دائماً بكؤوسها • لقد كانت زجاج
مشطوفا • اننى أحس كما لو كنت كسرتها ليلة أمس (٥)

الفصل السابع عشر

لقد تحمل كاكوباردو برودة اثنين وثمانين شتاء ، ولذلك فإن المعاملة السيئة التي عامله بها الجنرال مارفن لم تضعف من رغبته في معاونة الامريكان .

واستمر كل يومين أو ثلاثة يبعث بمذكرات للميجر جوبولو كان الكثير منها اقتراحات سخيفة ، والكثير الآخر عن أمور يكون الميجر قد سبق أن حققها . ولكنه في ذات يوم أرسل مذكرة استوقفت نظر الميجر جوبولو !

« لضابط الشئون المدنية ،

« أريد أن أخطر ، لاتخاذ الاجراءات اللازمة . منذ أشهر كثيرة لا يتسلم أهالي ادانو حصتهم من زيت الزيتون ، ولكن الضباط المدنيين والعسكريين ينالون كفايتهم لعائلاتهم ولا صدقاتهم .

وقد أبلغت أن صغار الاهالي مضطرون لان يدفعوا في السوق السوداء أى سعر قد يصل الى ٨٠ ليرة للتر (حوالى ٨٠٠ جرام) والسعر الذى حددته الحكومة الفاشستية للتموين هو خمس عشرة ليرة ونصف ليرة للكيلو (١٠٠٠) جرام .»

« انك لاتستطيع أن تسمح باستمرار هذا الاستبداد بالفقراء » بكل احترام : « ماتيو كاكوباردو »

والشئ الذى اهتم له الميجر جوبولو فى هذه المذكرة هو أن كاكوباردو العجوز يلوم الفساد الفاشستى على وجود السوق السوداء . لقد كان الميجر جوبولو يعلم بوجود السوق السوداء . وكان قد اعتزم اجراء تحقيق فى موضوعها ، وقد فعل ، وكانت النتائج التى وصل اليها مزعجة .

لم تكن السوق السوداء وليدة خطأ الفساد الفاشستى . وحتى لم تكن خطأ التجار الذين رفعوا الاسعار فوق كل حد محتمل . انها غلطة رجال الغزو ، ومن السهل اثبات ذلك .

يوجد سببان لادخال الامريكان السوق السوداء فى ادانو والتضخم الذى سايرها حتما :السبب الاول الكرم الامريكى . فقد بدا للايطاليين أن الامريكان انما حضروا لبلادهم مسلحين على الاخص بالسجائر والحلوى . فقد كان الكبار يطلبون سجائر ، والاطفال يصيحون فى الشوارع طالبين الحلوى . وكان الامريكان يقدمون ما يطلب منهم . كما كانوا يقدمون علب الاطعمة المحفوظة ، مافتحوه منها ولم يتموا اكله ، ومالم يفتحوه . ولما كانوا يشترون شيئا كانوا يقدمون الثمن بعواطفهم . والسبب الثانى أنهم كانوا اذا اشتروا شيئا ، ولم يجدوا زميلا يتحدث الايطالية ليسأل عن الثمن ، يدفعون مايتصورون انهم كانوا يدفعونه فى الولايات المتحدة .

وهاهى امثلة اربعة عشر عليها الميجر ، تبين بوضوح كيف بدأت السوق السوداء والتضخم المالى .

لقد تابع سوق الحمر السوداء الى منزل كارملينا زوجة فاتا الكسول . ان اول شخص اشترى نبيذا من كارملينا فى الليلة الاولى للغزو كان الامباشى شاك شولتز . وكانت رواية كارملينا للميجر ان الامباشى أعطاها دولارا وانصرف . وكانت رواية شولتز أن السيدة ساومت وصرخت وهددت باستدعاء البوليس . وعلى كل حال فقد دفع شولتز الريال فى حين أن الثمن المعتاد لمثل هذا النبيذ قبل الغزو كان عشرين ليرة أى عشرين سنتيا .

ودخل اربعة عساكر ذات صباح عند حلاق ، وأشاروا بأصابعهم فوق رؤوسهم مظهرين الرغبة فى قص شعورهم . ولم يكن أحدهم يستطيع التحدث بالايطالية . وهكذا حددوا مادفعوه على أساس آخر مادفعوه لقص الشعر فى الولايات المتحدة . أخرج كل واحد منهم نصف دولار وضعه فى يد الحلاق وقال له : « احتفظ بالباقي يا جو » على حين أن السعر المعتاد لقص الشعر كان ثلاث ليرات أو ثلاثة سنتيات ولحلاقة الذقن سنتين . وهاهو الحلاق يكسب فى عمل صباح واحد مائتى ليرة . ولذلك منح نفسه أجازة ، ورفض أن يقص شعر أحد لمدة ثلاثة أسابيع حتى انتهت نقوده .

وكانت السوق السوداء عند المومسات أخطر . كان الطلب بالطبع كثيرا مع وجود جيش جديد . وكان العرض قليلا لفرار الفتيات الخائفات الى التلؤلؤ . لقد كانت أجورهم قبل الغزو - صدق أو لا تصدق - خمس ليرات أى خمسة سنتيات أمريكية . وكان الجنود الامريكان اذ يتقدمون بعروضهم وهم لا يعرفون الايطالية فى أيامهم

الاولى، يستعملون الاشارة ، وهي لغة الحديث الدولية ، فيرفعون أصبعين يريدون بذلك أن يعرضوا دولارين . وكان هناك سوء تفاهم في بادىء الامر ، اذ كانت الفتيات تظن أنهم يعرضون ليرتين أو سنتين ، وكن يرفضن . ولكنهن فهمن أن العرض مائتا ليرة ، وهكذا نما العمل ، وأثمرت السوق السوداء .

وكانت السوق السوداء في الطعام تهدد حياة المدينة . فكان الفلاحون بدلا من احضار غنبيهم وبطيخهم وخضارهم الطازج الى سوق المدينة ، يذهبون الى جوار المعسكرات حتى يعثروا على جندي متأخر عن زملائه ، ويغرونه في حرارة النهار بفاكهتهم التي تروى الظما بأى سعر قد يتراوح بين عشرة وعشرين مرة للسعر الفعلي . وساءت الحالة لدرجة أن أهالى المدينة كانوا يشترون القليل النادر من الفاكهة التي تصل الى المدينة ليبيعوها فى الارياف للامريكان المتهورين .

وقد عمل الميجر جوبولو ثلاثة أشياء ليضع حدا للسوق السوداء، او على الاقل ليخفف من حدتها : وضع المدينة خارج الحدود للجند الامريكان، لايدخلونها الا لعمل . وأمر البوليس بمنع خروج أى طعام من المدينة ، وغرم كل شخص يضبط يبيع بأكثر من السعر أو يخفف من الوزن ثلاثة آلاف ليرة ، أى اقتصاد العمر لفلاح ايطالى فقير .

الفصل الثامن عشر

لم يساعد ارسال الجاويش تراباني للورقة القرمزية الخاصة بالغاء أمر منع العربات الى غير الشخص المختص كثيرا ، اذ أنه ماكاد الشخص غير المختص يفض الظرف ويقرأ الورقة ، حتى أرسلها لصاحب الاختصاص .

وكان صاحب الاختصاص هو القائم مقام و . و . نوريس الضابط الاول للفرقة التاسعة والاربعين . لقد وضع الشخص الذي أرسلت له الورقة على مكتبه . ولكن القائم مقام نوريس الذي كان مثقلا بالعمل الكتابي لم يقرأ محتويات الورقة لنهايتها . كان كل ماقرأه هو الجزء الاول الخاص بأمر الجنرال مارفن بمنع العربات من دخول ادانو .

وعند ذلك كتب بالرصاص في الركن الاعلى الى اليسار : « الصورة المعتادة لملفات الفرقة » وترسل صوزة اضافية للكولونيل ميدلتون يكتب عليها لاحاطة الجنرال مارفن علما ، ثم رمى الورقة في سبت الخطابات الصادرة .

وبعد ساعتين جاء جاويش فني وأفرغ محتويات سبت القائم مقام نوريس الخاص بالخطابات الصادرة ، وكتب في الوقت المناسب ثلاث صور لتدفن في ملفات الفرقة ٤٩ حيث لن تقع عليها العين بعد ذلك : صورة وضعت في ملف البوليس الحربي ، وأخرى في ملف الموظفين ، والثالثة في ملفات القسم السري تحت عنوان : البلاد المحتلة - اجراءات تأديبية . ثم عاد الجاويش الفني وكتب صورة نظيفة للورقة لارسالها للكولونيل ميدلتون والجنرال . كان يريد أن ينهي عمله ، ولم يكن يشاء أن يؤخر شيئا . وكان معتنيا بالكتابة لدرجة أنه لم يلتفت لما تقوله الورقة .

ثم وضع الجاويش الفني الصور الاربعة والاصل القرمزي في سبت الاوراق الواردة على مكتب القائم مقام نوريس .

وكان للقائم مقام نوريس مساعد يدعى « الليفتنانت بترز »
محب لمعرفة كل شيء ، وكثيرا ما ضايق القائم مقام بقراءة ما يقرؤه
من فوق كتفه . كان يريد دائما أن يعرف ماهي أوامر المعركة
فى اللحظة التى تحرر فيها حتى قبل وصولها لقواد الفرق .
وكانت ميزة الليفتنانت بترز وفضوله أنه كان فى العادة يقرأ
بريد القائم مقام نوريس بدقة تفوق دقة القائم مقام وجاويشه
الفنى .

وفى الصباح الذى وضع فيه الجاويش الفنى الورقة القرمزية
والصور الاربع فى سبت القائم مقام ، استيقظ الليفتنانت بترز مبكرا
ورائقا ، ولبس وحلق ذقنه ، وقبل أن يتناول طعام الافطار
ذهب الى مكتب القائم مقام نوريس وقرأ الخطابات الواردة .
وعندما وصل الى الورقة القرمزية والصور الاربع أخذ الاوراق
من الملف وقرأ حتى انتهى ، ثم أعاد الملف الى سبت الاوراق ،
وأخذ الورقة القرمزية والصور الاربع ووضعها فى محفظة على
مكتبه .

وفى آخر النهار بعد أن ذهب القائم مقام لحضور اجتماع أخرج
الليفتنانت الورقة والصور الاربع ونادى الجاويش الفنى الى مكتبه .
وسأله : « هل رأيت هذه ؟ »
وخشى الجاويش الفنى أن يكون قد أخطأ فى الكتابة ، وقال
ببساطة : « نعم ياسيدى » .

وقال الليفتنانت : « حسن . ان هذا الميجر كان محقا » .
وقال الجاويش الفنى الذى لم تكن لديه أدنى فكرة عن محتويات
الورقة القرمزية : « كان على حق »
وقال الليفتنانت : « لاشك أنه كان محقا . من السهل رؤية
ذلك . ولكن اذا وقع نظر الجنرال مارفن على هذه الصورة فان
مصير الميجر لايسر » .

وقال الجاويش الفنى ليحفظ خط الرجعة : « نعم ياسيدى »
وقال الليفتنانت : « ضع هذه الصور فى الملفات ، وأنا سأهتم
بالنسخة الخاصة بالجنرال » .

وقال الجاويش : « نعم ياسيدى » ، وأخذ الصور .
وقال الليفتنانت : « هذا المارفن عاقبنى لذنب لم أرتكبه .
ولذلك لم أحبه قط . اننى لأعرف هذا الميجر ، ولكننى أعتبر
من العار أن يعاقب لمثل هذا ! »

- نعم ياسيدى - قالها الجاويش الفنى ثم تجهم وجهه وقال :
لن تسبب لى متاعب ياسيدى كما حدث حين فقد خطاب القائمقام
نوريس » •

وقال الليفتنانت : « لا • لا تقلق » •

ولكن الجاويش الفنى ظل قلقالعدة أيام ، حتى تشجع وسأل
الليفتنانت عما فعله بالصورة التى كتبت للجنرال مارفن :
انك لم ترمها • هل رميتها ؟ فقد يسألنى القائمقام نوريس
عنها ؟ »

وقال الليفتنانت بترز : ليتنى رميتها • لم أجد فى نفسى تلك
الشجاعة ووضعتها فى الحقيبة الذاهبة الى الجزائر • انك تعلم
كم فقدنا من أوراق بهذا الطريق ، واعتقدت أنه ربما ••

وقال الجاويش الفنى وقد زال عنه القلق وهو يبتسم : ربما
فقدت بطريق المصادفة عمدا ؟

الفصل التاسع عشر

بمجرد أن خرج العمدة ناستا من اعتذاره اليومي أمام الجاويش بورث ، اخترق الطريق الى الطوار العريض أمام السراى ، الذى كان يتجمع عليه فى كل يوم عدد كبير من الناس ، بعضهم لمجرد قتل الوقت ، وبعضهم الآخر للافضاء بشكاواهم التى لاتنقطع ، وبعض للاتصال بصغار المحامين الذين اتخذوا من الطوار مكاتب لهم .

واتجه العمدة ناستا الى أحدهم الجموع ، وكانوا نحو عشرة أشخاص ، ووجد أنهم يتناقشون فى موضوع الحرب . وانتظر فرصته للتحدث ثم قال : لقدوصلتني أخبار من الداخل بعد ظهر أمس .

وتشجع ميركوريو سالفاتورى المنادى وقال : لانريد أن نسمع اخبارا من الشخص الذى لم يعدعمدة !

وتذكر ناستا العمدة الوقت الذى كان يستطيع فيه أن يضع المنادى فى السجن لسنة كاملةلقوله مثل هذا الكلام ، ولكنه قال : ان هذا الحبر وصل من ابن صديقك افرونتى قائد العربة الصاخب . لقد هرب الغلام من الجيش فى أول أيام الغزو ، وهو الآن هنا . أظنك تعرفه ، وهو غلام أمين ومحل ثقة .

وبدا سم العمدة ينفذ . وقال فاتا الكسول الذى يظهر صباح كل يوم فوق هذا الرصيف : « اذا كان الامر كذلك فما الذى قاله مما يستحق الاهتمام ؟ » .

- قال ان أصدقاءنا الالمان قدبدأوا هجوما مضادا . .

وقال الاب بونشوفيكىو : ليس فى هذا أى جديد . لقد هجموا هجوما مضادا قبل ذلك . لقد هجموا هجوما مضادا قرب فيشيمارى ، ولم يعد عليهم بأية فائدة ، وردوا على أعقابهم ، وسيردون على أعقابهم مرة أخرى !

وقال العمدة ناستا : ليس في هذه المرة ، فانهم في هذه المرة سيستعملون خمس فرق جديدة ، وهذه جنود قوية ، فلن يردوا على أعقابهم هذه المرة ، بل قد صمموا على القاء الامريكان في البحر !

وقال فاتا الكسول الذي لا يفهم الاخبار : متى سيبدأ هذا الهجوم ؟ أظن أنني سأصعد الى التلال ..

وبدت مخايل العظمة على العمدة ناستا كما كان في أيامه السابقة : وقال لا يليق بي أن أذكر لك ذلك ، ولكن الهجوم سيبدأ في اليوم الثالث والعشرين في الساعة الرابعة صباحا . وتستطيع أن تتوقع القذف بالامريكان في البحر ما بين الخامس والعشرين والثامن والعشرين من الشهر .

وبدأ الذين يسهل التأثير فيهم يصدقونه . وقالت لورا سوفيا ، التي لم تتزوج ، والتي كانت تقف فوق الرصيف على أمل أن تقتنص زوجا : في الثالث والعشرين . انه يوم الاربعاء المقبل !

ولكن ميركوريو سالفاتوري الذي أحسن الامريكان معاملته رفض أن يصدق أنهم ذاهبون ، وقال : أنا لا أصدق . ان الامريكان سيردون الهجوم ! .. حتى المنادي بدأ يصدق أن هناك هجوما سيحدث ، وكل مالم يكن يصدقه هو أن الالمان سينتصرون .

وقال العمدة ناستا : لن يوقف الامريكان الهجوم . قد يكون الامريكان أصدقاء ، ولكنهم ليسوا محاربين !

وقالت مارجريتا المريعة ، زوجة كراكسي ، وهي تنظر اليه نظرة تهديد : يا كذاب !

ولكن العمدة ناستا قال : ليس هذا رأيي ، بل هو رأي ابن افرونتي ، قائد العربة الصاخب . انكم تعرفون الغلام ، وتعرفون أنه صادق . انه يقول ان الامريكان جبناء في المعركة . وهو يقول ان جنودنا أنفسهم يستطيعون هزم الامريكان .

واضطر مركوريو سالفاتوري المنادي أن يقول : أنا لا أصدق ذلك !

وقال العمدة ناستا : انه صحيح . ان هذا الغلام قد حارب في تونس ، ويقول انه في موضع يعرف بالقطار لم يستمر الامريكان في هجومهم ، وانهم تصرفوا كما يتصرف الخائفون ، وهزموا . ان البريطانيين قد يستطيعون الحرب ، أما الامريكان فلا .

وقالت مارجريتا المريعة : هذا كذب حقير ! ولكن لم يكن فى صوتها أى غضب ، فقد بدأت تفقد ثقتها •

لقد كان هذا الرجل ناستا قادرا على الاقناع • لقد أقنع الناس حتى وصل الى مركزه ، وأقنع الناس حتى صاروا يرهبونه •• والآن سهل عليه أن يقنعهم ليسيئوا الظن بالامريكان •

وقال العمدة ناستا : لقد ذكرلى ابن افرونتى أن الامريكان تصرفوا فى داخل البلاد تصرفا سيئا ! لقد كانوا كرماء لنا على طول الشاطئ لانهم كانوا فى حاجة الى نقطة ارتكاز ، ولكنهم فى الداخل تغيروا كل التغيير • لقد اغتصب الجنود السود سبع فتيات ايطاليات ، وحدث نهب كثير !

وقال فاذا الكسول : لقد سمعت أن الامريكان نهبوا بيت كواتروتشى هنا فى ادانو وأحدثوا خسائر كبيرة !

وقال العمدة ناستا : هذا صحيح ، لقد تحدثت الى كواتروتشى أمس !

وقالت مارجريتا المريعة : ما الذى حدث ؟ - ان هذا موضوع قريب ، وهى تعتبر كل ما يحدث فى ادانو يخصها من قريب أو بعيد ، فهو مادة صالحة للقليل والقال !

وقال العمدة ناستا : لقد أتلف المتوحشون الامريكان ماقيمته اربعمائة وسبعون ألف ليرة من الاثاث من منزل كواتروتشى • أثاث موروث وصور وتماثيل وزجاج • وقالوا ان الفن الايطالى منحط ، وقد فعلوا ذلك كله ليحتموا الآراء الامريكية فى الفن على ايطاليا • لقد قال لى كواتروتشى أن ذلك ماقاله له الميجر الامريكى !

وقال مركوريو سالفاتورى المنادى : أما هذا فلا أصدقه • ان المستر ميجر صديقنا ! ••• وقد تضايق المنادى ، لانه قال ذلك بصوت مرتفع • وكان حديثه بصوت جهورى يصل الى السراى •

وقال العمدة : خفض صوتك فقد يسمعك ويعاقبك !

وقال مركوريو : لماذا يعاقبنى ؟ اننى أدافع عنه •

وهمس العمدة ناستا : انك لاتستطيع أن تفهم تصرفاته •• وهو أيضا فاسق ، فهو يحاول أن يسبى بنات توماسينو

الصيداد • اننى علمت ذلك من مصدر ثقة ، وسترى قريباً أن بنات توماسينو ستنتفخ بطونهن!

وبدأت هذه الاخبار تسلي مارجرىتا المريعة ، وقالت : اننى أعرف بنات توماسينو ، ولاأظنهن فى حاجة لتنتفخ بطونهن الى مساعدة المستر ميجر ! وضحكت بشدة !

وقال العمدة ناستا : سوف ترون ! ثم قال كما لو كان الانتفاح قد بدأ وأن ذلك أحرجه : لا بد لى من الانصراف ! وانحنى لمن حوله محيياً : نهاركم سعيد ، لاتنسوا اليوم الثالث والعشرين !

وفى كل يوم بعد خروجه من الاعتذار أمام الجاويش بورث كان العمدة ناستا يتجه الى الرصيف أمام السراى لجماعة أخرى ويحدثهم بحديث مماثل •

وسمح الجاويش بورث بحدوث ذلك لبضعة أيام، لان الجاويش بورث كان ممن يعمل بهدوء • وقد انتظر حتى تثبت من وقائعه • وقد حمل مرشديه على أن يدفعوا العمدة ناستا الى المغالاة فى أخباره واتهاماته • وتأكد أن ابن أفرونتى قائد العربية الصاخب لم يفر من الجيش • وراجع مخابرات الفصيلة التاسعة ليتأكد من أن الالمان لا ينتظر أن يقوموا بهجوم مضاد فى اليوم الثالث والعشرين وذهب الى حد سؤال الكابتن بيرفيس عن نوايا الميجر جوبولو بالنسبة لبنات توماسينو ، وقال الكابتن : لعنة الله ! لاأظن أن الميجر يعرف الى أى حد يحاولن الايقاع به بطريقته فى التحدث بالاطالية !

ولما أصبح الجاويش بورث مستعداً ، ذهب الى الميجر جوبولو وقال : يجب علينا ياميجر أن نعتقل ناستا ! وقال الميجر : ما الذى فعله ؟

— انه يبيث الاشاعات ضدنا • ويسوءنى أن أعترف بذلك ، ولكنه فعل ذلك بحذق وتنظيم •
— أى أنواع الاشاعات ؟

— من جميع الانواع : فقد حمل عددا من الناس على الاعتقاد بأن الالمان سيقومون بهجوم عام مضاد فى الاسبوع المقبل • وكذلك حمل بعضهم على الاعتقاد أنك لم تتخرج فى معاملة بعض الفتيات الشابات فى هذه المدينة !

واحمر وجه الميجر خجلاً وقال : هذا غير صحيح ! وقال بورث : أعرف ذلك فقد حققت الموضوع • ولكنهم يقولون

لى أن الميجر يستطيع أن يحقق رغائبه متى أراد !

وقال الميجر : دع هذا المزاح !

وقال بورث : ذلك ما يقولونه لى • انهم يقولون أن هاتين الفتاتين بالذات لا ينضجان برائحة السمك ، ولكن الرجل العجوز يعرف السمكة الكبيرة حين يراها !

وقال الميجر بصوت فيه غضب : كفى ، (وغير موضوع الحديث بسرعة) ، متى تعزم القبض على ناستا ؟

- فى الصباح عندما يأتى لتقديم احترامه •

وقال الميجر : فليكن • لنحتفظ به فى معتقل أسرى الحرب بضعة أيام ، ولانرسله الى أفريقيا الا بعد استجوابه اننى أحس ببعض السرور لابعاده !

وفى اليوم الثانى دهش العمدة ناستا اذ وجد بجوار الجاويش بورث فى مكتبه رجلين آخرين كتب على ذراعيهما حرفان يدلان على أنهما بوليس حربى ، وقال يصوت ظريف ما استطاع : صباح الخير يامستر جاويش !

وسأل بورث : واية جريمة يريد العمدة ناستا أن يعتذر عنها هذا الصباح ؟

وقال العمدة : أليس الدور على المستر جاويش أن يختار جريمة ؟

- هو كذلك • هو كذلك • لننظر • أظن أن العمدة ناستا سيعتذر فى هذا الصباح عن جريمة اساءة استعمال الحرية الممنوحة له • سيعتذر عن جريمة الطعن فى الأمريكان •

واصفر وجه العمدة ناستا ، ووقف بورث يقول :

سيعتذر عن جريمة خلق اشاعات كاذبة ، وعن أنه ذكر لسكان ادانو سهلى الانخداع أن الالمان يعدون هجوما مضادا فى الاسبوع المقبل •

وأدار العمدة ناستا رأسه ونظر الى الباب • وأشار بورث الى رجلى البوليس الحربى ليتدخلا ففعلا !

- سيعتذر أيضا عن قذفه فى حق الميجر جو بولو وأتهامه له بتهم كاذبة ، وسيندم أيضا لانه كذب فى حق ابن افرونتى قائد العربات !

وانقلب لون العمدة ناستا أبيض كالورق وصاح : كذب •
هذا كذب !

وقال بورث : ان العمدة ناستامتهيج هذا الصباح • مع أنه كان
قد اعتاد الهدوء في تقديم اعتذاره • فلماذا هو متهيج هذا الصباح ؟
لقد كان العمدة ناستا متهيجاً لانه عرف أنه قد وقع في الفخ •
وصاح : هذه أكاذيب • ان خصومي كذبوا على ...

وقال بورث : هل هذا كذب؟ هل كذب أنك قلت أمس صباحاً
أمام خمسة عشر شخصاً على الرصيف أمام السراي أن الأمريكان
جنباء لدرجة أن الامر تطلب دفعهم بالقوة من مراكزهم إلى الفلايك حين
وصلوا هنا ؟ ... هل كذب أنك قلت ؟ ... وردد الجاويش بورث
كلمة ، كلمة ، عشر جل قالها ناستا كما رواها له مرشدوه • وكانت
ذاكرة الجاويش بورث قوية ، وسره أن يخرج هذا الرجل ، وكان مريعا
وهو يذكر العمدة بما قاله •

وبعد أن ذكر الجملة العاشرة لم يعد العمدة يذكر شيئا عن
الأكاذيب ، ولجأ إلى تهديدات فارغة كانت صدى لأيام سلطانه •
وصاح : سأمر بقتلك • سأمر بسجنك !

وقال بورث : لا ! أنك تقول العكس تماما يا عمدة ناستا • انني
أنا الذي سأحبسك •

وصاح العمدة ناستا : أنك لا تستطيع أن تفعل ذلك • انني
سأبلغ عنك السلطات وسوف تندم عندما يضربونك ستندم !
وقال بورث : أظنك تعتقد حقيقة أن لصوص هذا العالم
سيكسبون الحرب • ويحسن بك أن تعيد التفكير في هذا الموضوع
وسنعطيك فرصة لتفكر في الأمر يا عمدة ناستا • أنك مقبوض
عليك ...

ثم قال بورث لرجلي البوليس الحربى بالانجليزية : خذاه من
هنا ، انه يكثر من الضجة ...

وأمسك رجلا البوليس ناستا من ذراعيه ، وقال بورث : سوف
تنقصني زيارتك اليومية يا ناستا • أرجو أن تحضر لمقابلتي
عندما يفرج عنك • أعني اذا أفرج عنك •

وقال العمدة ناستا بعناد : سوف تندم !

وسحب البوليسان الحربيان ناستا إلى معتقل أسرى الحرب •
وهو عبارة عن المتنزه المحاط بسور في مواجهة كنيسة

البنيديتي ، وجميع بواباته عدا واحدة عليها أسلاك شائكة . وقد امتدت الاسلاك الشائكة على جدرانه . ولما أدخل العمدة ناستا كان بالمعتقل نحو مائتي ايطالي وعشرين المانيا تقريبا ، وكان أغلب الايطاليين من رجال دفاع الشواطىء وعددهم منهم من أداؤون نفسها . وبمجرد أن نظروا العمدة ناستا قالوا لزملائهم من المدن الاخرى : هذا هو الخنزير الفاشستي الذي حدثناكم عنه .

ومنذ ذلك الوقت كان الايطاليون ينادون العمدة ناستا في داخل المعتقل بقولهم : الخنزير الفاشستي !

ولقد كانت بداية العمدة ناستا في المعتقل بداية سيئة . وكان للامريكان جاويش في الاربعين من عمره يتكلم الايطالية ، معيناً رئيساً لحرس المعتقل . ولما نظر العمدة ناستا الجاويش سائراً في المعتقل لأول مرة اندفع نحوه وقال : هذه غلطة ! ما كان يجب أن أسجن . انها غلطة .

وقال الجاويش بايطالية بطيئة (وارد بروكلين) : هل هذا صحيح ؟ وأنت أيضاً ضحية خطأ ؟ ان عندنا اخطاء كثيرة من هذا القبيل . ان الاخطاء هنا يجب أن تتولى تنظيف محلات الادب . وأنت أحدث غلطة هنا ، ولذلك سيكون من حقك أن تتولى تنظيف محلات الادب هذا الاسبوع .

ولم تكن الحياة في المعتقل هينة للعمدة ناستا . لم يكن عند الرجال أغطية ، وكان الجو بارداً ، لذلك كانوا ينامون ملتصقين في صفوف يدفنون بعضهم بعضاً بأجسامهم ، ولكن أحدا منهم لم يكن ليقبل أن ينام بجوار الخنزير الفاشستي ، فقد كانوا يقولون ان له رائحة خاصة ، والواقع أنه كانت له رائحة خاصة لعدة ساعات في الصباح ، مصدرها أنه كان ضحية خطأ .

وأخيراً وجد العمدة ناستا رجال يتحدث اليه . . . كان ألمانيا يتكلم الايطالية .

وذكر له العمدة ناستا أنه لا يزال عمدة أداؤو ، وان الأمريكان اعتقلوه خيانة وغدرا ، وأنه كان يعمل كل ما في وسعه لمساعدة الالمان على الكسب ، وأنه بالاختصار رجل مهم يجب مساعدته . وذكر الالمانى الذى يتحدث الايطالية لزملائه كل شىء حول العمدة ناستا ، فقرروا مساعدته على الهرب .

وانتقل العمدة ناستا بعد يومين ، وعاش بين الالمان ، وعملوا ترتيباً لهربه ، ولم يكن ذلك الترتيب صعباً ، فقد قرروا أن يرفعوا

العمدة فوق السور ، وسألوه ان كانت لديه الشجاعة ليجلس على
الأسلاك الشائكة لبضع دقائق . وقال انه يحتمل أى شئ فى سبيل
الهرب . وسألوه ان كانت لديه الشجاعة ليقفز من ارتفاع اثني
عشر قدما للجانب الآخر ، فقال نعم .

وعلى ذلك ، وفى منتصف ليلة مظلمة انتشر سحابتها ، أقام الألمان
هرما من أجسامهم ، وتسلفه العمدة ناستا الى أعلى الجدار ، وجلس
على الاسلاك الشائكة فوق السور ، هادئا كالقط ، حتى تأكد أن
الديدبان فى الخارج قد مر الى الجانب الآخر ، ثم أدار وجهه للجدار
وترك نفسه يسقط . وجرحت ركبته قليلا ، لانها اصطدمت
بالحائط عندما وصل الى الارض ، ولكنه استطاع أن يقف ويجرى
فى سكون

وتحدث الجاويش رئيس الحراس الى الجاويش بورث تليفونيا
فى الساعة الثامنة والنصف من صباح الغد ، وأبلغه أن ناستا
قد هرب .

واستعار الجاويش بورث الاومباشى شاك شولتز ، وسيارة
جيب من البوليس الحربى ، ثم بدأ المطاردة . ولقد كان للجاويش
بورث فى ذلك الوقت عدد كبير من المرشدين والمرشدين على
المرشدين ، وكلهم متطوعون ، فلم يكن تتبع ناستا بالامر الصعب .

فسرعان ما علم أن العمدة ناستا اختبأ لبضع ساعات فى منزل
فى شارع فافينى ، ثم ترك المدينة بطريق روما . وتوقف بمنزل
مزارع بقرب منزل زامبانو ليبدل ملابسه بملابس فلاح . وكان
ذلك من أيسر الامور للتحقق منه ، لان الفلاح شوعد يلبس لباس
العمدة ناستا ذا اللون الازرق الفاقع المترب ، بسبب الليالى
الطويلة التى نامها على الارض .

ولقد شوعد بعد ذلك العمدة ناستا فى مواقع كثيرة على طول
طريق فيشيمارى ، أركبه أحد الفلاحين عربته ، فقد كان العمدة
ناستا قد شبع من التلال ، وهو يحاول أن يصل الى فيشيمارى
حيث يستطيع الاصدقاء اخفائه .

وقبض عليه الجاويش بورث قبل فيشيمارى بثلاثة أميال حوالى
الساعة العاشرة والنصف .

لقد كانت سيارات الجيب تمر على ناستا طول النهار ، ولذلك
لم يشعر بأى خوف عندما سارت سيارة الجاويش بورث الجيب
بجواره ، وحتى عندما وقفت وأشار الى ركابها وصاح : : يوم

سعيد • يوم سعيد • بلهجة حسبها لهجة فلاح خشن !!
وقلد الجاويش بورث اللهجة وقال : نهارك سعيد • نهارك سعيد
يا فلاح !

وصاح العمدة ناستا الذى لم يكن قد عرف الجاويش بعد : يوم
سعيد !

وقال بورث : نهارك سعيد • انك أول فلاح رأيته فى حياتي
يلبس نظارة ! •

وعرف العمدة ناستا بورث ، وانهارت أعصابه التى كانت قد
صُغفت بتأثير القبض وأيام الاعتقال والهرب • فاستدار وجرى نحو
المزارع يصرخ صراخا جنونيا كما يفعل الجندى الذى تنهار أعصابه
من تأثير طلقات القنابل •

ونزل الجاويش بورث من السيارة الجيب وذهب الى المزارع •
ولم يسرع لان العمدة ناستا كان يجرى فى دوائر يريد أن يهرب
من نفسه أكثر من أى شىء آخر • ولما أمسكه الجاويش بورث كان
قد أنهك قواه ، وبدأ يعرج وامتلأت عيناه بدموع الفزع •

وبينما بورث يسير به أو يحمله الى السيارة ، بدأ العمدة ناستا
يثرثر ويفصح عن خوفه : ان كنت ستطلق على النار فأندرنى
قبل ذلك • لا تضربنى من الخلف • قل لى ان كنت ستقتلنى • أريد
أن أعرف • • أريد أن أعرف ! •

وصغفه الجاويش بورث بشدة على وجهه ، وسكت العمدة لحظة ،
ولكنه عندما جلس فى السيارة وبدأت تتحرك ، بدأ العمدة ناستا
يتحدث من جديد : لا تطلق على النار من الخلف • اننى مستعد أن
أفعل أى شىء لأضرب من الأمام ، بحيث أستطيع رؤية البندقية •
سأقول لكم كل ما أعرف • أستطيع أن أفضى لكم بأسماء • لا تضربنى
من الخلف ! •

وقال بورث : كيف أستطيع أن أضربك من الخلف وأنت جالس
فى المقعد الخلفى وأنا فى الامامى ؟ •

ولكن العمدة ناستا لم يكن يتحدث بعقل ، وكان يقول : سأفضى
لكم بأسرار • ان داربا وكيل العمدة رجل خائن • لا يستحق
أن يوثق به • راقبوه • ولكن أرجوكم ألا تضربونى من الخلف •
قولوا لى أولا ان كنتم ستقتلوننى ؟ • قولوا لى • قولوا لى •
يجب أن أعرف • ان بللانكا الموثق ليس من صفنا ، وله نفوذ

على الاهالى • راقبوه • أنظر اننى أستطيع أن أذكر لكم أسماء •
لا تضربونى من الحلف ! •

وأيقن بورث أن العمدة ناستانما كان يستخرج تهما وشبهات
من العهد الماضى ، وأنه يقصد أن هؤلاء الرجال يجب ألا يكونوا
موضع ثقة الفاشيين • لقد كان حديثه جنونا لان الخوف سيطر
عليه • ولذلك فقدكم بورث فم العمدة ناستا ، وربط يديه خلف
ظهره وترك عينيه الدامعتين يفضحان خوفه ، فعيناه على الاقل
صامتتان •

وعندما مرت السيارة الجيب على مصانع كبريت كاكوباردوفى
طريقها الى المدينة ، ألقى بورث نظرة على ساعته • كانت قبل
الثانية عشرة بقليل ، وكان الميجر جوبولو جالساً يتناول غداءه أو فى
طريقه الى المطعم ، ولذلك قال للسائق ان يذهب الى مطعم
بسكاتورى •

ولان الوقت كان ظهرا ، فقد حضر جمع غفير لاندية ما بعد
العمل على طول الطريق بالقرب من مطعم بسكاتورى ، ليستمعوا
الى الاذاعة وينتظروا الغداء • فلما نظروا سيارة بورث وفى
مقعدى الخلفى رجل مكثف تجمعوا واندادوا أصدقاءهم •

ولما رأوا أن حمولة بورث هو العمدة ناستا ، وانه بعد تلك
السنوات الطويلة مربوط بالسيارة والكمامة فى فمه أخذوا
يهتفون ويهزأون بالرجل !!

وزادت هذه الاصوات من رعب العمدة ناستا ، واستمر يتحرك
ويحاول أن ينظر خلفه • ودخل بورث الى المطعم وعثر على الميجر
جوبولو وأحضره للخارج •

ورفع الميجر جوبولو يده يطلب من الجمهور الصمت • وقال لبورث :
أريد أن أتحدث الى ناستا • هل يستطيع أن يسمعنى مع وجود
هذا الشئ على وجهه ؟

وقال بورث : أجل ان لديك فرصة نادرة تستطيع أن تتحدث
فيها الى ناستا ولا يستطيع هو أن يرد !

وقال الميجر جوبولو : انك يا ناستا فضيحة لاهلك • ان فيهم
طيبة لا توجد فيك بأقل مقدار • وماضر العالم الا أقوام ممثلون
أثرة مثلك ؟

ولقد كان من صفات الميجر جوبولو الكبيرة فى عمله أنه
يستطيع أن ينطق بجمال فخمة باخلاص وحماس تؤثر دائما فى

سامعيه الايطاليين، فتحرك أقواله مشاعرهم • واندفع جميع السامعين
فيما عدا ناستا بتأثير أقواله وهتفوا: اقتلوه • اقتلوه • اقتلوه!
وهنا وفي هذه المرة كان اخلاص وحماس الميجر جوبولو قد ارتدا
اليه ، لان صيحات الجموع أخافت العمدة ناستا حتى أغمى عليه !
وكان الميجر جوبولو أول من تبين السخافة في محاولة اخراص رجل
فاقد الشعور •

ولم يبق الا جملة واحدة تقال لبورث : سنرسله الى أفريقيا !
وسارت سيارة بورث الجيب به وبحمولته العرجاء ، على
أصوات هتافات أدانو الفرحة •

الفصل العشرون

لم يكن هناك مقياس لحالة ادانو النفسية أكثر من نشاط المصور لوجاكونو . ولو أن انسانا كان قد رسم رسما بيانيا لحالة المدينة النفسية ، ثم وضع بجواره رسما بيانيا للطلبات التي كلف بها المصور لوجاكونو ، لوجد الرسمين يتطابقان تماما . فكلما كانت المدينة متفائلة عمل لوجاكونو ، وحين تكون المدينة متشائمة يتوقف لوجاكونو عن العمل .

وكان لوجاكونو يستطيع أن يصور أى شئ : كان يتولى دهان المنازل ورسم القديسين ، وهو الذى كان يرسم اللوحات على جدران الكنائس ، وهو الذى رسم الاشخاص البدينين المقدسين على عربة بازيلى ذات العجلتين .

لقد كان لوجاكونو ذو الذقن البيضاء يتألم وهو يرسم . كان يتألم أولا من صعوبة خلق الرسوم ، وكان يتألم ثانيا من انتقاد أهل ادانو لرسومه ، لقد كان عمله جميلا ، وكان كل من فى المدينة يحبه ، ولكنهم لسبب أو لآخر كانوا ينتقدونه فى البداية .

ولم يكد يمضى وقت غير طويل على وجود الميجر جوبولو فى ادانو حتى بدأ لوجاكونو يعمل وكانت محاولاته الاولى بدائية لان المدينة كانت فى حالة انهيار ، وكانت قد تعطلت يده اليمنى طويلا . ولكن سرعان ما تحمس لسعادة المدينة ، وأنتج صورا لم يكن قد سبق له أن أنتج مثلها فى حياته التى لم تكن بالقصيرة .

وفى الصباح ذاته الذى تجمع فيه عدد من الجمهور حول سيارة بورث أمام مطعم بيسكاتورى ، اجتمعت جموع أقل على رصيف بوننتى فى الميناء ترقب عمل لوجاكونو . لقد كان يرسم أسماء جديدة ، وصورا صغيرة على مقدمة مراكب الصيد ، وكانت الجموع عبارة عن الصيادين وعائلاتهم .

وكانت مراكب الصيد جاهزة للخروج فيما عدا عمل لوجاكونو ، فقد سدت شقوقها ، وأصبحت متماسكة كزجاجات النبيذ . وقد

رفعت الاعلام ، ودهن القاع ببوية من الرصاص . وكانت الجبال
رشيقة ، لان الميجر جوبولو أقنع البحرية فقدمت للصيادين مجموعة
من الجنزير وحبال القنب غير المبتلة .
وكان الصيادون لا يطيقون انتظارا يريدون من لوجاكونو أن
ينم عمله .

وقال الصياد انيللو : ان لوجاكونو موهوب ولكنه بطيء ؟
وكان لوجاكونو يرسم على مركب انيللو .
وقال صاحب اللحية البيضاء : هل تفضل لو كنت سريعا
وملخبطا ؟

وقال أحدهما ونى انيللو الثلاثة «ميراندينو» : قبل أن نجابو على
هذا السؤال يجب أن يثبت أنك لست ملخبطا !
وتوقف لوجاكونو عن العمل ونظر الى الصياد الواقف ، وأشار
الى عمله وقال غاضبا : هل رأيت في حياتك سمكة موسى أقل لحطة
من هذه ؟

وقال انيللو : ان سمكة موسى لا بأس بها ولكنها ستموت من
الوحدة اذا لم تسرع وتحيطها بمسامرين ، ان سمك البحر يحب
المسامرة ، وأنت تعرف ذلك يا لوجاكونو . هل رأيت في حياتك
سمكة بحر تلعب بمفردها ؟

وقال لوجاكونو بتملل : سيكون له رفقاء . ان المستر ميجر
سيركب على ظهره . واذا سكتم أمكننى أن أستمّر فى العمل .
وقال ميراندينو : اذن اشتغل أيها العجوز ولا تكن بطيئا هكذا .
وعلا الرجل العجوز لعمله .

وكان توماسينو جالسا فى مؤخرة مركبه المربوط بجوار مركب
أنيللو واضعا رأسه بين يديه ، وقال بتألم : لا أعرف فائدة هذه
الرسوم . انها سخيفة . لقد سميت مركبى تينا منذ أن ولدت
ابنتى ، وسيظل اسمه تينا . وأوراق الشجر والفواكه المتدلية
من الاسم تعجبني مع أنها ليست جديدة . انكم تفعلون بكل هذه
الرسوم كما لو كان المسيح قد حضر ثانية .

وصاح انيللو فى توماسينو : ماذا جرى لك أيها الحانق . هل
عندك غازات فى مصارينك فى هذا الصباح . امرح اننا خارجون
للصيد .

وقال توماسينو عابسا : فى القرن المقبل عندما تنتهى هذه
الرسوم .

ورفع لوجاكونو رأسه فوق مركب أنيللو وصاح : اسكت
يا توماسينو ! انك تعرف أن السبب الوحيد الذى يجعلك تتحمل أنك
تحب ما عملته منذ عشرين عاما وأنك لا ترغب فى جديد .

وقال توماسينو : ان كان لابد أن أنتظر يوما آخر للمصور
البطىء فأننى سأعطى اسم تينا والاوراق والفاكهة بقليل من بوية
الرصاص عندى ، وأذهب للصيديمقردى فى مركب لا يحمل اسما .

وبدا لوجاكونو يصور المسترميجر وازداد الجمع الصغير اقترابا
ليرى التفاصيل . وقد حل المصور صعوبة بتكبير قبعة الميجر
وامالتها حتى جعلها تغطى الجزء الاكبر من وجه الميجر . ولكن القبعة
على الاقل كانت أمريكية قطعاً .

وقال أنيللو : ان ساقه قصيرة . ان ساق المستر ميجر أطول .

وقال ميراندينو : كنت على وشك أن أقول أن الساق طويلة .

وقال لوجاكونو : وبمعنى آخر ان الساق مضبوطة .

وقال اسكونزو وهو مساعد آخر لأنيللو : ليس له حذبة على
ظهره كهذه .

وقال لوجاكونو : انه مائل الى الامام بسبب سرعة سمكة البحر .

وقالت زوجة أنيللو : ان لون بشرته أبيض أكثر من الحقيقة ،
فلونه أقرب الى اللون الايطالى .

وقال لوجاكونو : انك غبية . انك لا تفهمين الرمز المقصود من
اللون الابيض !

والانتقاد من هذا القبيل دائما . وهذا يبين الغرض من الانتقاد .
فلم يكن الدافع له أن الناس لا يحبون ما كان لوجاكونو يعمل ،
بل لانهم كانوا يريدون أن يعرفوا ما الذى يدور فى تفكيره ،
بحيث عندما يعرض أنيللو مركبه يمكنه أن يقول : تستطيعون أن
تعرفوا السرعة التى يجرى بها سمك البحر من ميل المسترميجر
الى الامام ، وترون بياض بشرة الميجر ، ذلك للرمزية المشار اليها
فى بشرة المستر ميجر .

وأخيرا أتم لوجاكونو عمله وقرر الجميع أنه متقن ، وان قال أحدهم
أنه من الصعب على سمكة موسى أن تقفز الى هذا الارتفاع مع وجود
رجل على ظهرها . وقال آخر : اما كان يحسن أن يكون اسم المركب

المسمى الآن «الأمريكانى» منخفضا عن موضعه . ونسب لوجاكونو
الارتفاع الأول لروح الحماس والارتفاع الثانى للمكانة التى اكتسبها
اسم الأمريكانى بفضل المستر ميجر . وانصرف كل واحد راضيا .
وفى صباح الغد خرجت المراكب وذهب الميجر جوبولو الى
الميناء يحضر خروجها ، وكان الناس فى المدينة متحمسين فى انتظار
أكل السمك .

وكان الصيد فى ذلك اليوم طيبا . وعندما عادت جميع المراكب
ووزن السمك ، قدر أنيللو أن مجموع الصيد بلغ ثلاثة آلاف ومائتى
رطل . وأهم من ذلك أن السمك كان كله من أنواع ممتازة . وكان
المعتاد أن يقسم السمك الى أربع درجات : النوع الاكبر يباع بخمس
ليرات والذى يليه بأربع والذى يليه بثلاث والصغير جدا بليرة
واحدة . وكان أكثر من نصف صيد ذلك اليوم من الذى يقدر
بخمس ليرات .

وكان صيد اليوم الثانى أفضل اذ قارب ثلاثة آلاف وخمسمائة رطل .
وفى اليوم الثالث كان الوزن يزيد على ثلاثة آلاف رطل .
وقامت خناقات عند سوق السمك وعند مطعم بسكاتورى
الذى تخصص فى الايام السالفة لعمل السمك للصيادين (وذلك
الذ وأصعب طهو للسمك) ، فقد كانت الجموع أكثر من قبل وعاد
كثير من الناس مستائين ، لا بسبب قلة السمك بل لمجرد عدم
وجود الوقت لطعامهم جميعا .

وكانت سعادة الصيادين لا تقدر . فان مجرد عودتهم للخروج
للصيد كافية لاسعادهم . أما أن ينجح الصيد بهذه الكيفية وأن
تكون مراكبهم فى حالة جيدة وايرادهم مرتفعا ، فكل ذلك زادهم
سعادة .

وفى مساء يومهم الثالث ذهب بعضهم الى توماسينو وقال انيللو :
الا تظن يا توماسينو أنه يجب عليك أن تذهب الى الميجر وتشكره
لانه مكننا من الخروج للصيد .

لقد كان توماسينو سعيدا بقدر ما يمكن من السعادة ، ولكن
ليس معنى ذلك أن يبتسم أو يبدو مرحا ، فقال : لقد ذهبت الى
السراى مرة لمقابلته لان زوجتى روزا أجبرتنى على ذلك ، ولكننى
لن اذهب هناك مرة أخرى ، اننى أكره ذلك المكان .

وقال الفتى الصغير المسمى اسكونزو : اذن ألا ترى أن نبعث
بأنيللو ؟ اننا نعتقد أن علينا أن نشكر المستر ميجر . لقد تحدثنا
عن ذلك ونحن فى الخارج نصطاد اليوم .

ولم يسر توماسينو من اقتراح ارسال أنيللو بدلا منه وقال :
هل أنيللو رئيس الصيادين ؟

وقال اسكونزو : لا • ولكنك لا تريد أن تذهب •

وقال توماسينو : ان أحسن مركب صيد في هذا الميناء يدعى
تينا - ومع أنه كان يتحدث بحنق فقد كان في فكرته بعض المرح :
واذن فالشخص الذى سعى المركب على اسمه هو الذى يجب أن
يذهب ليشكر المستر ميجر •

واعتقد باقى الصيادين أن هذه فكرة بديعة ، ولكن أنيللو قال :
اننا نحب جميعا أن نحضر عندما تعطى تعليماتك لابنتك عما تقوله
للمستر ميجر •

... لقد كان يخشى أن يطلب منها توماسينو العجوز الحائق أن
تقول شيئا غير سار للميجر •

وعلى ذلك ذهب جميع الصيادين الى منزل توماسينو ووجدوا
تينا • وقال توماسينو : يا تينا • نريد منك خدمة • ان
صيادى أدانو يريدون منك أن تذهبي لمقابلة المستر ميجر من أجلهم •
وأدهشت تينا الجميع باحمرار وجهها ورفضها الذهاب •

وسألها أنيللو : ولكن لماذا ؟ ظننا أن من المستحسن أن تحمل
فتاة جميلة رسالتنا الى المستر ميجر بدلا من صياد تفوح منه
رائحة السمك •

ولم تعجب هذه الملاحظة توماسينو وقال غاضبا : ان توماسينو
لا تفوح منه رائحة السمك مثل صياد آخر أعرفه •
وقال أنيللو : اننى لم أفكر في صياد بذاته يا ذا المصارين
الغازية • لا تنس أنه كان مقترحا أن أذهب أنا ، فأنا أيضا تفوح
منى رائحة السمك •

وقال توماسينو بوجه مجعد : هذا صحيح •

وقالت تينا : أنا لا أريد أن أذهب •

والتفت توماسينو لها وقال : يا فتاتى •... لنفس السبب
الذى جعل أمك تلزمنى أن أذهب لمقابلة المستر ميجر ضد ارادتي ،
أمرك الآن أن تذهبي لمقابلته •

وحنت تينا رأسها وقالت : اذا كنت تأمرنى •••

وقال أنيللو بعد ذلك أن الطريقة التى قالت بها تينا ذلك تدل
على أنها كانت راغبة فى الذهاب من تلقاء نفسها •••

وقال توماسينو : أريد منك أن تقول لي أنا مسرورون لاستطاعتنا الخروج للصيد .

وأضاف انيللو : واننا شاكرون له تمكيننا من ذلك .
وقال ميراندينو : واننا معترفون بجميله لحبال المراكب الجديدة
وقال اسكونزو : وان كانت له يد في ارسال كل هذه الكميات
من السمك لشباكنا ، فنحن له شاكرون .

وقال توماسينو : قولي له هذه الاشياء ولكن لاتبالغى يا بنيتى .
وقالت فى حماس لا يتطلبه الموضوع : لا تقلق فلن يحصل .
وذهبت تينا لمقابلة المسترميجرفى الساعة الثامنة من صباح الغد
ولما قادها زيتو لمكتب الميجر قالت متحدية : لقد قلت ان كان
عندى عمل يخصك فيجب على الحضور الى مكتبك ، وما قد
حضرت .

وأخرج الميجر جوبولو زيتو من الغرفة قبل أن يقول : أنا
آسف لقولى ذلك . لقد شقيت بسببه منذ ذلك الوقت .
وقالت تينا : أحقا ؟ . . . قالت ذلك بصوت حنون ، ثم
أضافت بغضب : كان يجب أن تشقى لأنك كنت قاسيا جدا .
وقال الميجر : أعرف ذلك ، وأنا آسف حقاً وقد حاولت أن
أعرف ماكنت تريد أن تعرفيه .

وأصبحت تينا ممتلئة عطفاً ، وقالت : هل تعنى جيورجى ؟
هل وجدت شيئاً عنه ؟ هل هو أسير ؟
- لا أعلم بعد ولكن قد يمكننى أن أحدثك عن جميع الأسرى بعد
بضعة أيام .

- يمكنك ؟ كلمة جد يامستر ميجر ؟
- كلمة جد يا تينا ! .
- اننى أشكرك يامستر ميجر ، أشكرك وأقبل يدك .

ولم يكده يجد الميجر جوبولو الوقت ليفكر فى انه لامانع عنده
من أن يقبل هويد تينا ، ولكن تينا كانت قد خرجت .
لقد جرت طول الطريق لمنزلها ، ولما سألها أبوها ان كانت قد
قالت كل ما كلفها به الصيادون قالت : نعم ، لقد قلت له - ثم
ألقت بذراعيها حول رقبة ابياها وقبلته من وجنتيه ، ثم وضع هو
ذراعيه حولها وضغط عليها قليلاً ثم قال فى عبوس : يا فتاتى
الصغيرة اننى اظنك مجنونة !

الفصل الواحد والعشرون

كانت مصيبة ارانتى جايثا نوانه ماكان يستطيع ان يركز فكره فى اى شىء ، او بعبارة اخرى : متى كانت فى فكره مسألة فانها تستولى عليه حتى لا يستطيع ان يفكر فى سواها . وهو لا يفرق بين ما يجب ان يفكر فيه وما لا يجب ، فما فى فكره هو الذى يسيطر عليه .

فبعد ان امر الجنرال مارفن باطلاق الرصاص على بغله ، اشترى غيره . ولم يكن هذا البغل ظريفا كسابقه ، بل كان عنيدا . ولكنه كان بغلا ، وقد منح ارانتى عملا وسرورا .

وكان ارانتى يقود هذا البغل بعد ظهر احدى الايام مخترقا المدينة ، وكان الوقت متاخرا فى الساعة التى يخرج فيها الاولاد فى المدينة من شارع امبرتو الاول ويصيحون طالبين كراملة . وكان النقل الحربى الأمريكى كثيفا بصفة خاصة فى مثل تلك الساعة كل مساء .

وقد بدا لارانتى بعد ذلك وهو يفكر فى الموضوع - وكان امامه فى السجن متسع كبير للتفكير - ان اشياء كثيرة حدثت بسرعة . والواقع ان اشياء قليلة مرت بخاطره بسرعة مما جعله يتوهم ان نشاطا كبيرا حدث .

ففى اول الامر نظر ارانتى امامه فى شارع امبرتو الاول ، ورأى الكوبرى على النهر الاحمر ، وجفل كما تجفل الخيل حين يقع نظرها على موضع سبق أن أوذيت فيه . ولقد كان ارانتى يجفل كلما رأى ذلك الكوبرى ، لانه يفكره بالاستيقاظ العنيف الذى حدث له وباطلاق النار على بغله .

ثم رأى صفا من عربات أرضية مائية تخرق الكوبرى . وقد سحرت هذه العربات المزدوجة ارانتى . لقد امضى منذ عهد قريب يوما كاملا على الشاطئ فوق رابية على مسافة خمسة

أميال غرب ادانو ، يرقب هذه العربات البدنية تتهادى على الرمال وتترك نفسها بهدوء تهبط الى الماء ثم تدفع نفسها الى بواخر النقل الراسية امام الميناء . ثم تعود تتمختر وتتسلق خارجة من الماء كاي حيوان مزدوج (مائي أرضي) ، وهي تتحرك ببطء على البر اكثر منها على الماء - وكان ارانتى يحب هذه العربات ويسميتها بالحرب العائمة . وقال لنفسه عندما نظر العربات المزدوجة تخترق الكوبرى : هاهى الحرب العائمة تقبل .

وبعد العربات تركز تفكيره لفترة قصيرة فى جسم جرجانو رئيس البوليس الذى كان يدير حركة المرور فى منتصف شارع امبرتو الاول . وقال ارانتى لنفسه : حتى ولو ان جرجانو يستطيع أن يتكلم أسرع من أى انسان آخر بثلاث مرات مرة بفمه ومرة بيده اليسرى ومرة بيده اليمنى فاننى لأحبه !

ولم يطل تركيز فكر ارانتى على موضوع جرجانو الذى لا يتذوقه لأن أذن ارانتى نقلت الى عقله أصوات عدد من الاطفال يصيحون : كراميللا . كراميللا ! وكان ارانتى يحب الاطفال حبا يزيد على حبه للحرب العائمة .

ودفع عقل ارانتى بطيء الحركة عينيه نحو مصدر الصوت ورأى الاطفال على الرصيف وركز تفكيره على منظرهم المحبب . ولاحظ أن هناك نحو خمسين طفلا يجرون فوق الرصيف وتحت ، وأن نحو ستة أو سبعة زعماء أكبر وأطول من المتوسط كانوا دائما فى المقدمة ، بينما يسير الآخرون راضين خلفهم ، وأنهم جميعا من الحفيد الغنى لكابو باردو العجوز فى بزته الزرقاء الزاهية الى العديد من أولاد الشحاتين فى أسماهم الرمادية ، يضحكون ضحكة ذات رنين ، ويهتفون طالبين الكراميللا كما لو كانوا ينتظرون أنه لن تمضى دقائق الا والكراميللا تذوب على السنتهم .

والذى يلاحظه عقل ارانتى أن بغله الجديد ، اما اتباعا لنزعة عارضة ، أو لأنه سحر كصاحبه بالاطفال ، اتجه الى زاوية مستقيمة على الشارع ووقف عن المسير .

وكانت الحرب العائمة آتية . وكان جرجانو ذو اليدين موجهها كل عنايته لحركة المرور فى الشارع . ووقف بغل ارانتى الجديد قاطعا الطريق ، وارانتى ينظر الى الاطفال لا يفكر الا فيهم ولم يلاحظ اى خطأ يرتكب .

وفكر عقل ارانتى المركز فى أمر واحد ! ما أجل أن يكون الانسان

طفلا ! • انظر الى الطفل البدين ابن كراكسى البدين • وانظر الى
الطفل النحيف ابن اربا الغبى • وانظر كيف يمسك ابن اربا فى
اسماله يد الطفل الصغير مالك الكبريت فى بزته الزرقاء: لقد كان
افرونتى العجوز الصاخب يصرخ فى وجهى منذ أيام عن الديمقراطية
وقال ان فهمى بطيى • وقال اننى لن أدرك • وددت لو أنه هنا
الآن ! هاهم ديمقراطيو العالم الحقيقيون • ان الطفولة هى
الديمقراطية الصحيحة •

وقد أحس ارانتى بزهو عظيم لتناوله مثل هذه الافكار • •
وفجأة ارتبك عقله ارتباكا كبيرا ، ورات عيناه البطينتان
وميض بزة رسمية ، وألقت البزة الرسمية نفسها أمام رأس
بغله ، وسحبت رأس البغل الى جانب ، وتقهقر البغل وصرخ !
وفعل هذا الصراخ فعله فى عقل ارانتى • لقد رأى خيال بغله
الآخر مقتولا بجوار الطريق • ولن يحدث ذلك الحدث الفظيع
مرة ثانية وارانتي على قيد الحياة يستطيع منع حدوثه •
وقفز من فوق عربته، ورأى خيال بذلة رسمية تندفع نحو رأس
بغلة ثانية • وهجم على البذلة الرسمية • وحيث توقع وجود
رأس فوق البذلة الرسمية ضرب بقبضة يده • ولقد صدمت يده
شيئا وسمع صرخة غاضبة •

وسرعان ماتبين ان الصريخ صادر من جرجانو ذى اليدين •
وكان الصراخ يقول : يامغفل ! ياكومة سباح ! أغرب عن الطريق •
ألا ترى العربات آتية ؟ ألا تعرف أن ايقاف حركة المرور جريمة
تخريب ؟ ألا تعرف انه يجوز اعدامك بتهمة تعطيل المرور ؟

ولعب عقل ارانتى الضيق عليه فصلا سخيفا ! لقد توقف فى
وسط غضبه ليفكر : أنظر الى ذى اليدين يحاول أن يتكلم ويمسك
بغلى فى نفس الوقت • انه يحتاج يديه ليقبض على بغلى ويحتاج
يديه ليتكلم بهما • وهو لا يستطيع أن يعمل أيهما •

وعندما عدل جرجانو عن محاولة الكلام وركز تفكيره فى البغل،
عاد فكر ارانتى الى العمل، فألقى بنفسه مرة ثانية على جرجانو
وضرب ضربة ثانية بقبضة يده تركت تحت عين ذى اليدين اليسرى
علامة ظلت لعدة أيام •

وصرخ ذو اليدين مرة ثانية من الالم والغضب • ولكنه لم
يحاول أن يجادل فى تلك اللحظة، بل أمسك بعنان البغل بقرب
الشكيمة ، وجاول جر البغل الى ناحيته • ولكن البغل كان قد

قرر ألا يتحرك حتى تنتهي هذه الضجة . ولم يستطع ذواليدنين أن يحركه فرفس البغل في جانبه .

وقرر ارانتى أن يرد التحية بمثلها ، فرفس ذا اليدنين في جانبه .

وصرخ جرجانو وضرب البغل في رأسه . وضرب ارانتى جرجانو في رأسه .

وأخذ جرجانو يصرخ صراخا متواصلا . وأمسك البغل من أذنيه محاولا جره بهذه الطريقة .

وأمسك ارانتى بأذنى ذى اليدنين وان كان هذا ليس ميسورا كأذنى البغل ، وأخذ يجرحهما !

وكان جرجانو سيفقد المعركة حتما لأنه كان يحارب وحشين ، لولا أن جرى في تلك اللحظة بعض جنود أمريكيين من احدى تلك العربات .

وسحب أحد العساكر جرجانو ذا اليدنين ، بينما وجه ثلاثة من الجنود اهتمامهم إلى البغل ونجحوا في جره إلى أحد جانبي الطريق . واحتاجت أزاحة ارانتى من الطريق لاربعة جنود .

وبعد أن تم ذلك عاد الجنود إلى عربتهم: فكل ما كانوا يريدونه هو أن يمروا .

أما وقد تجمع عدد كبير من الجموع فلم يبق أمام جرجانو إلا أن يدافع عن سلطانه . وهمس في أذن أحد الموجودين ليذهب إلى السراى ويستدعى قوة من ستة عساكر بوليس على الأقل . ثم أخذ يجادل ارانتى لحين وصول النجدة .

وصاح : يا مخرب ؟ وضرب يده بقبضة اليد الأخرى .

وصاح ارانتى « يا قاتل . ان جميع رجال السلطة قتلة »

وقال جرجانو مارا بيده أمام عنقه : أنت القاتل ؟ أتدرى كم عدد الجنود الامريكان الابرياء الذين كان يمكن أن تتسبب في قتلهم بسبب تعطيل المرور ؟

وصاح ارانتى ذوالعقل البطيء: قاتل ، قاتل البغال !

وسأل جرجانو وقد مد يديه وراحتيهما لأعلى في حركة استفهام : بغل من الذى قتل ؟ هل ترى بغلا مقتولا هنا ؟

وكان يستطيع ارانتى أن يرى ان بغله حى . ولكنه ذهب إليه

وفحصه من طرف أنفه الى نهاية ذيله • لقد كان مصمما أنه اذا
عثر على جرح واحد أن يحدث جرحا مثله تماما بذى اليدين •
وتابع جرجانو ارانتى فى فحصه ليضمن انه لا يفر • هل
البغل الميت يتنفس ؟ وهل البغل الميت يقف على أقدامه ؟
أرنى بغلا ميتا يعطس بأنفه بهذه الطريقة ؟

وجاء عساكر البوليس الستة وقال جرجانو : أيها العربجي
الغبي • انك مقبوض عليك • وأمسك بمعصمه الايسر بيده
اليمنى • وأحاط العساكر الستة بارانتى • ودهش جرجانو لانه
لم يقاوم مطلقا • وكل ما طلبه أن يسمح له بالتحدث الى بغله •
وتقدم وربت على خد البغل وقال : كن صبورا يا مستر ميجر • ان
الرجل الذى تحمل اسمه رجل عادل كما يقولون لى • سوف
ترى صاحبك قبل أن يمضى وقت طويل •

الفصل الثانى والعشرون

بين الخطابات الكثيرة التى يصبها كاكوباردو العجوز على الميجر جوبولو ، وصل خطاب ثان لفت اهتمام الميجر . وكان الخطاب يقول :

« على مسافة كيلو أو اثنين من شاطئ البحر بجوار ادانو فى مياه غير غزيرة توجد الباخرة انزىو وصوارىها ظاهرة فوق الماء وصاحبها الفعلى هو جاليازوشيانو زوج ابنة موسولينى الذى أتم التحالف مع هتلر ، وهو وزير خارجية سخيف . »

وقد أخذت الباخرة حمولة نفط وزيت للتشحيم لتريستا من أدانو ، ثم أكملت حمولتها بعشرة آلاف طن كبريت خام من فيشينامارى ، وفى عودتها الى مياه أدانو فى طريقها الى تريستا بالقرب من هذا الميناء ، وأثناء انتظارها اشارة من السيمافور، أصيبت فى المؤخرة من طوربيد ومن غواصة يبدو أنها كانت تراقب شحنتها من أدانو ومن فيشينامارى .

وقد تكونت سحابة بيضاء (انيدريد الكبريت) دفعة واحدة . وحاول القبطان - وهو بحار ماهر - سائرا بسرعة وفى سير متعرج أن يصل الى المياه غير الغزيرة بجوار رصيف ليفانتى ، وإذا بطوربيد آخر يصيبها عند عمود الرفاص فيغرقها . وهذه الحمولة ذات أهمية كبيرة لحياة مدينة ادانو المدنية والمدن المجاورة .

وقد علمت أنه يوجد فى هذا الميناء حوض عائم ، يقال انه رفع أمس من قعر البحر مركبا صغيرا أغرقته أخيرا طائرات بريطانية .

ومع استبعاد كل الاعتبارات السياسية الاخرى أريد أن أضع تحت نظر سعادة الاميرال للقوات البحرية فى هذه المياه مناسبة

اخراج المركب أنزيو في الحوض الجاف وتفرغ حمولتها على الشاطئ، اذهى مطلوبة بشدة لحياة السكان المدنيين العادية ، وفي هذه الحالة أود بيع الكبريت لمصلحة أدانو وقضية العالم الحر . بكل احترام : م . كاكوباردو »

وقد استرعت جملة « لمصلحة أدانو » نظر الميجر جوبولو . فقد كانت تعترضه صعوبات مالية في منح المساعدات الاجتماعية من أموال الغرامات والأموال المحصلة من مشروعات أخرى . ولو أن البحرية وافقت على اخراج الانزيو لاستطاع أن يبيع حمولتها ويستعمل إيرادها في المساعدات العامة . انها محاولة تستحق أن تعمل .

ولم تسنح للميجر جوبولو فرصة التحدث للفتنانت ليفنجستون من البحرية منذ اليوم الذي حمله بتهديده الادبي على السماح للصيادين بالخروج للصيد ، فلما طالبه هذه المرة تذكر حديثه السابق وقرر أن من المستحسن اتباع طريقة أخرى .

ورد الصوت الخارج من « كنت وييل » : ليفنجستون ميناء أدانو . وقال الميجر جوبولو : هاللو كابتن . هنا جوبولو . قل لي لقد طلبتك لا بلغك أن عددا كبيرا من الناس قالوا أن المدينة كلها تعترف لك بالجميل .

ولكن الصوت الخارج من « كنت وييل » خامره الشك ، وسأل : وما السبب ؟

وقال الميجر « لانهم استطاعوا أن يأكلوا سمكا . أنك تندهش للفرق الكبير الذي أحدثه ذلك هنا . لقد حضر الى كثيرون هنا يطلبون مني أن أشكر رجل البحرية . وأظنك المقصود . حتى هذا الصباح سألتني بلانكا العجوز الذي عينته عمدة هنا عما اذا كان يجب أن يبعث لك بتلغراف شكر شخصي .

وأبدى الفتنانت ليفنجستون اهتماما خاصا : هل هذا صحيح ؟ وقال الميجر جوبولو : هذا ما حصل ، وقد قلت له أنني سأشكرك نيابة عنه . وأريد أن أشكرك نيابة عن نفسي أيضا . يا ولدي . ان الفرق عظيم حين تجد سمكا طازجا بعد كل الاكل المحفوظ مدى أسابيع لا ندرى عددها .

وبدأ صوت الفتنانت ليفنجستون يتودد : لك حق . ان هذا الاكل المحفوظ فظيع .

وقال الميجر جوبولو : ان لدى سمكا فى الغداء يوميا ، وكلما مضغت لقمة فى فمى قلت كلمة شكر صغيرة للبحرية التى سمحت بخروج الصيادين .

وهكذا وضع اللفتنانان ليفنجستون فى جيبه، وقال اللفتنانان: الحقيقة أنه كان عندنا هنا فى البحرية سمك أمس مساء وكان سمكا ممتازا . هل بلغت أننى أسست ناديا صغيرا هنا ؟ لقد أخذنا بيتا صغيرا ، مجرد مكان لنزول الضباط الذين يحضرون الى هذا البحر من جهنم وقد خفض خريج كنت وييل صوته حتى أصبح كأنه يفضى بأسراروهو يقول : لقد عثرت على كمية من الوسكى الاسكتلندى . بضعة صناديق . تعال لنشرب سويا ! وقال الميجر جوبولو : ساحضر ولا شك . أظننى أود أن أشرب كأسا من وقت لآخر .

وقال اللفتنانان : وهو كذلك . ان هذا المكان رطب جدا . ولم يكن الميجر جوبولو يحب أن يشار الى مدينته بهذه الطريقة، ولكنه كان يقوم بعمل فى هذه اللحظة ، ولذلك قال : انها حياة مملة ، اليس كذلك ؟

وقال اللفتنانان : مملة ؟ أى املال . انهم اذا أرادوا يوما أن يعطوا العالم القديم حقنة ، فهذا هو المكان الذى يجب ادخال المبسم فيه .

ولم يفهم الميجر جوبولو النكتة ، ولذلك لم يضحك كما كان اللفتنانان يود منه أن يفعل . ولكنه قال : ولكنكم فى الاسطول تعرفون كيف تعيشون !

وقال اللفتنانان بتواضع : اننا نتصور أنه لا ضرر من العيشة المريحة .

وقال الميجر : تحيتى لك . لقد حدثتك لا شكرك على موضوع الصيد . لقد جعلت نفسك محبوبا من هؤلاء الايطاليين .

وقال اللفتنانان : لا شىء يستحق الشكر اننى مسرور لأننى ساعدتهم !

— على كل حال شكرا . الف شكر . . . قل لى قبل أن اضع السماعه . لقد خطر لى خاطر . لقد سمعت من بضعة أيام عن طريقة تستطيع أن تستعمل فيها ابتكاراتك وتكسب أصدقاء جددا وتعمل عملا نافعا فوق البيعة .

واقدم اللفتناننت كما تقدم السمكة الجائعة على طعم معروض
عرضا متقنا : وكيف ذلك ؟

- هل رأيت الصواري الخارجة من الماء بجوار الرصيف على يمين
الميناء ؟ لقد سمعت أنها تتصل بمركب آلى صغير محمل بالكبريت
ومواد أخرى تحتاجها هذه المدينة اشد الحاجة . وفكرت فى أنه اذا
كان حوضك الجاف غير مشغول فى يوم من الايام ، فقد يرفع
المركب وتحصل المدينة على حمولتها ، وقد تترك أنت عملك
وتصبح عمدتها ، لانك ستصبح أشهر رجل فيها !

وقال اللفتناننت : هذه فكرة بديعة ، ولا بد لى من الحصول على
اذن ، ولكن لا أظن أننى سأجد صعوبة . شكرا كثيرا لهذه
الفكرة !

وقال الميجر : لقد طلبتك لاشكرك ، وسأسجل عليك هذه
الدعوة لكأس وسكى فى أحد هذه الايام .

وقال اللفتناننت : بلا شك فى أى وقت تشاء .

وعندما ترك سماعة التلفون فكر اللفتناننت فى نفسه : ياله من
فتى طيب ! انك لا تستطيع أن تحكم على انسان الا بعد أن تعرفه .

الفصل الثالث والعشرون

اتكأ البريجادير جنرال وليامب • ويلسون من مخازن المهمات فى الجزائر على مكتبه ، وصاح فى مساعده خلال الغرفة بلهجة جنونية واضحة : اسمع هذا ، لعنة الله يا هام ! ان الانسان ليظن فى بعض الاحيان أن هؤلاء الانجليز يعتقدون أننا أصبحنا ملكا لهم ! • ونظر الكولونيل الذى ناداه البريجادير باسم هام وسأل : ما الذى فعله الاستغلاليون هذه المرة ؟

وقال الجنرال : لقد وصلنى الآن هذا الخطاب • أغرب شىء رأيته فى حياتى • انه من ميجر امريكى فوق البيعة ، وهو وثبت كيف أن هؤلاء الطماعين أولاد الزنا يستطيعون أن يضحكوا علينا ان لم نحتط لهم !

وقال الكولونيل المسمى هام : طبعاً • انهم يعرفون من أين تؤكل الكتف !

اسمع الآن ما يقول : اننى أكتب لك بناء على اقتراح الميجر جنرال صاحب السعادة اللورد رنسن - ابن الحرام هذا ! لقد قابلته مرة فى «اللتى» وقلت له كما يفعل كل انسان مؤدب وهو يودع آخر : اذا كان هناك أى شىء أستطيع أن أعمله من أجلك فأرجوك أن تخبرنى ، فاذا به يعود الى ويقول : نعم هناك أشياء ، فان عندكم أنتم الامريكان كل شىء ! ولعنة الله عليه ! لم يكذب على اسبوعان حتى وصلنى منه خطاب يذكرنى بما قلت له ، ويسألنى ان كنت أستطيع أن آتية بسيارة جيب • ولقد ظهر لى أن حكومة الحلفاء العسكرية تجعل منه رجلا مهما ، فسعيت حتى كدت أنخلع عنقى وحصلت له على سيارة جيب • وما كاد يحصل عليها حتى كتب يشكرنى ويسألنى ان كان عند الامريكان أى أنواع من بيبات التدخين ، وانه لا يدرى ما يفعل بغير بيبة ، وان كنت أستطيع أن

أحصل له على واحدة ؟ وعلى ذلك أرسلت له بيبة • ثم كان على أن
أحصل له على آلة حلاقة كهربائية ! تصور ! ثم كتب يقول لى أن اللبان
موضع استغراب بين رجال مكتبه ، وطلب منى صندوقا كبيرا ؟
وبلغت به الجراءة أن طلب منى صندوق ويسكى ، وقال انهم
يصرفون له الروم والجن ، ولكن كل الوسكى الاسكتلندى يصدر
الى الولايات المتحدة ، ويسألنى ان كان يضايقنى جدا أن آتية بصندوق
ويسكى ؟ ولذلك صممت على ألا آتية بأى شىء بعد ذلك ، ولو
أعادونى الى الولايات المتحدة •

— وما الذى يطلبه الآن ؟ •

— انه لا يطلب شيئا • ان هذا الميجر من رجالنا هو الذى يطلب ،
وهذا ما يجعلنى أكاد أجن • ان رنسن العجوز يتصور أننى صاحب
دكان تتولى توريد كل ما يطلب منه ، ويدور يشير على الناس بأن
يطلبوا منى كل ما يصعب عليهم الحصول عليه •

— حسنا ، ما الذى يطلبه هذا الفتى ؟ •

— يا لله يا هام ! انه يطلب جرسا •

— ولماذا الجرس ؟ •

— انه يقول: اننى اعتبره مهما جدا لرفع مستوى أخلاق وحسن
سلوك هذه المدينة أن أحصل على جرس يحل محل الجرس الذى
أخذ منهم ، كما هو مبين بعاليه ! ••••• اننى لا أفهم ! انه يتحدث
عن جرس عمره سبع مائة سنة • ولكن ليس هذا هو المهم يا هام •
ان الذى يكاد يجننى أن هذا الانجليزى ابن الحرام يظن أنه
تملكنا •

وقال الكولونيل المسمى هام الذى كان خيرا فى قول « نعم »
لرؤسائه و « لا » لمرؤوسيه : نعم انى أرى ما تقصد !

— انهم يفعلون ذلك دائما يا هام • ولعلك تلاحظ أن الانجليزى
لا يتأخر عن أن يأكل فى الميس الأمريكى كلما سنحت له فرصة •

— أنظر الى الاعارة والتأجير ! لعنة الله ! اننا فى الواقع نعطيهم
كل شىء ، ولا تظن أنهم سيدفعون لنا أى شىء • انهم لن يشكرونا
حتى مجرد شكر يا هام •

وقال الكولونيل المسمى هام : اننى أشك أنهم يفعلون •

— اننى أعلم أنهم لن يفعلوا • وانظر الى الطريقة التى يديرون

بها الحرب • انهم يضعون ضباطهم في جميع النقط الاستراتيجية،
يا هام !! اننا نكسب هذه الحرب الملعونة من أجل الامبراطورية
البريطانية •

وقال الكولونيل المسمى هام : هذا صحيح فيما أعتقد •

- لا يا سيدى ، لعنة الله على اذا أنا فتشت وبحثت عن جرس
لهذا الانجليزى الملعون ! أين يظن أننى سأجد جرسا عمره سبعمائة
سنة ؟ لا يا هام لن أفعل • أكتب خطا بهذا الميجر من فضلك يا هام •
- نعم يا سيدى • ماذا أقول له ؟ •

- قل له صراحة ، لعنه الله ، قل له ان الجيش الامريكى ليس
عنده بمخازنه أجراس عمرها سبعمائة سنة • قل له أنه يجب
أن يدرك أن الحرب دائمة ، وأن يراقب هؤلاء الانجليز الملعونين ،
والا أخذوا الحرب من بين أيدينا •

- نعم يا سيدى •

الفصل الرابع والعشرون

لقد كان الميجر جوبولو يفتبط بالأوقات التي يتولى فيها القضاء ،
لأنه من ناحية كان يسر لرؤية الأثر الحسن للعدالة الحقيقية في
أهالي أدانو ، ومن ناحية أخرى لأن جرجانو رئيس البوليس كان
يصور كل جريمة كما لو كانت ضده شخصيا . وكانت محاكمات
الميجر جوبولو مؤثرة ، لأنه كان ينجح - بطريق الحداغ والضغط
الأدبي والاقناع - في أن يجعل الحقيقة تبدو جميلة وضرورية .
وكان يقول : الحقيقة .. أريد الحقيقة الآن لا الأسبوع المقبل .
ويجد المتهم نفسه يقرر الحقيقة ويستبعد الكذبة التي أعجب نفسه
في إعدادها .

وكانت المحاكمات تبدأ في نحو الساعة الثالثة من بعد ظهر أيام
الاثنين .

وأحضر جرجانو أول متهم بعد ظهر يوم اثنين ، وقال وهو يقدمه
للمحاكمة : سنبدأ بالقضايا البسيطة ...

وسأل الميجر جوبولو : وهل عندك قضايا خطيرة ؟

ورفع جرجانو سبابته وقال بغضب : واحدة .

وقال الميجر : اذن ربما كانت الغرامات التي سنحصلها هذا
الاسبوع كبيرة .

وظن أنه يمزح ، ولكنه تعلم البخل من أجل أدانو ، وفي كل
يوم اثنين بعد الظهر كان يجتهد أن يعرف مدى ما حصله من
الغرامات .

وقال جرجانو بحماس : أرجو ذلك ، ثم صاح : القضية
الأولى .

وأثبت الميجر الاسم والعمر ومحل الميلاد وجنس المتهم ، وجعل
جيوزيبي يحلفه بالاطيالية بما يقابل قول الحق كل الحق ولا شيء

غير الحق • وقرأ جرجانو التهمة، فقد ضايق الرجل الناس وهو
سكران •

واستجوب الميجر الرجل :

انه فقير ، فمن أين جاء بالنقود ليسكر ؟ من زوجته •

ومن أين أتت هي بالنقود ؟ من الاعانة العامة •

ألا يعرف الرجل أن من المهين جدا أن يسكر الانسان بأموال
محصلة من الاحسان ؟

انه يعرف ، ولكن اللذة غلبت الاحساس بالحجل •

هل يترافع الرجل على أنه مذنب أو غير مذنب ؟

مذنب ؟ حسنا !

ويقول الميجر : انني أرى أنك أفقر من أن تدفع غرامة ، وسأخيرك
بين أن تنزل عن الاعانة العامة لمدة شهرين ، أو تدخل السجن
لشهر واحد ؟

ويختار الرجل دون تردد أن يفقد الاعانة العامة •

ويقول الميجر : ان كان الاختيار بهذه السهولة ، فأنت اذن
لا تحتاج الى الاعانة مطلقا ! ويأمر جوجانو بشطب اسمه من القائمة •
وينادي جرجانو : القضية الثانية ...

وكانت قضية امرأة متهمة ببيع لبن ماعز بأزيد من الثمن وبالعش
في الكمية •

وأنكرت المرأة كل شيء •

وقال لها الميجر أنه يريد الحقيقة، وأنه خير لها وأفيد أن تصدقه •

وقالت : فليكن • • لقد بعث وزنا أقل قليلا •

وقال الميجر أنه سيدعو المرأة التي باعت لها اللبن ، ويسألها ،
واذا كانت المتهمّة قد كذبت فسيجعل الغرامة ثلاثة أضعاف •

وقالت : فليكن ، لقد باعت اللبن بسعر أكبر قليلا • • ثماني
ليرات بدل ست !

ولقد بدت هذه المرأة فقيرة كالمتهم في القضية الاولى ، ولكن
غلطتها كانت أخطر • وغرمها الميجر ثلاثة آلاف ليرة تدفع في
خلال أسبوع •

وكانت القضية الثالثة قضية سرقة • اتهم فيها فلاح بسرقة
سجائر من كشك للجيش بجوار عزبته •

وطلب منه الميجر جوبولو أن يذكر روايته للحادث •
فقال أن بعض الجنود أعطوه خرطوشة سجائر وضعها تحت
جاكته واتجه الى منزله •

وطلب الميجر جوبولو الكشك تليفونيا ، وعلم من الجيش أن
الرجل سرق خرطوشتين وبعض المأكولات •

وبدأ الميجر يلقي خطبته عن الصدق ؟ وبعدد من الاسئلة
الماهرة حمل الرجل على أن يعترف بكل ما فعل •

وحكم الميجر جوبولو على الرجل بغرامة مائة ليرة وأعطاه درسا •
ولما انتهت قضية السرقة ، وقف جرجانو وقال : والآن ،
القضية الهامة ! ••

وكانت القضية التي اعتبرها جرجانو هامة هي قضية ارانتى
وعربته ذات البغل •

• وحلف ارانتى اليمين •

• وسأل الميجر عن التهمة •

وأزاح جرجانو ارانتى الى جانب القاعة ، ووقف هو أمام
الميجر •

وبدأ يقول : يا حضرة الميجر المحترم • انها قضية تدخل في
شئون الحربية الامريكية • اننى اعتبرها من أخطر ما تصرفنا فيه !
وقال الميجر : اترك لى الحكم على هذا الموضوع وقل لى : ماهى
التهمة ؟

عند ذلك روى جرجانو ، أوبالاصح مثل ، كيف أن عربة
ارانتى جايتانو سدت الطريق فى شارع امبرتو الاول • وقفز
جرجانو ذو اليدين وصار يحلف ويهز قبضتيه فى وجه ارانتى ،
وجعل زيتو يمثل البغل ، وهاجم زيتو بوحشية ، وأخذ يوالى
ضربات تمثيلية أثر ضربات • ولم يطلب من أحد أن يقوم بدور
ارانتى ، ولكنه ترك تملصه وترنحه ينهى عنه •

ومثل تمثيلا فظيحا للمجهول الذى كان يمكن أن يحدث من
نتائج توقيف ارانتى لقافلة السيارات المزدوجة • وبدأ عليه

نفسه انه كاد يموت عدة مرات كلما تصور موت الفتيان الامريكان
الناتج من عناد العرجي وغبوته !

واستمر جرجانو يشرح كيف تحدى ارانتى السلطة وحاول أن
يسخر منها أمام الناس . وانتحى جانبا وقام بتمثيل دور الناس
وهم يضحكون من السلطة بسبب تصرف العرجي !

ورغب في أن يدخل في روع الميجر أن جريمة هذا العرجي
كانت خطيرة خطيرة مضاعفة ، لوقوعها بمحضر من نحو خمسين
طفلا . أى فكرة عن القانون والسلطة ينمو بها هؤلاء الاطفال ١٠٠٠ !
وبينما هو يعرض هذه الفكرة أخذ جرجانو يندفع لأعلى وأسفل
صائحا يطلب كراميلة .

واستمر بعد ذلك يهاجم زيتو ويمثل ضحكات الجماهير ، مشيرا
الى السقف وهو يقسم بالله أنه لم يسبق له أن أهين بمثل هذه
الامانة فى حياته .

وأصبح واضحا للميجر جوبولو من هذا العرض أن جدية
هذه الجريمة مرتبطة تمام الارتباط فى نظر جرجانو بالحرع
الذى وجد نفسه فيه . وسأل العرجي ليروى روايته . وترك
ارانتى يحكى حكاية طويلة كحكاية جرجانو ، وإن كان - من جانبه
قد كون رايه فى الموضوع . ولقد كانت حكاية ارانتى البطيئة المؤلمة
شيئا جميلا يستحق الاصفاء اليه وإن كان نجعا . انها حكاية فلاح
ايطالى عاش حياته فريسة للخوف ٠٠٠ !

- اننى فقير يا مستر ميجر . املك عربية . والعربة هى كل ما
أملك .

ثم أدار نظره حول الغرفة وفكر . ثم قال : لقد ماتت
زوجتى بحمى الملاريا . وكانت زوجتى امرأة جادة ، لم تضحك
خلال ثمانى عشرة سنة ، ومع ذلك كانت تظهر الأرائب بمهارة
وماتت بحمى الملاريا .

وسكت ارانتى فترة . فقد كان يحتاج للتفكير ليتذكر .

- اننى لا أحب المكان الذى أعيش فيه . اننى أحتاج لازالة
زبل العنزة كل مساء قبل أن أنام ! إن السكن مع اربع عنزات يجعل
الغرفة مزدحمة جدا . . انها ليست مزدحمة بالقدر الذى كانت
عليه قبل الغزو ، فقد قتلت انقنابل خمس عنزات أخرى . لقد
حزنت على موتهم ، ولكننى نظرت الى الأمر من ناحية أن كمية الزبل
التي يجب ازلتها كل ليلة ستنقص .

وصمت العربجي لفترة طويلة وهمهم جرجانو : تكلم فى الموضوع أيها الغبى ...

وقال الميجر جوبولو : قل حكايتك بالطريقة التى تريدها .
وقال ارانتى : اننى لا أزل لا أدرك لماذا قتلوا بغلى ؟ كنت نائما على عربتى . ربما لا أننى أفرطت فى الشراب ! ولكن هذه غلطة يشترك فيها كل العربجية ، ولم أسمع أن بغالا أخرى قتلت ؟ هذا مع عدم ذكر ضرورة اصلاح العجلة اليمنى لعربتى ! اننى لا أدرك السبب يا مستر ميجر .

وأدرك الميجر جوبولو لأول مرة أن هذا الرجل ضحية ثورة غضب الجنرال مارفن ! ولم يكن هناك ما يستطيع أن يقوله للعربجي ليفسر له ، ولكن ارانتى لم يبد عليه أنه ينتظر من الميجر تفسيراً . واستمر يقول :

- هناك أشياء كثيرة لا أفهمها يا مستر ميجر . عندما كنت صغيراً كنت جميلاً ، أو على الأقل ذلك ما كانت تقوله زوجتى التى كانت تستطيع أن تضحك اذ ذاك . فلماذا أنا قبيح الآن يا مستر ميجر ؟ هذا أمر لا أستطيع أن أفهمه . ما الذى حدث لوجهي ؟ وتوقف ثم فكر . لقد كان منظر ولدى جميلاً فى بذلته الرسمية . أعنى أن منظره كان جميلاً قبل أن يقتل . أما بعد أن قتل فكان منظره بشعاً ! لم تكن له سيقان ! وكانت له نصف رأس ! ذلك ما قاله لى قائده . هل كان من الضروري أن يقول لى ذلك قائده ؟

وصرخ جرجانو : اننا نحاكم عربجيا أوقف حركة مرور عسكرية ، فهل من الضروري أن نستمع لمثل هذا الكلام يا مستر ميجر ؟

وقال الميجر جوبولو : نعم يا جرجانو ، أظن أنه يجب أن نسمع . وفى رأى أن ما يقوله العربجي متصل بقضيته .
وقال جرجانو رافعا يديه لاعلى مستسلماً : أنت القاضى .
وقال الميجر : استمر يا عربجي .

وقال ارانتى : اننى لأحب هذا الرجل . انه يبدو لى انه يحرك يديه أكثر من اللازم . لقد خلق الله لنا لساناً لتتكلم به . لى سنوات وأنا لا أحب هذا الرجل ! لم أحبه من اليوم الذى بصق فيه فى وجه زوجتى . لقد كان ذلك بعد أن توقفت عن الضحك بزمان طويل !

ثم التفت العرجي الى المجرم بعد ان نظره عن جرجانو الغاضب، وبعد فترة انتظار قال: لقد اكلت بطيخة من يومين • لقد كانت اول فاكهة طازجة ذقتها من وقت الغزو • لقد سرقتها • فكل الاشياء الطيبة تباع للامريكان بأسعار مرتفعة، ولا يترك للعرجي شيء الا لبن الماعز • ولكل شيء طيب جانبه السوء • فلا بد لتحصل على لبن الماعز أن تتحمل زبله •

ووقف قليلا ثم قال : ومع الامريكان لا بد - فيما أظن - أن نتقبل الجوع ! ثم توقف طويلا وقال : ومع ذلك فالجوع أفضل من أشياء أخرى • لكم كنت أود أن أسمع زوجتي تضحك من جديد •

وبعد صمت آخر قال : بيدولي ، انني سمعت ضحكات أكثر من بعد نزول الامريكان الى البر، وهذا صحيح خصوصا بين الاطفال ! لقد حاولت أن أفهم ما الذي جعلني أقف وأستمع للاطفال في ذلك اليوم عندما لم ألاحظ الحرب العائمة •

- لم تلاحظ ماذا ؟

- انني أسميها الحرب العائمة • العربات الامريكاني التي تعوم !

- نعم • العربات المزدوجة • استمر •

- هناك ضحك أكثر بين الاطفال • وهناك شيء آخر عند الاطفال لم ألاحظه من قبل • فقد كان طفل اربا النحيف في ذلك الجمع ممسكا بيد كاكوباردو الصغير • لا أدري ان كنت تقدر معنى ذلك يامستر ميجر • ان اربا عرجي مثلي ، وكل ما فيه أنه أكثر غباءا مني يامستر ميجر • وكل الناس يعرفون اسم كاكوباردو •

وقال الميجر • نعم أعرف انهم أغنياء !

- انني يامستر ميجر أكاذاكون غبيا كاربا، ولكنني لاحظت شيئا • ان ما يعمله الاطفال يظهر عليهم بوضوح ، ومن السهل رؤيته • أما ما يفعله الآخرون فانه يختفي في دخيلة أنفسهم • فالذي تراه حادثا بين الاطفال في أي وقت انما يحدث بين الكبار أيضا ، ولكنك لا تستطيع أن تلاحظه لانه مختف في الداخل • أعني الضحك والامساك باليد ، ومع ذلك ...

وتوقف ارانتي جايتانو ، وبدا هذه المرة أن توقفه سيطول • وتجهم وجهه ..

- ومع ذلك ماذا يا عرجي ؟

- ومع ذلك فانتى لازلت لأفهم لماذا قتلوا بغلى ؟ هذا الابقاء على
فى السجن فهمته . انتى لم لاحظ الحرب العائمة ، وآسف
لانتى وقفت فى طريقها . ولكن بالنسبة للبغل الذى أطلقوا عليه
النار لا أجد تفسيراً .

وفى هذه اللحظة كره الميجر جوبولو الجنرال مارفن كراهة
حادة ، وقال : نعم يا عربجى . هناك تفسير . انه ليس تفسيراً
جميلاً فيما أعلم ! انك تدرس النفس الانسانية كما أرى . ولا بد
أنك لاحظت أن المخلوقات الانسانية كثيراً ماتت خطأ . لقد كان قتل
بغلك غلطة فظيعة ارتكبها انسان ، وآسف جداً لانه اتفق ان كان
أمريكياً .

وحك ارانتى ظهره وقال : ان كانت غلطة . . . كانت غلطة . .
وتساقطت الدموع من عينيه .

وأنتهى الميجر جوبولو هذا الارتباك بقوله لجرجانو : سنضطر
لرفض هذه الدعوى يا جرجانو ، وآسف اذا كانت قد ضايقتك ،
ولكن بعد الذى قاله هذا الرجل ، هل تجد من العدل عقابه ؟
واعترض جرجانو : ان الجنود الامريكان كانوا معرضين للموت
بسبب التأخير !

وقال الميجر : انتى أشك فى ذلك يا جرجانو . كل جريمته أنه
اهتم كثيراً بضحكات الاطفال .

واسترد ارانتى نفسه من تأثره المؤقت وقال : لقد ازداد
الضحك . وأحسب زوجتى كانت تضحك لوصفى لهذا الرجل ! . .
ونظر لجرجانو وهو يتكلم عن عربته ! انه من المؤسف حقاً أنها
ماتت من الملاريا . الآن وأنتم هنا ، أظنها كانت تضحك برغم
الغلطة الخاصة بالبغل ! نعم أظن ذلك يامستر ميجر !

الفصل الخامس والعشرون

كان الميجر جوبولو يقول : حسن ، هذا ما حدث . بينما الآخرون فى غرفة استقبال توماسينو يضحكون ويتكلمون بصوت عال ، وتينا والميجر لا يعيرونهم أى التفات :

عندما حضرت مجموعة الأسرى فى الأسبوع الماضى ، كان معهم نوع جديد من الأوراق . كل ما كان فيها : « لاخلأ سبيله عند أقرب معتقل لمنزل حامله » وعليها توقيع شخص من الجيش التاسع . وقد قررنا ان نتحقق ونتأكد لأنه لم يصل الى علمنا شئ بخصوص اطلاق جميع الأسرى الإيطاليين .

لذلك كتبت كلمة الى ذلك الرجل من الجيش التاسع ، ووصلنى رده هذا الصباح . وهو يقول ان سياسة جديدة قررت ان الأفضل لنفسية الناس هنا ان نترك الأسرى الإيطاليين أحرارا . وهو يقول ان الخطر من إعادة الحرية لبعض الضباط المتعصبين الذين قد يستمرون على العمل مع الألمان ، يقابله ويخفف منه المكسب الذى تكسبه أغلب المدن الإيطالية .

وقالت تينا فى حماس : ومتى ستطلقون سراحهم ؟

وقال الميجر : لابد من فرزهم وإرسال كل منهم الى أقرب معتقل لموطنه . لدينا عدد كبير من فيشيينا مارى يجب إرسالهم لهنالك . وسيستغرق ذلك أسبوعا فى تقديرى .

وقالت تينا : هل ذهبت الى المعتقل حديثا ؟

وقال الميجر : نعم كنت هناك اليوم .

— هل يوجد به كثيرون من أدانو ؟

— نعم . عدد لا بأس به كما فهمت .

— قل لى يا مستر ميجر : هل تحدثت الى أحدهم ؟

— نعم تحدثت .

— الم تصادف ...؟

— انه ليس هناك يا تينا . لقد بحثت عن اسمه في الكشف .
كذلك سألت بعض رجال اذنانو . وقالوا انه لم يصل الى علمهم
اى شيء . لقد ذهبت الى المعتقل خصيصا لابحث .

وقالت تينا : انك لطيف جدا يا مستر ميجر .

وقال هو : لقد كنت فظا قبل ذلك !..

لقد ود ان يقول لها لماذا كان فظا ، وان هناك اشياء خاصة
لا يحب الرجل الوحيد ان يستمع اليها ، وانه لم يستلطف الاحساس
بانها انما استعملته للحصول على شيء تريده . ولكنه لم يقل .
لم يقل لانها لم تدع له الوقت اذ قالت :

— هل تظن ان جورجيو — جورجيوانا — في احد المعتقلات
ال اخرى ؟

وقال الميجر : لا سبيل لمعرفة ذلك !.. وتحول صوته
فجأة الى البرود .

— ومتى اعرف ؟

— في احد ايام الاسبوع المقبل . لقد قلت لك كل ما استطيع
قوله . وما كان يجب ان اقول لك كل ما قلت .

وقالت تينا بابتسامة تعاند الميجر : حاسب . انك بدأت
تصبح فظا مرة ثانية !

وابتسم الميجر هو الآخر وقال : استطيع ان اقول لك لماذا،
ولكننى لن اقول ...

الفصل السادس والعشرون

تمكنت رغبة الميجر جوبولو في أن يكسب لنفسه شهرة في أدانو من كل ذات نفسه . لم تكن مجرد رغبته في أن يعمل عملا نافعا، وأنه أحس بأن شهرته دليل نجاحه ، ولا لانه رغب في أن تحسن المدينة استقبال الأمريكان ، وأن كان ذلك ما أراد . . ولكن الواقع أنه هو نفسه أراد أن يكون محبوبا .

لم يدع هذه الرغبة تبدو في الربت على الكتف والتملق وغيرهما من الوسائل للحصول على الشهرة ، فهو لم يكن في طبيعته رجلا سياسيا .

ولكنه - في كل عمل أتاه ، وكل قرار اتخذه - كان يبتد نفسه متأثرا بما قد يؤدي اليه من تغير في شهرته بالمدينة . وبنفس الطريقة كان الميجر جوبولو يبحث في كل ما عمله المدينة أو موظفو المدينة الرسميون عما يشير اليه من حب المدينة له ، ويراقب باهتمام الاشارات التي قد تدل على أنه لم يعد محبوبا .

لذلك السبب ألم به ضيق ذات صباح حين سمع الحاجب زيتو يحضر اليه ويقول أن جميع موظفي المدينة الرسميين يطلبون الاجتماع به في إحدى ساعات هذا الصباح . وتساءل عما اذا كانوا يريدون اظهار عدم رضاهم عن عمل يكون قد قام به . وقال : الآن فورا يلايتو أن امكن أن يحضروا .

وهكذا في خلال دقائق بداوا يتوافدون . وكالمعتاد كان بلانكا العمدة أول من حضر، وخيل الميجر أن عيني الرجل العجوز التي كانت حزينة لطول خلافه مع رجال السوء قد بدت أكثر حزنا . وحضر داربا وكيل العمدة بعده يسير بسرعة ، وهو منخفض كالعرسة ، وقد بدا الحزن - فيما قدر الميجر - على عينيهِ الصغرتين . وفحص الميجر كل وجه كلما اقترب منه .

فقد بدا وجه تاجليفا مارشال المالية ممثلا رخاء ، ولكنه قلق .
وظن الميجر أن وجه بانتليونى سكرتير البلدية يبدو دهنيا ولكن
ليس بالدرجة المعتادة . وظن الميجر أن وجه السيدة كارملينا
سبيناتو الضابطة الصحية المتطوعة ، الكثرى الشكل ،
تضخم وتشحم ، ففقد كل تعبير ، وإن روتوندو ملاحظ البوليس
ذو وجه أبيض كالحائط ، وأن وجه ساييتا المكلف نظافة المدينة
والذى هو أنظف رجل فيها ، بدا كما لو كان قد لمع بالحجر
الخفاف حتى لمع ، ولكنه فى نظافته بدا وعليه مسحة من الحزن !
وسبب وجه جرجانو ذى اليدين للميجر قلقا خاصا ، لانه عرف
انه ربما جرح احساس رئيس البوليس فى محاكمة ارانتى .
والواقع أن وجه جرجانو بدامتجهما .

وتولى بلانكا العجوز الكلام عن الجميع . قال : لدينا ما نريد
أن نطلبه منك يا مستر ميجر .

وقال الميجر : سأجتهد فى أن أحقق مطالبكم .

وقال الرجل العجوز : قد لانتعجك ..

وقال الميجر : هل فعلت شيئا تريدون تصحيحه ؟

وأشار جرجانو ذى اليدين بسبابتيه الى الميجر وقال له :
انه شئ لم تفعله .

وضحك الآخرون للملاحظة . وازداد الميجر جوبولو قلقا عن
ذى قبل . وسأل : شئ نسيت أن أفعله ؟

ووضع تاجليفا ، مارشال المالية ذو الوجه الممتلئ رخاء ، أصبعه
فى جيب صدريته وقال : لا . انك لم تنس أن تفعله ، لانك لم
تكن تعلم أن عليك أن تفعله . انه شئ لم تفكر فى عمله . ونحن
غاضبون منك لانك لم تفكر فى عمله .

وضحك الآخرون جميعا للمرة الثانية . وبدأ الميجر جوبولو
يحس بأنهم مرحون ، وأنهم جهموا وجوهم ليهزأوا منه ، ولكنه
لم يظهر شكوكه ، وقال : قولواى ما هو هذا الشئ ، وآسف
لأننى أغضبتكم .

وقفزت السنيورا كرملينا سبيناتو الى مكتبه ، ونظرت
بجد الى جانب وجهه ، ثم قفزت الى أمامه ، وكونت اطارا من
بنصريها وسبابتيها ، ونظرت من خلالهما الى وجهه ، وسألت
الآخرين : أيهما تظنون ؟ من الجانب أو من الامام ؟ ولم يكن
قد خطر ببال الميجر جوبولو من قبل أن السنيورا كرملينا

اسبيناتو يمكن أن تمزح، ولكنها بدت كما لو كانت تريد أن تمزح
في تلك اللحظة ، وهي تقفز من هنا وهناك وعلى وجهها سخرية
جادة .

وقال داربا وكيل العمدة : من الخلف . . وقهقه الجميع مرة
أخرى .

وقال الميجر جوبولو : كفى سخرية بى . يمكنكم أن تسخروا
بى قى غيابى ، أما هنا فهذا مكتبى .
وقال بللانكا العجوز : اننا لانسخر منك . ان هذه مسألة
مهمة لا دائر .

- اذن قولوا لى ما هى .

وقال بللانكا العجوز : اغفر لى يا مستر ميجر أن أصدر لك
أوامر ، ولكن عليك أن تذهب الى المنزل رقم ٢٣ شارع فافيمى ،
وتصعد الى الدور الثانى، وتسال عن شخص اسمه سباتافورو ،
وهو يقول لك ما يجب أن تعمل .

وقال جرجانو : انه ولا شك سيقول لك ! وضحكوا كلهم .
وقال بللانكا العجوز : ستجد هذا الرجل سباتافورو عينا
بعض الشيء !

وقالت السنيورا كرملين - اسبيناتو : وبعضهم يظنه فظا . .
وضحك الجميع .

وقال بللانكا العجوز : لا تغضب منه . اعمل كما يقول لك !
وقال الميجر : اننى لا أحب كل هذا الغموض ، ولكننى
سأذهب . ما عنوانه ؟

وقال بللانكا العجوز : ٢٣ شارع فافيمى . اصعد الى الدور
الثانى ، وابحث عن سباتافورو ، وتغاض عن سلوكه .
وكتب الميجر جوبولو العنوان والاسم ، وسأل : متى يجب أن
أذهب ؟

وقال بللانكا العجوز : فى الوقت الذى يناسبك يا مستر
ميجر .

وخرج موظفو أدانو الرسميون ، واحدا وراء الآخر ، من مكتب
الميجر جوبولو ، كأنهم أطفال أشقياء .

ولم يرد الميجر جوبولو أن يبدى تلهفا ، ولذلك انتظر الى ما بعد
الغداء ليذهب الى رقم ٢٣ شارع فافيمى . .

ووجد أن المنزل رقم ٢٣ شارع فافيمي هو منزل من الحجر الرمادي ، من ثلاثة أدوار كغيره من المنازل . وعلى الباب وجد اطارا على شكل صندوق واجهته من الزجاج ، وبداخله نحو خمس صور فوتوغرافية من النوع الانيق الذي أبعد ظهره ، بحيث بدت الرؤوس كما لو كانت تطفو في سحاب صغير خاص بها . وكانت البراويز غير محكمة اذ انسابت قطرات المطر وذرات التراب على الصور . وكانت احدى الصور تبدو كأنها صورة تينا حين كان شعرها أسود .

وحاول الميجر أن يفتح الباب فوجده غير مغلق ، وصعد في درجات السلم للدور الثاني حيث وجد بابا قى حالة اهمال تام تقوصت مفصلاتہ ، والتوت احدى ضلفه واعوجت ! وطرق الباب ولما لم يسمع ردا أعاد الطرق .

ولم يسمع ردا للمرة الثانية، فدخل . اخترق مدخلا ضيقا الى غرفة واسعة ، هي استديو لمصور فوتوغرافي ، وتبدو في حالة خراب تام !

وكان في وسط الغرفة آلة فوتوغرافية خشبية كبيرة يعلوها التراب ، وبجوارها كرسي عال ذو أربع أرجل . وبين الكرسي والكاميرا التي على شكل صندوق نسيج عنكبوت مترب ، تتخلله بقايا ذباب وعثة . وفي نهاية الغرفة التي تواجهها آلة التصوير مقعد من خشب وحديد كمقاعد الحدائق القديمة ، وخلف المقعد تدلت ستارة باهتة ، وصورة غير محفوظة التناسب لميدان القديس بطرس في روما . وعلى الارض كوم من اطارات الافلام الخشبية المتربة، وفي أحد الاركان مجموعة من الافلام المحمضة .

وآخر شيء وقع عليه نظره في الغرفة ، بدا كما لو كان مكونا من عنكبوت وملابس قديمة . . لقد كان رجلا .

كان نائما على الارض تحت احدى النوافذ . وأسرع الميجر اليه لانه ظنه ميتا . ولكن عندما اقترب الميجر تكلمت الجثة : اذهب من هنا . ان كنت تريد أن تنظروا وجهك فانظر اليه في مرآة ! وقال الميجر : لقد قيل لي أن أحضر الى هنا وأبحث عن شخص اسمه سباتافورو . فهل أنت سباتافورو ؟

وقال الرجل : اسمي سباتافورو .

وقال الميجر : لقد قالوا لي انك ستقول لي ماذا أعمل !

وقال سباتافورو : يا الهى !نجنى من المغرورين . . اذهب
 واجلس على المقعد !

واتجه الميجرجوبولو الى المقعد وانحنى عليه ، ونفخ التراب عن
جزء متسع اتساعا كافيا يسمح له بالجلوس . وجلس .

ولم يكن سباتافورو قد قام من استلقائه على الارض بعد . وقال
انك ككل الآخرين . تستطيع ان تنظر فى وجوه الآلاف من
مواطنيك ، ولكنك تظن أن وجهك أجمل من بقية الوجوه كلها .
تريد أن تصور وجهك وتضعه فى اطار وتضع الاطار فوق رف
وتحدد النظر اليه ؟ انك قبيح المنظر ! وقال الميجرجوبولو : لا أدري
عما تتحدث . اذا كان هناك ماتريد أن تفعله فافعل . فليس
أمامى فراغ يوم كامل !

وبدأ الرجل العجوز ينهض ببطء . وطرقت ركبته وهو
يحركهم . وقال : مغرور ومستعجل ! ما الذى يستعجلك
أيها الرجل المغرور ؟ ألا تستطيع أن تنتظر حتى تلتقط صورتك ؟
وتحرك سباتافورو ببطء الى الكرسي المجاور لآلة التصوير ،
وجلس عليه فى حذر حتى لا يمزق نسيج العنكبوت .

وقال سباتافورو : لقد مضى على وقت طويل فى هذه الصناعة -
ثمانون عاما ، تسعون عاما ، مائة عام لست أدري - أصنع وجوها
حتى يستطيع الناس أن يحددوا الى وجوه أنفسهم !! مارأيك فى
هذا كعمل حياة بطولها ؟ هيه !!

وهبط الرجل من على الكرسي ، وذهب ووقف أمام الميجر وقال :
ياله من وجه . ما أقبح الانسان ؟

لم يكن الميجر جوبولو معجبا اعجابا مفرطا بوجهه ، ولكنه كان
يقص شاربته كل ثلاثة أيام ، ويلتقط شعر أنفه كل أسبوعين ،
ويقص شعر رأسه بانتظام ، ويغسل وجهه ، وكان يعتنى بوجهه ،
وكان يعتقد أن وجهه - دون تفاخر - لا بأس به . فلما قال له
الرجل العجوز انه قبيح ، قال له الميجر : أيها الرجل العجوز ان
كانت الفكرة أن تأخذ لى صورة فافعل ، ولا تشتمنى ! اننى ميجر
فى الجيش الأمريكى ، وقد أرسلنى الى هنا بعض أهالى هذه المدينة ،
وأظن أنهم أرسلونى لـتلتقط صورتي . فارجوك أن تلتقط
الصورة ان كنت ستفعل .

وقال العجوز : اذن أنت أمريكى . لم أكن أعرف أن الأمريكان
بهذا القبح . لقد كنت أظن أنهم أكثر طولا وأبيض بشرة !

وانتقل الرجل ببطء خلف آلة التصوير . واخذ قطعة قماش كانت في يوم ماسوداء وأصبحت الآن رمادية باهتة من التراب على آلة التصوير ، وانحنى ووضع القماش فوق رأسه والآلة ، ونظر من آلة التصوير .

وجاء صوته الاجش من تحت القماش : انك قبيح حتى في انعكاس الصورة ! اننى فى العادة أحب الوجوه مقلوبة ، ولكننى لا أحب وجهك . انك قبيح معدولا ومقلوبا على السواء ! ومنشفخ عند الحدين ! الشفتان غليظتان ! لاشى يمكن اصلاحه بوضع عاليك أسفلك .

وأخيرا خرج الرجل العجوز من تحت قطعة القماش ، ولف حول نسيج العنكبوت ، وجلس على الكرسي مرة ثانية . ثم تناول منفاخ آلة التصوير وجلس وهو فى يده . وقال :

- انظر كيف أن الرجل الصغير القبيح يحاول أن يتجمل للصورة . انظر اليه يلحس شفتيه حتى تبتل وتلمع . انظر اليه يحاول أن يبدى عينيه لامعتين بفتحهما أوسع من المعتاد فتبدوا كأنهما بليتا لعب ! أنظر اليه يثبت وجهه فى نصف ابتسامة تبدو صناعية متجمدة ؟ . . وضحك الرجل ضحكة متكسرة متربة .

ولم يستطع الميجر جوبولو أن يفصح عن مضايقته خشية أن يضغط الرجل منفاخ آلة التصوير ، فجلس وقد ازداد وجهه احمرارا وابتسامته جمودا .

وقال سباتافورو : من الغريب أن الرجال أكثر اعجابا بأنفسهم من النساء . يقال ان النساء ينظرن وجوههن فى المرأة أغلب الوقت ، يسرحن شعورهن ، ويصبغن وجوههن !! ولكن الرجال هم المغرورون ! أنظر لنفسك : ديك ! طاوس ! انك تظن نفسك جميلا جدا !

وأخيرا ضغط الرجل العجوز المنفاخ .

وأحس الميجر بالخلاص ، ولم يقل شيئا من الاشياء التى فكر فى أن يقولها منذ ثوان ، بل انتظر حتى يضع الرجل العجوز فيلما جديدا ويأخذ صورة أخرى .

ولكن الرجل العجوز قال له : ماذا تنتظر أيها الشاب القبيح ؟ هل تريد أن تضع نصف دسنة من صورك على مدفأتك ؟

وقال الميجر : ان المصورين عادة يأخذون صورتين أو ثلاثا ليتأكدوا من نجاح واحدة !

وقال سباتافورو : ليس هذا المصور . ! بعد أن تمضى في هذه الصناعة الكريهة هذه السنوات الكثيرة التى لا نستطيع لها عدا ، فانك لا تحتاج لان تتمرن على كل من يجلس للتصوير . لا . لقد انتهى كل شىء ، وشكرا لله .

ولم يضيع الميجر جوبولو أى وقت فى الانصراف . ولما عاد الى السراى قابل بللانكا العمدة وداريا مساعده فى الصالة العليا .

وقال الميجر وهو يحاول أن يبتسم : لقد قابلت صديقكم فى الرقم ٢٣ شارع فافيمى !

وقال بللانكا : هل قال لك انك قبيح المنظر ؟

وأشار داريا يهز رأسه . وقال بللانكا : انه يقول نفس الكلام لكل شخص . انه يقول لأجمل نقات المدينة ، كينت توماسينو فرنشيسكا ، انهن قبيحات ومغرورات . انه مجنون !

وحول الميجر حقه من سباتافورو الى بللانكا العجوز لانه ضرب مثلا للجمال بفرنشيسكا بدلا من تينا ، وقال : لماذا أرسلتمونى لهذا المجنون ؟ لماذا تريدون صورتي ؟

وقال بللانكا : سوف ترى . انها ستكون أجمل صورة رأيته ! ونظر بللانكا الى داريا . ونظر داريا الى بللانكا . وضحك الاثنان فى مرح شديد .

الفصل السابع والعشرون

ترك الميجر جوبولو فى لباقة موضوع رفع المركب انزيو بين
يدى اللفتنانت ليفنجستون .

وقام اللفتنانت بعمل منتج حقا . وفى الواحد والعشرين من الشهر
كان قد حصل على حق استعمال الحوض ، وفى الرابع والعشرين
كانت الانزيو قد رفعت ، وفى السابع والعشرين كانت آلات
الرفع مستعدة لتفريغ حمولتها .

وفى الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والاربعين من صباح اليوم
السابع والعشرين ، كان رئيس العمال قد انتهى من اعطاء تعليماته
لهم ، وكانوا نحو الاربعين شخصا . كان بعضهم رجالا طيبين ،
وبعضهم لم يكونوا . ذلك أن العمل فى ادانو بدأ يكثر ، وقلت
الايدي العاملة . وكان بعض العمال من خارج المدينة ، وحتى
فاتا الكسول كان يعمل لأول مرة من سنين .

ولما أنهى الرئيس خطابه ، قال لهم انهم سينتظرون نحو ربع
الساعة حتى تمتلى آلات الرفع بالبخار لتبدأ الرفع .

وكان بين العمال شخص غريب عن ادانو يبدو أنه فوق
المتوسط . كان رجلا وسيما ، ولم تكن تحت عينيه الجيوب التى
يتميز بها رافعوا الاثقال . وكان يتحدث بلهجة المدن الايطالية .
ابتسامته جميلة وطرقه مقنعة .

ولما أتم الرئيس حديثه دخل الغريب فى حديث مع أربعة من
العمال ، كان أحدهم فاتا الكسول .

وقال الرجل الغريب : هل سمعتم الاخبار ؟

وقال أحد الاربعة : أخبارا عن أى موضوع ؟

— بخصوص الهجوم الالماني المضاد . اننى قلق منذ الصباح
بسبب ما سمعته .

وسأل أحد الاربعة : ما الذى سمعته ؟

— يبدو هذه المرة أن الامر جدد . لقد بدأ الهجوم في الثالث والعشرين ، ويبدو أنه وصل الى أعلى مستواه في صباح اليوم . ان الالمان يحاولون القاء الامريكان في البحر ...

ولم يكن الكسل ليبلغ من فاتا درجة تعوقه عن الظهور بمظهر العليم ، فقال : لقد سمعت عن ذلك من قبل .

والتفت أحد الاربعة الذين من ادانو ، والذي يعرف أن فاتا لا يمكن ان يعلم شيئاً ، التفت الى فاتا وقال له : أين سمعت هذا يا فاتا الكسول ؟

وقال فاتا : دعنى أفكر . نعم . انه العمدة ناستا قبل ابعاده . لقد قال ان الالمان سيبدأون هجومهم في الثالث والعشرين ، وانهم صمموا على قذف الامريكان في البحر ما بين الخامس والعشرين والثامن والعشرين !!

وقال أحد الرجال من أهالى أدانو : ان العمدة ناستا كاذب ، وقد نفاء الامريكان لافريقيا .

وقال الرجل الغريب : ربما نفاء الامريكان لانهم علموا أن ما قاله صحيح ولم يريدوا أن ينشر الرعب في المدينة .

وقال فاتا الذي كان أكسل من أن يفكر في الامر : نعم . ربما كان ذلك هو السبب .

ولكن أحد الآخرين قال : ولكن كيف يعرف الامريكان ترتيبات الالمان ؟

وقال الرجل الغريب : ان لهم جواسيس ولهم وكلاء .

وقال فاتا بتأثر : ذلك ممكن . لقد سمعت عن الهجوم من عدة أيام .

وقال الغريب : لقد قلت ان الهجوم بين الخامس والعشرين والثامن والعشرين ، ونحن الآن في السابع والعشرين ، وهذا يؤيد معلوماتي . فالיום اذن هو اليوم الكبير فيما اعتقد .

وقال أحد الرجال من أهالى أدانو : وماذا تظن سيحدث ؟

وقال الغريب : هذا ما يضايقنى ، ولذلك أفضل ألا اتحدث في هذا الموضوع .

وقال أحد الرجال : ولماذا ؟

وقال آخر : بل قل لنا .

وقال الغريب : لا . ان ذلك لن يكون في مصلحتكم ولا في مصلحة الامريكان . اننى افضل أن أحتفظ بقلقى لنفسى !

لقد كان هذا الغريب رجلا ماكرا كما تتبينون .

وقال أحد الرجال : اننا الآن قلقون . لقد اقلقنا فانا وأنت أيضا . اننا نفضل أن نقلق لشيء معين . قل لنا ما الذى سمعته .

وقال الغريب : لا . انه فظيع جدا .

وأصر الرجال : قل لنا . قل لنا .

وقال الرجل الغريب الماكر ، والذى اكتشف أن فاتا الكسول عبيط ممن يسهل ادخال الاشاعات عليهم : حسنا ، سأقول لهذا الرجل - وأشار الى فاتا - لانه سمع بالاخبار قبل ذلك .

وانتهى بفاتا جانبا . ورأى الآخرون الرجل يهمس فى أذن فاتا ، ورأوا وجه فاتا ينقلب أصفر ، ثم رأوا الرجل الغريب يترك فاتا ، ويختفى بين جموع العمال .

وجاء اليهم فاتا مباشرة ، وأفضى اليهم بما سمع ، فقال : ان الالمان سيبدأون هجوما على ميناء أدانو فى الساعة الحادية عشرة بالغازات السامة ! وسيكون الهجوم من طائرة واحدة .

وفى لحظات بدأت الجموع تضطرب قلقا ، وسرت الاشاعة بينهم مسير الرياح : غازات سامة فى الساعة الحادية عشرة . . . غازات فى الحادية عشرة . . . غازات ، احدى عشرة . . . طائرة . . . غازات الحادية عشرة . . . غازات . . . غازات . . . غازات !! . .

وفى الحادية عشرة الا دقيقتين كان العمال الايطاليون البسطاء قد امتلأوا رعبا . وفى تلك اللحظة صاح الرئيس بهم يدعوهم للاستعداد للعمل بمجرد اعطاء اشارة . وكانت آلات الرفع قد حميت ، وعلى الرجال أن ينقسموا فرقا كالتعليمات .

ووزع الرجال أنفسهم ، وكلما تقابل رجلان لم يكونا قد تحدثا قال أحدهم : هل سمعت ؟ ويشير الآخر برأسه بأنه سمع . وجاءت الساعة الحادية عشرة . وفى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثالثة ، وبينما الرجال فى طريقهم الى المركب أنزى لياخذ كل منهم موقفه ، سمع أزيز طائرة .

كانت تلك الطائرة هى طائرة البريد المعتادة ، وهى غر فى سماء أدانو فى الساعة الحادية عشرة كل صباح ، ويستطيع كل جاسوس

من جواسيس العدو أن يتحقق من ذلك ، كما يستطيع كل عامل
إيطالي أن ينسى ذلك بسهولة . وقد جاءت متأخرة بضع دقائق
في هذا الصباح .

ولما مرت الطائرة من فوق أدانو على ارتفاع نحو ألف قدم فوق
شبكة البالونات ، رفع جميع العمال في المركب أنزبو أنظارهم
إليها . وتقدم الرجل الغريب من فاتا وهمس : هذه هي .

ونقل فاتا الخبر بسرعة ، وبدأت الجموع ترتجف ! وسأل
بعضهم بعضا : ماذا نعمل ؟

وقال آخرون : ان الميناء هي الهدف . اننا في وسط الهدف
تماما .

وقال آخرون : هل الغازات تلقى بقنابل ؟ أم أنها ترش رشاشا ؟

وانتظر الغريب الذي يبدو أن له خبرة في مثل هذه الأمور
حتى اللحظة الاستراتيجية التي أيقن فيها أن الرعب قد تمكن من
العمال ، ثم رفع يديه الى السماء وصرخ : يا الهى اننى أشمه !
ثم استدار وجرى نحو المدينة .

وكان رعب العمال مباشرا . وجروا جميعا ، وجرى فاتا
الكسول لأول مرة منذ سنة ١٩٣٢ عندما رجمته زوجته كارملينا
واستعطفته بحبه لله أن يسرع ليحضر لها الداية .

وصاح بعضهم : الى الماء . انجوا بأنفسكم وقفز نحو ثمانية
رجال في الماء ، وكان من بينهم اثنان لا يعرفان السباحة ، فأنقذا
بمشقة !!

ووجد فاتا الكسول نفسه يجرى بجوار شاب قوى اسمه
« زنجونى » .

وسأل « زنجونى » وهو يرتعد خوفا : ماذا سنفعل ؟

وقال فاتا الكسول : لنخفف من سرعة جريتنا . يجب أن
نوفر قوانا ، فقد نحتاج للجري مسافة بعيدة .

ولذلك خففا من سرعة الجرى !

وسأل زنجونى مرة أخرى : ماذا تظن أنه يجب أن نعمل ؟
ورأى فاتا شخصا متقدما قد غطى وجهه بمنديل ،
فقال : ضع منديلك على وجهك ، فهذا يمنع عنك الغازات !
ووضع كل منهما منديلا على وجهه !

وسأل زنجونى من خلال منديله : هل شممتها ؟
وقال فاتا متعاطفا : نعم . لقد شممتها بوضوح .
وسأل زنجونى وهما يجريان : وماذا تشبه رائحتها ؟
— ان رائحتها أشبه بالدخان المتصاعد من معمل تكرير كبريت
كاكوباردو !

وصمت زنجونى لمسافة ثلاثين قدما تقريبا ، ثم قال : هل
انت متأكد من أنه ليس دخانا من مصنع كاكوباردو ؟

وقال فاتا وهو يلهث : لقد كانت غازات سامة ولاشك !
ولقد كان فاتا يلهث من الجرى ، ولكن زنجونى ، الذى لم
يكن قد تعب ولم يبدأ يلهث ، ظن أنه مختنق من الغازات .
وسأل فاتا : هل انت سليم ؟

وقال فاتا : أحسب أنه يحسن بنا أن نخفف من سرعة
الجرى . فالغازات فيما أعلم تضعف مقاومة الانسان .
لنوفر قوانا .

وخففوا فعلا من سرعة جريهما .

ومرا على منزل فاتا . وكانت كارملينا قد خرجت من
المنزل عندما سمعت أصوات أول فوج من العمال الذين مروا
يجرون . وكانت قد صاحت تسأل المتابعين عن سبب جريهم .
وردوا عليها من خلال مناديلهم ذاكرين موضوع الغازات .
ولكن كارملينا شكت ولم تصدق ما قالوه . . الى أن غير رأيها
أمر . . .

لقد صاحت : يا مريم يا أم اليسوع !! اتخدعنى عيناي ، أم
أن هذا الذى يجرى هو زوجى ؟

وألواقع أنه كان زوجها يجرى بجوار زنجونى مقدما نحوها ،
وقالت لنفسها : لابد أن أمرا فظيحا حمله على أن يجرى .
لعل الخبر عن الغازات صحيح ؟

ولما وصل فاتا تحركت نحو الشارع وقفزت الى جواره
وبدأت تجرى معه ! ثم سأله فى لهفة :

— ما الحادث الفظيع الذى جعلك تجرى ؟

وقال وهو يلهث بصعوبة : الغازات ! الغازات السامة !
الامان !

وشرح لها زنجونى الذى لم يكن يلهث : لقد هوجمنا ونحن
نعمل فى الميناء . واستطاع بعض الرجال أن يشموها . أن رائحتها
تشبه دخان الكبريت . وأظن أنها ربما كانت بالفعل دخان كبريت !
وقالت كارملينا : من الذى قال انها غازات ؟

وقال زنجونى : رجل غريب . اعاد ذكر حكاية الهجوم الألمانى !
وقالت كارملينا : يحسن الاتجربى بهذه السرعة يا فتاة ، انك
سوف تفرقع !

والواقع أن فتاة كان قد بدا لونه يحمر ، فخفف قليلا من
سرعته مسرورا .

وقالت كارملينا : اننى لا اصدق ان غازات القيت .

ولكن فى هذه اللحظة حدثت أشياء عديدة جعلتها تصدق .
فقد تجمع عدد من الناس حول شخص ملقى فى الشارع يتقيأ .
كان هذا الرجل يدعى «بوتافوكو» وكان يتقيأ لانه شرب زجاجة
نبيذ قبل أن يذهب للعمل . ولكنه عندما استطاع أن يقول
كلمة فى فترة بين قيئين قال : الغازات . لغازات .

وسرعان ما تبخر الجمع ، وبدأوا يجرون فارين ، فقد رعبهم
منظر أول حادث من حوادث التسمم بالغاز .

وكان من بين العمال عامل شاب يدعى « لوفازو » كان منذ
اسباع قليلة خادما بكنيسة اليتامى ، وكان أول شيء اتجه
اليه تفكيره أن يدق جرس الكنيسة . فلما فعل وسمع الناس
فى المدينة صوت الجرس يرن من تلقاء نفسه وفى غير الوقت
المعتاد ، انتشر الرعب . وازداد الذين كانوا يعلمون بموضوع
الغازات رعبا على رعب ، بينما جرى الذين لا يعلمون فى الشوارع
يسألون عن الخبر . وسرعان ما امتلأت الشوارع بمئات الناس ،
يجرون ذهابا وايابا يسألون عن السبب ، وحمل منظرهم كارملينا
على أن تصدق الخبر .

ثم سمع مركوريو سالفاتورى عن حكاية الغازات ، ورأى
أن من واجبه أن يذيعه . فجرى الى السراى وصعد فى درجات
السلم الى الدور الثالث ، ومر من الباب الصغير الى حيث
برج الساعة ، وأخيرا الى المنصة حيث كان الجرس القديم معلقا .
ووقف هناك ، وبأعلى صوته صرخ : الغازات ! الغازات السامة !
أقفلوا أنوفكم يا أهالى ادانو الغازات ! الغازات السامة !

ووصل صوت المنادى الى ثلثي المدينة . ولما سمعته كارملينا اقتنعت بالخبر وبدأت تصرخ ، كما كان عدد كبير من النساء الأخريات يصرخن : الغازات . . الغازات السامة !
وأخذ فاتا يقول لها وهويلهث : خفضي . . خفضي من الصراخ !

وظنت كارملينا انه نغمى عليه من الغازات . والواقع أن الغازات الوحيدة التي كان يشكو منها كانت في معدته ! ولكن كارملينا بدأت تصرخ : أنقذه ، زوجي . انه يموت من الغازات ! أين المساعدات الضحية ؟ . الانقاذ . الانقاذ !

وجرت كارملينا وفاتا وزنجوني الى السراى حيث تجمع جمهور كبير امتلأ رعبا . وترنح فاتا ثم سقط . وأخذ زنجوني يروح على وجهه بمنديله ، بينما أخذت كارملينا تبكي زوجها الذي أصيب من الغازات . وكان بالميدان مناظر أخرى من هذا القبيل .

وفي هذه اللحظة خرج الميجر جوبولو الى الشرفة بالسراى ، ورفع يده محاولاً أن يحصل على اصغاء الجماهير . . ولكن الجماهير كانت في حالة عصبية جعلت من الصعب عليه أن يوصل صوته اليهم .

وأرسل زيتو لبحضر المنادى الذي كان لا يزال يبعث بصراخه من برج الساعة . ولقد كان صوت المنادى هو الذي أخرج الميجر ليكتشف ماهو حادث . واسرع زيتو الى البرج وعاد ومعه مركوريو والفاتوري .

ولما وصل المنادى الى الشرفة ، صاح به الميجر : قل لهم ينصتوا .

وصاح المنادى بأعلى صوته : سكوت . اهدأوا . أن المستر ميجر يريد أن يلقي بيانا عن الغازات !
وسكنت الضجة تدريجيا .

وقال الميجر : لاوجود لغازات سامة ! انها اشاعة مضحكة ! وتقدم العمدة بللانكا العجوز الى جانب الميجر وقال : هل أنت متأكد يا مستر ميجر ؟ فانها تكون مصيبة لو طمأناهم ثم يتبين انه قد حدث فعلا هجوم بالغازات السامة ! .

ان هذا يظهر تأثير عدوى الخوف ، لان بللانكا العجوز كان رجلا رصينا ، ومن أكثر رجال المدينة اتزاناً .

وبدأت الجماهير تهتف : من أين علمت ذلك ؟ .. هاهو فاتا يحضر ! .. لقد شتممتها بنفسى !

وقال الميجر جوبولو لمركوريسو الفاتورى : قل لهم يهدأوا دقيقة ، فانى أريد أن اتحدث بالتليفون ...

واسكت المنادى الجمهور للمرة الثانية . وذهب الميجر جوبولو الى مكتبه وطلب اللفتنانت ليفنجستون .

وقال الميجر : هاللو ياكابتن كيف حالك ؟

وأجاب اللفتنانت بصوت ودى : على اتم مايرام .. متى ستحضر لهننا لتشرب كأس الويسكى معى ؟

وقال الميجر : قريبا جدا . قل لى : هل يجرى عندك شىء غير عادى ؟

وقال الصوت المتخرج من « كنت وييل » متضايقا : نعم . أغرب شىء يمكن أن تتصوره . هل تعرف المركب التى رفعتها ؟

وقال الميجر : بلا شك . لقد كانت فكرة موفقة !

وتردد الصوت المتخرج من « كنت وييل » وقال : نعم . ولكن فى هذا الصباح ، فى الوقت الذى بدأت أبعث بالعمل

ليفرغوها، تركوها وهربوا جميعا . اتظن اننى لم أدفع لهم الاجر الكافى ام ماذا ؟ اننى لا أفهم كثير فى امر هؤلاء الايطاليين . ماذا تظن سبب ما حدث ؟

وبدأت الجموع فى خارج السراى تقلق من جديد وتتململ . واسكتها المنادى مرة أخرى .

وسأل الميجر : ألم تحدث أية حوادث أو اصابات ؟

— مجنونان من اولاد الحرام سقطا فى الماء ولم يستطيعا العوم ، ونحن مشغولون بعمل تنفس صناعى لهما !

— ألم يحدث ما يدعوك للظن بأن هجوما بالغازات السامة قد وقع ؟

— قل لى : أمجنون أنت . لماذا تحاول أن تفعل معى . اتظننى ابله !!

— لا ياكابتن . أبدا . ان سبب فرار عمالك أن مهيجا أخبرهم أن هجوما بالغازات قد حدث ، فأدخل الرعب فى قلوبهم ..

— أهذا هو الذى حدث ؟ اننى مسرور لأننى لم أكن السبب . — سأجتهد فى أن أعيد العمال اليك فى ظرف ساعة .

- شكرا . ان هذا ولا شك يريح تفكيرى .
وقال الميجر : ان على ان اشكرك لانهاك هذا الموضوع
بسرعة . ان البحرية تستطيع ولا شك ان تعمل كثيرا متى
أرادت .

وقال اللفتنان : هذا أمر بسيط لا يستحق شكرا . قل لى
مارايك فى الحضور اليوم بعد الظهر لشرب هذا الكأس معى ؟
- لا مانع عندى . والواقع ان عندى مشكلة أريد ان أحدثك
عنها . انك الشخص الوحيد الذى يستطيع ان يعمل
شيئا هنا .

- اننى اكون سعيدا بمساعدتك كلما استطعت . هل انتظر
فى الخامسة والنصف ؟

وقال الميجر : اجعلها الساعة السادسة ، فأنى أشك اننى
استطيع الخروج قبل السادسة .

- فليكن . السادسة . شكرالك اذ أنقذتنى .

- شكرا لك يا كابتن . أنت المنقذ .

وهز اللفتنان ليفن جستون رأسه ، وهو يعيد سماعة
التليفون ، وفكر فى نفسه : ان الانسان لا يستطيع ان يحكم على
آخر من أول نظرة ..

وخرج الميجر الى الشرفة مرة ثانية وقال : عندى أخبار قاطعة
بأنه لم يحدث هجوم بالغازات ولا ينتظر حدوثه ، فأنتم فى أمان
تام .

وسمعت صيحات تشكك !

وقال الميجر : انظروا . اننى أستطيع ان أتنفس تنفسا عميقا
من غير أن أتأثر مطلقا ، فعلاقم باستنشاقين أو ثلاثة غالى فيهما
قدر استطاعته .

وقال أحد الموجودين : من السهل جدا الاستنشاق فوق
الشرفة ... ان الخطر كامن فى الشارع .

وقال الميجر : فليكن . سأنزل الى الشارع معكم وأريكم ...
ونزل الى الشارع واستنشق الهواء بقوة بين الجماهير !!

وكان فاتا فى ذلك الوقت قد اقتنع تحت تأثير زوجته
وأصدقائه انه تسمم بالغازات ، فصاح : اننى مشلول من وسطى
الى أسفل اطرافى .. !

وأجاب الميجر : لا جديد في هذا يا فاتا الكسول . . .
وضحكت الجموع ، فقد بدأوا ينضمون الى الميجر .
وقال أحد العمال : لقد شمتتها بوضوح عند ملتقى شارع بارينو
ودوجانا . . .

وقال الميجر : فليكن . تعال معي . . .
وقاد الجموع الغفيرة في شارع دوجانا الى أن التقى بشارع
بارينو . ووقف هناك عند المنحني ، ثم استنشق الهواء بقوة .
وصاح : أن كل ماشمته هنا هو رائحة سوق السمك التي
تبعد عن هنا بثلاثة أبواب .

وصاح عامل آخر : لقد شمتتها عند ملتقى شارع فيتوريو
عمانويل وشارع فافيمي بقرب الكاتدرائية . . .
وذهب الجميع الى ذلك المكان واستنشق الميجر الهواء بقوة مرة
أخرى وصاح : أن ما شمته هنا هو دخان معمل تكرير الكبريت ،
وإذا نظرت رأيت الدخان الأصفر آتيا نحونا .

وقال آخر : لقد شمتتها في الممر المسمى « بيكولو » . . .
ولكن الميجر أجاب : لن أضيع كل الصباح أشم في هذه المدينة !
لقد اعتدت هذه الروائح . ربما كان ما شمته هو روث الخيل !
وصاح عامل آخر : ولكن مركز الهجوم كان بالميناء . هناك كانت
الغازات فعلا . . .

وذهب الميجر واستنشق الهواء بقوة في مواضع مختلفة في
الميناء ، وكان آخر مكان استنشق فيه بجوار المركب انزيبو ، ثم
قال : والآن ، من منكم الذير يريدون العودة للعمل ؟
وعاد العمال جميعا عدا اثنين . أحدهما الرجل الغريب الذي
اختفى ، والثاني فاتا الكسول . لقد عمل ما يكفي ليوم كامل .

الفصل الثامن والعشرون

كان النفر درجة اولى « أفريت ب • بانتو » كاتباً فى المخازن رقم ٩١٧ فى غرفة فى الدور الثانى فى أحد المباني الملحقة بـلوكاندة « سان جورج » بمدينة الجزائر .

وكان يقرأ خطاباً مرسلاً للشخص غيره ، وقد فتح ظرفه . وكان النفر بانتو يتولى ارسال البريد ، كما كان قبل ذلك يتولى نفس العمل فى « جرينتون » و « فيرمونت » قبل الحرب . وحتى وهو فى جرينتون كان مشغولاً بالطريقة التى تسلكها امريكا فى أنحاء العالم .

وقال بانتو : يا لله ! اننى لا أدرى كيف سنكسب هذه الحرب ؟

وقال الجاويش ولتر فرانك ، وهو كاتب آخر كان مشغولاً بقراءة مجلة كولير المرسلة لغيره : ما الذى يقلقك الآن ؟

وقال النفر بانتو • اصغ لهذا انها تقول : لماذا يا للجنة يجب أن نقدم للضفادع وغيرهم كل ما فى مخازننا ؟ انه يبدو أننا قد لعبنا دور الاب نويل بما فيه الكفاية .. يا عزيزى ...

وقال الجاويش فرانك : يا يسوع ، يا الهى ! ماذا حدث ؟ اننى أكاد أتقيأ وأنا أرى الفرنسيين يقودون سياراتنا فى كل جهة ، بينما أهلنا لا يستطيعون قيادة سيارة الى المخازن للحصول على طعامهم !

- ليس هذا بالموقف الجميل يا ولتر • اليس كذلك ؟ كيف نريدنا أن نكسب أصدقاء فى العالم بهذه الطريقة ؟

- ليذهب الجميع الى جهنم !

- يا لله يا ولتر انها طريقة للحديث تدل على الاثرة !

- اننى أقول ليذهبوا الى جهنم ...

وأعاد النفر برانتو الخطاب الى مظلوفه ، ووضع المظلوف في موضعه من الدولاب ، ثم أخذ أحد كياس البريد من أمامه وقطع السلك الذى يربطها ، ثم أخذ يرتب محتوياته وأغلبها مذكرات ليست موضوعة في ظروف .

ثم قال : يا لله يا ولتر اننا نحن الامريكان نكثر من العمل الكتابي ! انظر الى هذه المجموعة من الجبهة ، حيث المفروض أنهم يحاربون . اننى لا أدري كيف سنكسب هذه الحرب !

وقال الجاويش فرانك في ضيق ، اذ كان يحاول ان يقرأ رواية : وما الضرر من بعض أعمال كتابية ؟

— انظر الى هذه المجموعة . اننا نسنا منتجين . انظر هذا ، انه مفروض انه مرسل الى شخص فى الفرقة التاسعة والاربعين التى هى فى الناحية الاخرى من البحر ، وهى من شخص آخر من الفرقة التسعة والاربعين المقيمة هناك أيضا ، وقد أرسلوه طول الطريق الى الجزائر . أليس هذا فظيعا ؟

وقال الجاويش فرانك مقلدا صوت النفر بانتو : نعم هذا فظيع !

— وماذا أفعل به يا ولتر ؟

وقال الجاويش فرانك بغلظة ماذا يهمنى ؟ يمكنك أن تضعه تحتك !

وقال النفر بانتو بعد أن استرد نفسه : ماذا يا ولتر ! اننى أسألك بجد ماذا أفعل به ؟

— اذا لم يكن مهما فيمكنك أن تلقيه فى سلة المهملات . ذلك مانفعله عادة ..

هل نفعل ذلك حقا يا ولتر ؟

— يا لعنة ! لماذا لانفعل ذلك لقد قلت الآن ان العمل الكتابي كثير . وماذا يضر أن تزيد ورقة أو تنقص ؟

— ربما كانت مهمة !

اقرأها . ما موضوعها لعنة الله عليها !

— انها تقول : " للعلم بخصوص عربات اذانو ... ثم تحدث عن أمر أصدره الجنرال مارفن ، ويبدو أن ميچرا يدعى جوبولو ألقى الامر المذكور أو شيئا من هذا القبيل !

- بخصوص الجنرال مارفن؟ القها في سلة المهملات • ابن
الكلب هذا !

- لا لن أجرا .. واعاد بانثوالمذكرة في كيس البريد لتعود
الى الجبهة ...

وقال الجاويش فرانك : دعنى الآن ولا تضايقنى • اننى أقرأ •
واستمر بانثو يفحص الاوراق، وبعد فترة قصيرة قال :
ياعزيزى ، استمع لهذه ، انها تتحدث عن كابتن أعيد لتصرفه
تصرفا لايلىق بضابط ! ياالله كيف سنكسب هذه الحرب ياعزيزى •

الفصل التاسع والعشرون

وصل الميجر جوبولو الى نادى البحرية ليتناول الكأس الموعودة في الساعة السادسة تماما .

وكان نحو اثني عشر ضابطا جالسين في دائرة في الدور الاعلى من الفيلا التي أعدها كابتن ليفنجستون لتكون ناديا . كان من بينهم ضابط أعمال الميناء ، ومساعدته ، وضابط مواصلات الميناء والالغام والقذائل ، وضابط الشبكة ، وثلاثة أو أربعة رجال منا باخرة التعليم . وكان آخرون من مدمرة قامت بالمساعدة في حراسة بعض البواخر التجارية عبر المحيط . . . وقدم الكابتن ليفنجستون الميجر جوبولو للجميع . ويبدو أنه كان قد ذكر لهم مدحا في الميجر ، فقد كانت ردودهم مشجعة .

— ماذا أقدم لك ؟

وقال الميجر جوبولو الذي لم يكن يحب الشراب : ما عندك ؟
— أكثر ما عندنا ويسكى اسكتلندي وبعض الويسكى الامريكى ، وعندنا زجاجة چن ، وقد أحضرنا القومندان روبرتسون الحاضر معنا زجاجة روم . وتستطيع ان تأخذ بعض النبيذ المحلى ان اردت ، وان كان لا يدخل عقلى لماذا يشربه بعضهم .

وقال الميجر : لنر ماذا يشرب الجميع ؟

وقال اللفتنان : شراب مختلف . اطلب ماتريد . ماذا تقول في كأس من الاسكتلندي ؟

— الذى لديكم منه الكثير ؟

وأفرغ اللفتنان بعض الويسكى الاسكتلندي للميجر . وقد جعله شرابا قويا جعل الميجر يكع عند أول جرعة !

وقال اللفتنان : انك ولا شك تسحر هؤلاء الايطاليين ! كيف استطعت أن تعيدهم للعمل بهذه السرعة هذا الصباح ؟

وقال الميجر : يظهر اننى نوع من الذين ينفخون فى المزمار .
لقد احتجت لان أنفخ من أنفى طوال هذا الصباح !
ثم روى كيف أخذ يستنشق الهواء ليثبت نهم انه لم يحدث
هجوم بالغازات .

وأعجب رجال البحرية بهذه الحكاية ، واعتبروا أن الميجر
جوبولو على حق .

وتحدثوا بعض الوقت فى الطريقة التى يسير بها الغزو ،
وعن مدمرة أصيبت من لغم انساني وعن البحرية الايطالية ، بينما
كان الميجر جوبولو يبدأ شرابه الثانى ، وعن الدور الخطير الذى
يقوم به الاسطول الأمريكى فى العملية كلها .

وقال أحد الضباط : ان اول نزول على البر كان شيئا عظيما
حقا . آلاف البواخر من موانئ كثيرة يعلم الله عددها ، كل منها
تسير بسرعة مختلفة وفى طريق مختلف ، ولا أستطيع ان أتصور
كيف استطاعوا ان يحققوا ذلك ؟

وقال آخر : وسمعت ان كل باخرة كانت فى موضعها المحدد
فى حدود عشر دقائق من الساعة المحددة !

وقال الميجر جوبولو الذى بدأ لسانه يتحرر فى فمه فى شيء
من المرح : أجل ياسيدى اننى أرفع قبعتى للبحرية ! ثم رفع
كأسه .

وقال اللفنتانت كوماندر روبرتسون : يا اله السماوات .
هذا اول جندى من جنود الررايته يقر للبحرية بفضلها !

وقال الميجر : ان البحرية هى الفرع الوحيد هنا الذى
يستطيع ان ينجز عملا . واننى لا أدري ماذا كنت أستطيع ان
أعمل دون صديقنا ليفنجستون الموجود هنا .

وسر ليفنجستون ، ولكنه قال : اننى لم أفعل شيئا
بالميجر ! .

وقال الميجر لللفنجستون : اننى أعرف ما أقول . ثم التفت
الى الآخرين وقال : اسمعوا . اننى كلما حاولت ان أحصل على
شيء من الجيش يطلبون منى ان أقدم طلبى بالكتابة . اما
ليفنجستون هذا ...

وقال ليفنجستون : لقد تذكرت ... انك قلت لى فى
صباح اليوم أن لديك فكرة ..

- الواقع أن عندي موضوعا . حيث أنك تنجح وتنفذ فقد خطر لى أنه ربما ...

وقال ليفنجستون بأدب ولكن بكثير من مظاهر الاهمية : هل تريد ان نذهب للعرفة الأخرى؟

وقال الميجر : لا . ليس هناك سر . يمكننى ان أذكره لك هنا . وروى حكاية الجرس البالغ من العمر سبعمائة سنة ، وكيف انتزع ، ومحاولاته للحصول على جرس غيره . وقد فعل الكأسان اللذان شربهما فعلهما ، فروى حكايته بأسلوب جذاب ، وجعل حاجة المدينة لجرس جديد أمرا هاما جدا ، وصور الجرس لمدينة ادانو كرمز للحرية ، وجعلهم يحسون أن أهل ادانو لن يشعروا بظلم الحرية حقا الا حين يسمعون رنين ذلك الجرس من برج الساعة فوق السراى .

وليس المقصود مجرد جرس ، فقد أخذ يصف ما حسبته الصفات اللازمة فى الجرس . صوت غنى ملء ، ليس به شروخ أو فدغات من أى نوع . وجبذا لو كان له تاريخ يؤثر فى الإيطاليين !!

وقد قيلت حكايته بطريقة أخاذة ، وكان المستمعون فى حالة استعداد للأصغاء . فللبحرية ادراك سريع للتقاليد ، فكل العبث الذى يتمسكون به : كتحية الربع ، والماعز الفضى الصغير للإشارة على من يقدم له الطعام أولا ، وتسمية محكمة الكتابتين «الوقوف أمام الصارى» ، والأوامر الشعرية التى يصدرونها للمساحين .. كل هذه الأمور سهلت على رجال البحرية تقدير فكرة الجرس وحركت عواطفهم .

وختم الميجر جوبولو حديثه بقوله : هذا كل ما فى الموضوع باليفنجستون . اننى أظن ان رغبتى فى الحصول على الجرس لهذه المدينة تفوق أى رغبة لى طوال عمري !

وكان الكوماندر روبرتسون أول من تكلم وقال : يبدو لى ان فى مقدورنا الحصول على جرس .

وقال ضابط مواصلات روبرتسون : ان لدى البحرية اجراسا كثيرة .

وقال ليفنجستون : ولكن يجب ان يكون جرسا مناسباً .

ووقف الكوماندر روبرتسون وقال : دعونى افكر . انه يبدو لى

... وأخذ يمشى حول الغرفة، ثم قال : أظن أنه ربما استطيع أن أحضر نوع الجرس الذى تريده باميجر .

وقال الميجر جوبولو : هل تظن حقا أنك تستطيع ؟

وقال الكوماندر : أظن ربما :

وقال الميجر جوبولو : إذا استطعت فأننى سأتحول الى البحرية !

وقال الكوماندر : ما رايك باميجر ؟ توجد باخرة مدمرة مسماة على اسم مواطن إيطالى أمريكى ، أسمها « الباخرة الأمريكية كوريللى » .. انكم تعرفونها يا أصحاب ؟ حسنا ! . ان بكل مدمرة جرسا من أجراس البواخر ، صوته مرتفع وواضح ، حتى يستطيع الرجال فى جميع أنحاء الباخرة أن يسمعوه ليعرفوا أوقات النوبة لكل منهم . اننى لا أعرف رايك يا أصحابى ، ولكننى أحب أكثر ما أحب فى العالم صوت الجرس الموجود بالمدمرة ستيفنسون . اننا طبعاً لنستطيع أن ندقه طول الوقت والحرب جارية ، ولكننى اعتبر صوت هذا الجرس بمثابة البارجة كلها ، وأظن أن جرس بارجة يصلح كذلك لمدينة .

وكان الميجر جوبولو ينظر من النافذة غارقا فى التفكير وقال : ربما يصلح .

واستمر الكوماندر روبرتسون يقول : ان وجود البارجة « كوريللى » فى هذا الغزو له سببه . ان البحرية تفكر فى أمثال هذه الأمور . فأن هذا الرجل كوريللى الكابتن الذى سميت باسمه قام بأعمال مجيدة فى البحر الأبيض فى الحرب الماضية . لقد كانت إيطاليا فى ذلك الوقت حليفة لنا كما تذكرون .

وقال ضابط مواصلات الكوماندر روبرتسون : لقد كنا نتحدث عن هذا الموضوع ، وكان يسدوان برادشو يعلم كل ما يحيط بدا الأمر . ما الذى قاله يا ريد ؟

وقال الضابط الذى نودى باسم « ريد » : لم أستمع باهتمام ! أظنه ذهب الى نجدة باخرة إيطانية هاجمتها غواصة .

وقال ضابط المواصلات : وأهلها كانت تحاول الفرار منها . اننى أعتقد أن البحرية أرسلت « كوريللى » هنا لأنه كان إيطاليا . وقال الكوماندر روبرتسون : ربما كان هذا هو السبب باميجر .

وقال الميجر جوبولو : ربما كان ذلك هو الصحيح .

وقال الليفتنانت ليفنجستون ، الذى لم يكن يريد أن يضيع السمعة التى ألبسه أياها الميجر جوبولو : هل تستطيع أن تجعل الباخرة « كوريللى » تعطينا جرسها ؟ لقد قلت أنك تحبه حبا جما ، فهل تنزل عنه ؟ .

وقال الكوماندر روبرتسون : لامر كهذا . اذا عرض على بالطريقة المناسبة ، فأظن اننى افعل . ومن حسن الحظ أن توت داوننج قائد الكوريللى كان معى فى الفصل ، وكان يحل محلى فى تيم الكرة . اننى متأكد اننى أستطيع أن اقنعه اذا أمكننى العثور عليه .

وقال ضابط المواصلات : اصبر لحظة . أتذكر اننى رأيت شيئا متعلقا بالكوريللى فى الرسالة التى التقطت والى كانت بالشفرة .. هل تذكر شيئا يا حضرة الربان ؟

وقال الكوماندر روبرتسون نعم . كانت مذكورة ، وسبينة أمكنتها الآن وحرركاتها المستقبلية ، أليس كذلك ؟ هل تستطيع أن تتذكر ما بها ؟

وقال ضابط المواصلات : لا بأسيدى لا أستطيع أن أذكر ، فقد ذكر عدد كبير من البوارج فى تلك الإشارة ، ولكننى أذكر أن الكوريللى كانت مذكورة .

وقال الكوماندر روبرتسون لضابط المواصلات : يافارلى ، هل تسمح بالذهاب للبارجة واحضار ذلك الامر . أظن أنه يحسن أن نقول للميجر من الآن عما اذا كنا نستطيع مساعدته . واذا لم تكن فلك الحرية على الرصيف ويمكنك أن تأخذلنشى . وقال ضابط المواصلات : نعم ياسيدى .

وبينما فارلى فى طريقه الى البارجة والعودة ، تحدث الآخرون فى أشياء جديدة . ولكن الميجر لم يتدخل كثيرا فى المحادثة . كان يفكر . كان يحاول أن يتصور صوت الجرس الجديد ، واجتماع الجمهور فى الميدان سماعه لأول مرة . ورأى نفسه على الشرفة يلقي خطبة قصيرة ، يضع كلمات تتحدث عن معنى الجرس ، ويقول لهم انه يأمل أن يكونوا قد عرفوا الآن معنى الحرية ..

وعاد فارلى والامر فى يده : انه سرى ياسيدى ، أو مايعادل قول البريطانيين « سرى جدا » !

وقال الكوماندرو روبرتسون : ليكن ! وبدأ يقرأ الرسالة لنفسه .
لننظر ! كوريللى ، كوريللى ! هاهى ! وابتنسم .

ثم نظر لاعلى : ياميجر . اظن اننا سنحصل لك على جرسك .
ووقف الميجر جوبولو وقال : بما اسعدنى . لم أتوقع عملا
سريعا كهذا . ان كنت تعتقد أنك تستطيع ..

وقال الكوماندرو روبرتسون : اترك لى الموضوع ياميجر .
سأحصل على جميع التفاصيل من ليفنجستون ..
والتفت الميجر جوبولو للفتنان لى ليفنجستون وقال له . لست ادرى
كيف اشكرك !

وقال ليفنجستون : ان ذلك كله من عمل الكوماندرو ، ولكننى
مسرور من ان الامور سارت على ما تهوى .
وانصرف الميجر جوبولو فجأة .

وقال الكوماندرو روبرتسون : اذا كان صاحبنا يعتقد ان البحرية
قادرة على التنفيذ حقا ، فسيندهش هذه المرة حقا . فسوف
نحصل له على ذلك الجرس فى مدى اسبوع . ان الكوريللى
ستمّر بعد غد على ذلك الميناء القريب من هنا ، الذى يبدأ
اسمه بحرف ف والذى لا ادرى كيف أنطقه !

وقال اللفتنان لى ليفنجستون ، دون ان يحسن نطقه : « فيشيننا
مارى » .

وقال الكوماندرو : هذا هو المكان . سيكون عندنا الوقت
للذهاب الى هناك بينما هذه البواخر تفرغ حمولتها ، وربما
استطعنا ان نحضر الجرس معنا .

وقال اللفتنان لى ليفنجستون : هل تظن حقا أنك تستطيع ان
تحصل عليه ؟

وضحك الكوماندرو : من توت داوننج ؟ هذه بسطة من البساطة .

الفصل الثلاثون

نمت فكرة اقامة حفلة تكريم للميجر جوبولو بطريقة خاصة .
نبتت اولاً بسبب الحب الذى يشعر الناس به نحو الميجر .
ولكن الباعث كان يحوى ضمن ما يحوى رغبة الكابتن بيرفيس
فى ان يمضى بعض الوقت مع احدى بنتى توماسينو !

ذهب جيوزيبى المترجم ليقابل الكابتن بيرفيس فى مركز
قيادة البوليس الحربى ، فقد كان جيوزيبى يحرص على
صداقة الميجر والكابتن ، وسأله : كيف الاحوال يا كابتن ؟

وقال الكابتن : عال !

- هل تحب ادانو ؟

وقال الكابتن : جداً ،

- هل ترغب فى شىء من التسلية ؟

- ومن الذى لا يرغب ؟

- لماذا لم تعد تذهب لرؤية فرنشيسكا ؟

- وما الفائدة من الذهاب هناك يا جيوزيبى ، فإن الأسرة

لا تتركنا أبدا !

- لست متأكد من ذلك . انك لا تبذل جهدك بالقدر الكافى .

- ومع ذلك فالميجر مغرم بالشقراء ، وهو رجل طيب ، ولا

أريد أن أخلق له متاعب .

- كيف تخلق له متاعب ؟ انك تبذل جهدك نحو فرنشيسكا .

- لا يا جيوزيبى أننى أظن أن الميجر جاد فى أغراضه . لا أدرى

على التحقيق لانه لم يقل لى شيئاً ، ولكن احساسى كذلك . أننى اذا

درت حول هؤلاء البنات فأنما أرمى الى الصيد . لا . لا أظنها

فكرة موفقة .

- هل تقصد أن تقول ان المستر ميجر قد وقع في الحب ؟

- لا أدري . ربما ؟ هذا ما أظنه .

- ولماذا ؟ ألا يمكن أن يتسلى الانسان دُون أن يقع في الحب هكذا ؟

- لا يبدو لي أن التسلية ممكنة مع وجود عائلة بأكملها ، وفيها أنت يا جيوزيبي ، حولنا ، ومع أكل تلك الحلوى الفظيعة ، والسيدة العجوز جالسة أمامنا . لا يا جيوزيبي اذا أردت أن أتسلى مع فتاة فأننى أفضل أن أكون فى خلوة !

- يستطيع جيوزيبي أن يرتب ذلك .

- أشك فى استطاعتك !

- لا بأس سيرتب جيوزيبي ذلك . أننى أقول لك شيئا . ان هذه الفتاة من بنات توماسينو ، أنها لاتدقق كثيرا . . انهن ثلاثتهن لا يدققن كثيرا . أنك تعرف الطفلين اللذين بالمنزل ؟

- تقصد البنيتين الصغيرتين بالمنزل ؟

- وهن جيوزيبي رأسه : أنهما للأخت . أنها كما تعرف ! وغمز جيوزيبي بعينه .

- تريد أن تقول أنها تقوم بالغسيل ، وأن ذلك ليس كل شيء ؟

- انها فتاة طائشة فى روما ! وهن جيوزيبي رأسه وغمز بعينه فى نفس الوقت .

- ان فرنشيسكا ليست مدققة ، وتينا كذلك . انكم تستطيعون أن تتسلوا كثيرا !

- كيف ؟ ماذا تستطيع أن تعد لنا يا جيوزيبي ؟

- نعد حفلة .

- سنذهب أيضا جموعا عديدة . لا . لعنة الله . أننى أريد خلوة .

- وما قولك فى الميجر ؟

- أجل . لا بد من ادخاله فى حسابنا يا جيوزيبي . أنه شخص غريب . أننى فى بعض الاحيان أظنه خرقة مبللة ، وفى بعض الاحيان لا أستطيع الا أن أعجب به . لقد كان يقول لى منذ بضعة أيام ونحن نتناول الغذاء : أن الشيء الوحيد الذى يسعى اليه

هو أن يجعل هؤلاء الايطاليين يحبونه • أتدري ما الذى أظن أنه يجب علينا عمله ؟ أظن أنه يجب أن نقيم له حفلة • أو على الأصح نعمل حتى نحمل هؤلاء الايطاليين على أن يقيموا له حفلة ! ولم يكن الكاتبن بيرفيس ينظرالى جيوزيبى على أنه ايطالى لانه كان يتحدث بالانجليزية •

- سوف يرتب جيوزيبى ذلك •

- أريد حفلة حقيقية يا جيوزيبى ، يحضرها أشخاص كالعمدة ، وذلك الرجل العجوز منتج الكبريت ، وبعض الفتيات الجميلات طبعاً •

- سيرتب جيوزيبى ذلك •

- وإذا كانت عندنا حفلة كبيرة حقاً ، فإن أحد الكاتبن واحدى الفتيات يستطيعان أن يختفيا عن الانظار • ألا تظن ذلك ؟ وغمز جيوزيبى بعينه مرة أخرى •

- هذا هو الذى أكرهه فى الحفلات الصغيرة • إذا خرج انسان لاحظ الجميع خروجه • لا بد أن نعمل حفلة كبيرة لنغير من الحالة •

وقال جيوزيبى : كم شخصاً تريد يا كاتبن ؟

- لا أدري : يمكنك أن تجمع بعض هؤلاء الايطاليين معاً وتقرر • اننى أستطيع أن أضع تحت تصرفك أى مبلغ تريده • ونستطيع أن نقيمها فى فيلا كواتروتوشى • ففيها غرف اضافية كثيرة ، وبها أسرة للنوم ، يا جيوزيبى !

وفى هذه المرة كان الدور على كاتبن بيرفيس ليغمز بعينه • وسأل جيوزيبى : متى تريد الحفلة ؟

- بأسرع ما يكون • ما قولك فى الجمعة المقبلة ؟

- سيرتب جيوزيبى ذلك •

وهكذا حدث أن تسلم الميجرجوبولو بعد يومين أو ثلاثة فى بريدته دعوة مكتوبة بالايطالية تقول :

« لجنة من أهالى ادانو تتشرف بدعوتكم لحفلة تقام لتكريم صاحب السعادة المستر ميجرفيكتور جوبولو فى مساء الجمعة ٢٩ يوليو الساعة الثامنة والدقيقة الثلاثين بفيللا روسا ٧١ شارع أمبرتو الاول » •

ووضع الميجر جوبولو الدعوة على المحبرة أمامه على مكتبه بحيث يستطيع قراءتها ، وكثيراً ما كان يفعل : « حفلة تكريم لصاحب السعادة »

الفصل الواحد والثلاثون

فى يوم الافراج عن الاسرى كانت الشمس زاهية وبدت اذانو
فى أحسن حلتها •

وكانت عربة تنظيف الشوارع التى أعدها الميجر جوبولو قد
انتهت من كنس شارع امبرتو الاول ، وانحنت الى شارع
فيكتوريو عمانويل ، ومعها رئيس قسم نظافة الشوارع سايتا
يلمع فى بذلته البيضاء جالس على عجلة القيادة • وهكذا كانت
أحجار الرصف تلمع من غسلها بالماء • وذهبت رائحة بول
الحيول وروثها فى الهواء •

لقد كان يوما جميلا لعودة الاسرى الى بيوتهم •

وسار الاسرى المفرج عنهم جماعات فى شارع امبرتو الاول •
وكانوا يرتدون ملابسهم الرسمية ، ولكنها كانت متسخة لنومهم
بها على الارض • وكان كثير منهم قد طالت شعورهم ولم يحلقوا
ذقونهم •

ومروا على مخبز زابولا فى طريقهم ، وعندما اقتربوا من الميدان
كان بيد كل واحد منهم نصف رغيف • • وأخذوا يغنون
وبتصايحون وهم يسرون : الى الوطن • الى الوطن !

لم يكونوا يسرون فى صفوف منتظمة ، فقد شبعوا من الوقوف
صفوفا ، للتفتيش ، وللطعام ، ولإطلاق النار ، ولتلقى طلقات
الرصاص • لقد كانوا مجرد مجموعة من الشباب يسرون فى
شارع امبرتو الاول متجهين لمنازلهم • كان فى حلق بعضهم
ضحكات ، وفى حلق البعض الآخر دموع •

ان • فى أغلب الرجال فى الحروب أن يعودوا لمنازلهم • وكانت
الحرب البغيضة فى نظر هؤلاء الايطاليين قد انتهت ، وكانوا
مسرورين بدرجة غير معقولة وهم يسرون فى الشوارع • وقد
اتسعت فتحات عيونهم كما يحدث للأطفال حين يبدون

الاهتمام بأمر من الأمور • لاحظوا أن بيانات موسولينى المتعجرفة
قد محيت من على الجدران • لاحظوا أن الشارع نظيف •
وطعم الخبز فى فمهم الذ من ذى قبل • وما كادوا ينحرفون
الى شارع امبرتو الاول من شارع فافيمى حتى سمعت أذانهم صوت
امرأة تغنى • فلم يعد روث الخيل بغیضا لانوفهم ، بل كان على
العكس جديدا ومنعشا فى ریح الصباح •

ولقد كانت العودة الى المنزل جميلة ومحببة فى أى يوم ،
ولكنها كانت أفضل فى هذا اليوم • وأخذوا يغنون ويصيحون :
الى الوطن • الى الوطن •

ولم يكن قد أعلن من قبل عن اخلاء سبيل الاسرى فيما عدا
ماكان الميجر جوبولو قد ذكره لتيينا ، ولم تكن هى قد تحدثت
فى الامر مع أحد • ومع ذلك فقد انتشرت الاشاعة قبل اقترابهم
الفعلى كما تهب الريح قبل وصول السحاب •

فقد سمع نساء فى أقصى المدينة صوت اقتراب الاسرى ،
وفهمن بالسليقة معنى تلك الاصوات • وزعنن ينقلن الخبر
لغيرهن من النسوة • • وآهه الواقفون على الرصيف أمام السراى
يدخلون شارع فافيمى من شارع امبرتو الاول ، وبدلا من الاندفاع
فى الطريق نحوهم كنمواعوا طفقهم ، وجروا ينقلون الخبر
السار الى أصدقائهم : « لقد عاد رجال ادانو الى منازلهم » •

وعندئذ تجمع على الرصيف النساء اللاتى سمعن الاصوات ،
واللاتى رأين الرجال بالفعل يقتربون ، واللاتى أبلغن بالخبر ،
تجمعن جميعا على الرصيف أمام السراى وأخذن يراقبن مرورهم •

ان الحرب فظيعة عند الرجال وهى ليست أقل فظاعة عند
النساء ! • لطالما تألم النسوة فى أسرتهن ينتظرن عودة
رجالهن ! وانقبضت صدورهن من ألم الانتظار ورغبة الاجتماع
برجالهن • ومرت أيام لم يكن هؤلاء النسوة يتلقين خطابات من
رجالهن ، ثم يعلمن من حديثهن مع صديقاتهن أن الصديقات
تسلمن خطابات ، فكانت تمر بهن أيام سوداء • ومنهن من كانت
أطفالهن لا يكادون يحسنون نطق الالفاظ ، يسألونهن فى خجل
واستحياء والخوف يملا العيون : « بابا ؟ أين ذهب بابا » ولم يكن
يجدن اجابة الا احساس الألم يحز فى الصدور •

لقد عاشت النساء الواقفات على الرصيف أياما مخيفة ،
خشين فى كل يوم منها أن يكون رجالهن قد أصيبوا أو هلكوا •
والنساء اللاتى كن يناقشن أزواجهن ولا يصبرن عليهم

حين كانوا فى أمان عندهن . . نسين المناقشات ولم يعدن
يذكرن الا محاسن أزواجهن . لم يعدن يذكرن الا الاستيقاظ
فى منتصف الليل من رجل ينسل الى السرير فى غير خفة ، ويضحك
وهو يلقي برأسه للخلف ، وتفوح منه رائحة الدخان أو صوت
النبيذ وهو يتدفق من زجاجة فى الكوبه .

ووقفت النساء على الرصيف أمام السراى ، وقد وُضعن أيديهن
على حلو قهّن ، أو أمسكن بخصلات شعورهن المرسلة . ورأى الرجال
فى سريرهم بالشوارع النساء وهن واقفات ، فلم يجروا نحوهن ،
فقد كانت سعادتهن مريعة ، ولذلك مشوا فى هدوء الى حيث
نساؤهم .

ولما بلغ الرجال مسافة خمسمائة متر من مكان النساء ، بدأ
النساء يتحركن فى اتجاه الرجال بحركة بطيئة بادية الامر ،
والقدم تنسحب على الرصيف . ثم تقدمن عندما امتدت الاعناق
وحذقت العيون ، ومشين ، ثم جرين ، وهن يتصايحن بأصوات
غير ذات معنى .

ولم يجر الرجال . . ولكن النساء جرين نحو الرجال ، وكان
الفريقان متساويين سعادة . ولكن الذى حدث أن أغلب الرجال
كانوا يعلمون أن نساءهم سيكون فى استقبالهم ، بينما لم تكن
بعض النساء متأكدات من أن رجالهن سيكونون بين القادمين !
كان ذلك هو الفرق . ولذلك جرى النساء نحو الرجال .

وكان بين النسوة من علمن أن أزواجهن قد توفوا . وجرين
لمجرد الاشتراك فى سعادة الاخريات ، أو مجرد الشك عند
بعضهن ! لقد كان الشك على كل حال أفضل مما كن فيه .

وكانت تينا احدى أولئك النسوة . لقد كانت تنتظر هذا
الحادث من وقت أن تحدث اليها الميجر فى الامر ، وأعدت نفسها
له . لقد كانت احدى النسوة اللاتى أخرجتهن من بيوتهن
الضجة التى نشأت من مجئ الرجال .

لقد كانت مرتدية أجمل حلتها ، حلة زرقاء أرسلتها الاخت المرحه
من روما . وكان شعرها قد سرح حتى أصبح لامعا وبدت شقرته
كانها حقيقية . ولقد جرت مع الاخريات ، وأخذت عيناها
تفحص الرجال بدافع من الحنان والخوف . وأخذت تدفع الصفوف
التي أمامها لتستطيع أن تنظر .

وما من شك فى أن الميجر جوبولو كان موجودا بالشارع .
لقد أراد أن يشهد ويتذوق سعادة أهالى ادانو . وكان هناك أيضا

ليشارك في البحث الذي دفع بتينا الى الامام . لقد كان هو الآخر يتساءل عما اذا كان جورجيو بين العائدين .

وعندما بدأت ضجة الرجال التي سهل عليه سماعها من نوافذ مكتبه ، أسرع بالنزول الى الشارع ، وأجد في سيره حتى بلغ الى الاسرى قبل تحرك النسوة ، فوصل الى الاسرى عند مابدات النساء تجرين .

وعندما رأى الرجال الميجر صاح بعضهم : « الامريكي الامريكي » ، وجروا نحوه ، واحتضنه البعض منهم ، وقبله البعض الآخر ، وعلق فتات الحبز على وجهه عندما تركوه .

وهذا مظهر من مظاهر سخافة الحرب ! فقد مرن هؤلاء الرجال واختيروا ودربوا ليرتكبوا أفظع أنواع الجرائم ، وهو القتل ، وهم مع ذلك يظهرن محبتهم لنوع الرجال الذين خرجوا من منازلهم ليقتلوهم .

واقتربت النسوة ، وعرف بعضهن رجالهن وأصرن بتصايحن بأسمائهن بأصوات ترتعش .

وأخيرا جرى الرجال بدورهم ، ولم يكن أمامهم الا عشر خطوات . واختلط الجمعان . وكان منظر اجنونيا في أول الامر : فالزوجان اللذان التقيا تعانقا ، وبعضهم تملكه الضحك ، وتملك البكاء البعض الآخر ، ومنهم من كان يهمس ، ومنهم من كان يصرخ ، وتوالت الهزات والربت على الاكتاف .

وكان بعض النسوة اللاتي مات أزواجهن يقبلن أول رجل قابلنه ، لمجرد تذوق القليل من ذلك الاحساس الذي طالما قنينه ، ولكن الرجال أبعدوهن وذهبوا يبحثون عن زوجاتهم .

وبدأ ظهور النساء اللاتي لم يجدن رجالهن ، فقد صرن يجرين بسرعة ، من زوجين لزوجين ، يكررن الاسم ويسألن ويحدثن مرتين وثلاث مرات الى الاوجه التي سبق أن رأيتها ، لمجرد التأكد . وأخذ الاصفرار يعلو وجوههن شيئا فشيئا ، ثم بدان البكاء ! ومن الغريب أن أغلبهن لم يصرخ ولم يولول ، بل بكين في صمت والدموع تجري على خدودهن .

ولم تحتج تينا للجرى من زوجين لزوجين . لقد كانت واقفة بجوار الميجر عندما اكتشفت . . . لقد ترك شاب امراته وتقدم نحو تينا ووقف أمامها وهز رأسه . كان ذلك كل ما استطاع أن يفعل . . . وفهمت تينا .

ونسى الميجر جو بولو كل التعليمات التي وضعها في مذكراته ،

«من جوبولو الى جوبولو» ، فيما يختص بالسلوك أمام الناس ، فتقدم وأخذ يد تينا في يده ! لقد كانت يدها باردة ومسترخية في يده ، وبدت كأنها لا تحس بأنه بجانبها .

وسألت تينا الشاب : ما الذي حدث ؟

وقال هو : سأقول لك فيما بعد يا تينا ، ولكن أرجوك ليس في هذه اللحظة ..

وقال الميجر جوبولو للشاب : سنتناول الغداء معا في مطعم « بسكاتوري » .

ولم ينظر الشاب بعينه الى الميجر جوبولو ، واكتفى بأن قال : أحضر تينا في الساعة الثانية عشرة ، وسأقول لها عند ذلك كل شيء ، ثم قبل تينا على خدها .

وجعلت القبله تينا تبكي ، فأخفت وجهها بين يديها ، واهتزت في صمت .

واستمرت الجموع متكاثفة زمنا طويلا . وبقي الرجال في الطريق العام يروون أخبارهم . وانضم كل زوجين . فأصبحوا أربعة ، وانضم الاربعة لاربعة آخرين ، حتى كونوا حلقات ضاحكة ، بينما انصرف النساء اللاتي لم يعثرن على أزواجهن فرادى . وأسرع بعض الرجال مع نسائهم يتعجلون أن يصبحوا آباء . وانضم للجموع الكسالى والفضوليون ممن تأخروا عن الركب . وبدأت لورا صوفيا ، الفتاة العانس ، تمر بين الجموع على أمل أن الحرمان الذي سببته الحرب للرجال يفيدها ، ولكنها لم تجد حظا .

ولم يتعجل الميجر جوبولو تينا ، بل تركها تبكي حتى توقفت دموعها ، وجفت عيونها ، وكان يلمسها طول الوقت اما بوضع يده على كتفها ، أو بلمس ذراعها العاري بظهر يده يريد أن يدلها على أن انسانا بجوارها !

وأخيرا أخذ الميجر تينا الى منزلها . وقبل الثانية عشرة بقليل ذهب لياخذها ، وكانت قد استردت روعها وقد احمرت عينها ولكنها سيطرت على أعصابها .

وودعها الى مطعم بسكاتوري ، وكان صديق جورجيو فيقولو قد وصل ومعه صديقه . وقد أبدل فيقولو ملابسه بملابس مدنية . وبعد دقائق من انضمام تينا والميجر الى فيقولو وصديقه أقبل الكابتن برفيس . ولما كان يتناول غداءه ، عادة ، مع الميجر ، كان طبيعيا أن ينضم الى الجمع وان أسف الميجر بعد ذلك .

وأكلوا فى صمت فترة من الزمن . وسألت تينا نيقولو عن الاحوال ، وكيف كانت ، فقال انها لم تكن سيئة . وسأل الكابتن بيرفيس الميجر عن المكان الذى كان يخفى فيه هذه العصفورة ، وحاول أن يشاغلها قليلا ، كما حاول الميجر أن يبدى اهتماما لنيقولو ليخفف مضايقته من الكابتن . وكانت المحادثة فى مجموعها لا تكاد تذكر أو خالية من كل مغزى . وانتظرت تينا حتى حضرت الفاكهة ، وقالت قل لى يانيقولو عما حدث .

وكان نيقولو ينتظر أن تفتاحه هى ، وقال : لم يكن ما حدث جميلا ياتينا . ان الحرب ليست جميلة أبدا . وقالت تينا : اننى أعرف ذلك ، ولكن اذكر لى ما حدث بتفاصيله .

وقال نيقولا : سأروى لك ما حدث ياتينا ، كما أذكره ، ولن أستطيع أن أكذب عليك ، فانها لم تحدث بطريقة لطيفة ! وقال الميجر جوبولو : انها لاتبدو جميلة أبدا . وقال نيقولو : انها ليست جميلة أبدا .

وقال الكابتن بيرفيس الذى لم يكن يتكلم الايطالية : لعنة الله، عم تتحدثون بالايطالية ؟ الا تشركوننى فى الاخبار السارة ؟ وقرر الميجر جوبولو أن من الافضل تجاهل وجود الكابتن . وحاول الكابتن أن يغمز بعينه لصديقه نيقولو . وقالت تينا : هل سأل عني يانيقولو ؟ وقال نيقولو : يحسن أن أبدأ من البداية . وقالت تينا : فليكن .

وحقق نيقولا الى وجه الميجر جوبولو وقال : سوف ترى ان ما حدث لجورجيو كان أمرا معقدا جدا . لقد كان مرتبطا بما شعرنا به نحن الايطاليين ازاء الحرب هذه ، وأظن ازاء ما يحس به أى انسان نحو الحرب أو حتى نحو مباراة يحسب أنه يجب أن يكسبها . سوف ترى . لقد كانت معقدة ! وقال الميجر جوبولو : سأفهم ما تقول ، فان أمي وأبى جاءا من فلورنسا .

ومن الغريب أن تينا قالت : سوف يدرك ما تقول . وقال نيقولو : لست أدري ان كنت أنا نفسى أفهم . لقد بدأت

المعركة من أجل مدينة بيجا في تونس . لقد كانت نوعا من العدوى كشيء يحس به الجندي في معدته ، بينما هي في الحقيقة في القلب ! لقد انقلبت قلوبنا جميعا تلين ، وانتهت الحرب بالنسبة لنا ، مع أنه كان المفروض أننا لانزال نحارب . لقد كانت المدفعية هي السبب !

وقالت تينا : هل سأل غني بانيقولو ؟
وتعمد نيقولو ألا يظهر أي عطف ، وقال : يحسن أن تتركيني أروى ما حدث من البداية ياتينا . أن ذلك يكون أفضل .
وقالت هي : ليكن .

وقال نيقولو : لقد كانت المدفعية مريعة . أنهم يقولون أنك تتوقف لحظة عن الحياة حين تعطس . وإذا انطلقت قنبلة بجوارك تحس بنفس الاحساس ، وحين تخرج من هذا الشعور تحس أنك مت فعلا لحظة من اللحظات . ولا تستطيع أن تموت هكذا عدة مرات في اليوم الواحد ، يوما اثر يوم ، وتبقى كما أنت . فكر ماذا يحدث لو أنك تعطس عشرين مرة في الساعة لاربع وعشرين ساعة متوالية ، يوما بعد يوم ، ولايام لانهاية لها . ان هذا يكون فظيحا مع أن العطس لا يكاد يخيف !

وقال كابتن بيرفيس : ماقولك ياكوتي في أن نرقص ؟ ولكن صديقة نيقولو كانت تصفي لروايته . وقال الكابتن : لعنة الله ! وأظن أنه يجب أن آخذ درسا في الإيطالية . أعطني النبيذ من فضلك ياميجر .

وقال نيقولو : لقد تغيرنا كلنا فيما عدا جورجيو .
وتنفست تينا بشدة حين سمعت الاسم .

وقال نيقولو : لقد اعتاد جورجيو أن يجادلنا . وكان يقول أنه يجب أن نستمر في القتال حتى نهلك ، وتحدث عن شرفنا . وكان يقول انه ولو أن الحرب تجعلك تعتقد أن الانسان مجرد حيوان فيجب أن تذكر أن الحيوانات نفسها كثيرا ما يحارب بعضها بعضا حتى الموت . وأذكر أنه كثيرا ما كان يقول : هل حاولت أن تتصور لماذا يحارب كلبان أحدهما الآخر ؟ والتفت نيقولو الى الميجر وقال : هل حدث أن فكرت في هذا ياسيدي ؟

وقال الميجر : لا . لم أفكر ! وقال نيقولو : انه موضوع يستحق التفكير !

وقالت تينا : هل تحدث غني ؟

وتجاملها نيقولو وقال : أنك اذا فكرت في الكلاب . وجدت للحرب معنى . وعلى كل حال فقد كان جورجيو مثابرا ، وكنت معجبا به لذلك ، وان كنت كثيرا ما جادلته ، وكنت أعتقد أنه يجب أن نسلم أنفسنا ، ولكنه ألح لدرجة أنه جعلني أساعده في قتل اثنين من الالمان وارتداء ملابسهما . وعدنا الى صقلية على معدية ألمانية . وقد احتطنا حتى اخترنا المانيين تنطبق مقاييس ملابسهما على جسمينا ، وقد حملني جورجيو على أن أعمل ذلك العمل معه خشية القبض عليه .

وتكلمت صديقة نيقولو للمرة الاولى : أوليتنا نبا آخر ليلة قبل ترككم تونس .

وقال نيقولو : نعم . قبل قتلنا للمانيين أردت أن أعدل . لقد كنت خائفا . أردت أن أقول له ان قتل الالمان ليس عملا شريفا ، ولكنه قال أن شرف الانسان في الحروب لا يقاس بالمدايات والأوسمة ، لانها تمنح دون حق ، ولكن بقدر ما يؤديه من خدمات لأمته . وقال ان قتل المانيين يساعد ولا يضر ايطاليا (وربما كان يحسن تبعا لما جرت عليه الامور لو أننا قتلنا عددا أكثر) وأن أفضل ما نعمله هو أن نحافظ على أنفسنا لمعركة وطننا الآتية . ولذلك انسحبنا الى كشك ، واخترنا المانيين قتلناهما في هدوء بطريقة علمني اياها جورجيو ، وعدنا الى صقلية .

وقال الميجر : ألم تجدنا متاعب على المعدية الألمانية ؟ هل تتكلمان اللغة الألمانية ؟

وقال نيقولو : لقد كان جورجيو يعرف قليلا من الألمانية ، وعلى كل حال فقد دخلنا المعدية مع وحدة مهندسين أرادوا انقاذهم ، فشحنونا في المعدية معهم من غير أن يوجهوا أية أسئلة .

وسأل الميجر جوبولو : هل هو جتتم في الطريق ؟

— لقد سرنا بالليل ، وكانت رحلة لعشر ساعات فقط ، وقطع الالمان شوطا كبيرا بالليل من غير أن يهاجموا .

وقال الكابتن بيرفيس : يا ميجر ، هل ستبقى هنا تتحدث بالايطالية مع هؤلاء الناس طول اليوم ؟ ما قولك في أن تترك لي هذه العصفورة الصغيرة ؟

وقال الميجر : انه يحكى حكاية يا كابتن .

وقال الكابتن : ليذهب في داهية أننى لم أعد أطيعه • والذي أريد أن أعرفه الآن هو أين كنت تخفى هذه القطعة الفنية ؟ وتجاهل الميجر جوبولو الكابتن ، وتناول الكابتن كمية أخرى من النبيذ •

وقال نيقولو : ومن سخرية القدر أن المعديّة أنزلتنا الى البر على الشاطئ ، بقرب أدانو !

وقالت تينا : ولماذا لم تحضروا للمنزل ؟ لماذا لم يحضر هو الى عندئذ ؟

وقال نيقولو : ولكن كل الفكرة من عودتنا كانت أن نستمر فى الحرب • لقد حولنا أنفسنا الى فرقة بالتول فى هذه الناحية من « فيشينى مارى » ، لقد كانت فرقة الجنرال « أباديسا » • وسقطت تونس فى ذلك الوقت ، ولذلك هنتنا لهروبنا ورقونا الى جاويشية • وكان جورجيو عظيما فى تلك الايام قبل الهجوم على صقلية • كان أغلب الجنود يتظاهرون بالمقاومة ثم يستسلمون • أما جورجيو فكان يتحدث طول الوقت عن الضيق الذى كانت تعانيه ايطاليا زمنا طويلا ، وكان يتكلم عن « غاريبالدى وماتزينى وكافور » ، وعندما كان لرجال يقولون ان ايطاليا قد غلبت ذكر بريطانيا بعد دنكرك • وانى لأذكر ليلة كان يجادله فيها ثرثار بليغ ، وقال له ان الفاشستية ضارة ، فلماذا نحارب من أجلها ؟ وقال له جورجيو : اذا كانت الفاشستية ضارة فلماذا لم نحارب ضدها خلال واحد وعشرين عاما ؟ •

وقال الميجر : وهل كان جورجيو فاشستيا ؟

وغضبت تينا ونظرت اليه وقالت : انه لم يكن أبدا •

وقال نيقولو : لا • وهذا هو الغريب فى الامر • لقد أدخل السجن مرارا فى أدانو هنا لغير ذنب خاص الا كراهيته للفاشية • ومع ذلك عندما أدخلنا موسولينى الحرب فى عام ١٩٤٠ كان من أوائل من انضموا للجيش !

وقالت تينا : ولكن ما الذى حدث ؟

وقال نيقولو : سأصل الى ماتسألين عنه • لقد حارب الجنود بغير عزم على الشاطئ ، كما تعلمون ، وارتدوا الى مارينستا • • لقد كنا فى ليلة الرابع عشر من يوليو • وأشيع أن الأمريكان سيبدأون هجومهم فى الصباح التالى • وكنا معسكرين فى حديقة فيلا شرقى المدينة • وبمجرد أن وصلت أنباء الهجوم جن الرجال ،

ودخل مجموعهم منهم الى الفيلا ودلفوا الى الكرار وعادوا يحملون كمية من النبيذ .

وعندما سمع الكابتن برفيس كلمة نبيذ بالايطالية ، قال : ليحى النبيذ . هذه كلمة ايطالية افهمها حقا . قل لى ياميجر : كيف يقال فى الايطالية الكلمة التى نبدوها بحرف الفاء ؟ بودى لو أعرف اذا كانت هذه الدمية تفهمها !

وتجاهل الميجر جوبولو الكاتن . وقال نيقولو : وأخذ الرجال يحتسون النبيذ ، وقالوا أنهم سيقعون أسرى فى الصباح ، وأن الحرب قد انتهت بالنسبة لهم ، فلماذا لا يمرحون ؟ وسكر نحو عشرين منهم سكرنا بينا ، وأخذوا يقذفون الحائط بالزجاجات . وغضب جورجيو ، وقال انه سوف يضع حدا لعبثهم ، وحاولت أن أقنعه بأن يعدل لأن الرجال فى درجة من السكر لا تترك مجالا للاقناع !

وبدا الميجر جوبولو يتصور ما يكون قد حدث لجورجيو ، وقال : هل تظن أن من الخير أن تخبر تينا ببقية الحكاية ؟

وقال نيقولو : أننى مطالب من أجل جورجيو . لقد قلت لتينا ان الحادث لم يكن جميلا !

وقالت تينا : نعم يا نيقولو استمر .

ولكنها لم تتصور - كما تصور الميجر - ما هو آت !

وقال نيقولو : لقد حاولت أن أمنعه ، ولكننى لم يكن لى أى تأثير فى ارادته ، ... لقد كان أقوى منى . وجرى الى حيث كانوا يقذفون الزجاجات ، وكانوا قد أوقدوا نارا مخالفتين كل القواعد ، ووقف جورجيو بجوارها حيث يستطيعون رؤيته ، وصرخ فيهم . لقد كان كل واحد من هؤلاء الرجال قد شرب زجاجة واحدة ، ولكن الخوف أفقدهم صوابهم ، وكذلك الخمر ، وكان الواحد منهم يقف ويصيح : الى جهنم ابن الضفدعة «موسولينى» ! ويقذف بالزجاجة كما لو كان يقذف بها موسولينى . ثم يقوم الثانى ويصيح : الى جهنم الكلبة المتهيجة «ادا شيانو» ، ويضحكون جميعا ، ويقذف هو بالزجاجة . وصاح جورجيو ، ولكنهم لم يسمعوه أو لم يريدوا أن يسمعوه ، وتهيج هو ، ولا تنسوا أنه ذاق الكثير ...

وبدأت تينا تتصور ما هو آت ، ووضعت يدها على فمها ، واتسعت حدقتها ..

وقال نيقولو : وجرى جورجيو الى الحائط ، الى المكان نفسه الذى كانوا يقذفونه بالزجاجات ، وصاح : توقفوا ، توقفوا ، انكم خونة . بحياة مريم أم المسيح توقفوا !! وادى مجرد وجوده فى ذلك المكان بالسكارى لأن يتوقفوا ، ولكن أحدهم صرخ - كما لو كانت نكتة كبيرة - أليس هذا الواقف هناك هو بنيتو موسولينى ؟ وضحكوا جميعا ، وصاح آخر : نعم ! لقد جعلته الحرب يضمر ! وضحكوا ضحكة أخرى . وصاح أحد المجانين : أنتى أبغضه ! أبغضه ! وقذف بزجاجته جورجيو ...

وحنت تينا رأسها ، وقالت فى هدوء : لا . ليس هكذا . ليس هكذا !

وقال نيقولو : لم تصبه الزجاجاة الأولى ، ولكنها اصطدمت بالحائط وأصابت شظاياها جورجيو ، ورأيت الدم يسيل على وجهه . ولقد كان شجاعا يا تينا ! أنك كنت تفخرين به ، فانه لم يتحرك !

وقالت تينا بحنان : نعم أنتى فخورة ! نعم ، نعم .

وقال نيقولو : وصرخت فيه ليستعد ، ولكنه أبى ، وصاح فى الرجال : يجب أن نحارب . أن انفرصة الوحيدة لامتنا هي أن نسقط فى المعركة . فرصتنا الوحيدة كرجال أن نموت فى المعركة . وعند ذلك تقدم الرجال كل بدوره ، وأخذوا يقذفونه بالزجاجات ! لم يعودوا ضحكوا ، فقد لمس جورجيو موضع الادانة فيهم ، وقرروا أن يقتلوه . وكانوا على درجة من السكر لا ادرى كيف استطاعوا معها اصابته ! ولكن الرجل الثالث أصابه فى كتفه . ولم تنكسر الزجاجاة ولا أوقعته ، ولكنها لا بد قد ألمته ألما فظيعا . ولكنه استمر بصرخ محاولا الوصول الى عقولهم ، ولكنهم كانوا قد فقدوا كل تعقل !!

وقال الميجر : لا بد انها كانت معركة مريعة ..

وقال نيقولو : وبعد أن أصيب للمرة الأولى أخذ صياحه يعلو ثم يعلو ، ولكن يبدو أن الألم أحدث فيه أمرا ، لأنه أخذ يهتف بهتافات دينية عن المسيح حمل الله ، وقلب عيسى ، وأشياء من هذا القبيل . واستمر السكارى يقذفونه بالزجاجات ، وجرحته كثير من الزجاجات التى كسرت باصطدامها بالحائط ، وغطى الدم وجهه ويديه ، وتمزقت بذلته الرسمية ، وسالت منها الدماء . وأصابه رجل آخر فى فخذه ، ويبدو أن هذه الإصابة ألمته اذ لم يعد يصيح . ولما توقف عن الصياح ، تقدم

السكرارى نحوه ، واقربوا منه ، واخذوا يقدفونه بزجاجاتهم عن
كتب !! .

ثم توقف وسأل تينا : هل تريدنى ان اكنفى ؟

وقالت : لا يانيقولو يجب ان اسمع النهاية ..

وقال نيقولو : وأخيرا اغمى عليه ، واخذ السكرارى الزجاجات
وضربوه بها ..

والتفت نيقولو الى المجرمرة اخرى ، وقال : لقد فقدوا
صوابهم ياسيدى .. زجاجة التبييض والفارات الجوية
وما كانوا يشربونه . لم يعودوا ايطاليين ياسيدى ، بل لم يعودوا
رجالا ذوى عقل !

وقال المجرر جوبولو : ان مثل هذا قد يحدث فى أى جيش اذا
ما تمكن الخوف من الرجال !

وقال نيقولو : شكرا لك ياسيدى ..

واستمر يقول : وكان معى مسدس . فقد كان مع كل منا
جورجيوا ، مسدس اخذناهما من الالمانيين اللذين قتلناهما .
ولم أستطع ان اصبر اطول من ذلك ، فسحبت مسدسى واطلقت
طلقة فى الهواء ، وتكن يبدو ان ذلك زاد من رعب الرجال ولم
يوقفهم ، فتقدمت نحو احدهم وضربت به قبضة المسدس على
راسه فسقط ، والتفت الى شخص آخر اكبر منى جسما
وفى قبضته زجاجة ، فأطلقت طلقة أخرى فى الهواء امام وجهه ،
وكان يضرب بالزجاجة ، فأصابتهما الطلقة ، وبدا يصرخ ، فظن
الآخرون اننى سأقتلهم جميعا ، وفروا ...

ونظرت تينا لأعلى وفى عينيها سؤال !

وقال نيقولو : لقد كانت الحياة لاتزال تدب فيه ، وتكلم قليلا ،
وحاولت أن أعمل كل ما استطعت من أجله ، ولكنه كان قد فقد
دما كثيرا ..

وقالت تينا بحزن عميق وهى تعلم رد سؤالها : هل ذكر
اسمى ؟ .

وقال نيقولو : لقد كنت بجانب كثيرين ماتوا فى هذه الحرب ،
ولم يذكر واحد منهم فى ساعة الموت اسم امرأة . ان الرجال
لا يتحدثون بهذه الطريقة ساعة يموتون . انهم يتحدثون عن
آلام بطونهم ، ويسبون ، ولكنهم لا يذكرون النساء . اذكر انه
ردد بعض تريلات من تريلات البتول مريم ، وطلب منى ان

ادير رأسه لناحية طلبا للراحة، ولكننى حين فعلت طلب الى أن
ادير رأسه للناحية الأخرى . ثم مات ياتينا ..

وخفضت ياتينا رأسها ثم قالت : لم يمّت فى معركة !

ومد نيقولو يده وأمسك بيدينا وقال : بل كانت معركة .
لقد كانت معركة جورجيو ياتينا ! وحين أطلقت الرصاص حضر
بعض الضباط وظنوا أن جورجيو كان أحد السكارى ، ولذلك لن
يحصل على ميدالية . ولكن أحدا من الإيطاليين لم يمّت ميتة أكثر
شجاعة فى هذه الحرب . انظرى الى . لقد قبض على وعلى
النسكارى فى صباح اليوم التالى . اننى خجلان من نفسى ،
والخجل الذى أحس به ، والخجل المريع الذى يحس به السكارى
وجميع الجنود الإيطاليين ... لقد كنا ضعافا ياتينا وسبؤلم
الخجل بلادنا لسنين طويلة . وفرصتنا الوحيدة أن نذكر رجلا
من أمثال جورجيو ! وإذا لم تكن قد استطعنا أن نحارب ونموت
محاربين كما أراد منا أن نفعل ، فأننا نستطيع أن نذكر أمثاله
الذين فعلوا !

وأراد الميجر جوبولو أن يساعد فقال : هذا صحيح ياتينا ..
وقال نيقولو للميجر : كما ترى يا ميجر . لقد كنا فى حيرة
ولم يكن أمامنا هدف مقنع نحارب من أجله . هل رجالكم ؟ ...

وقال الميجر جوبولو : لا أدري يا نيقولو أظن أن الهدف موجود
فعلا . يجب أن نتخلص من رجال السوء . أن بين الألمان عددا منهم
وفيكم أيضا عدد منهم ، وفيما نحن أيضا بالطبع . ولكننى لا
أظن أن جنودنا يفكرون فى الأسباب . وهذا ما يقلقنى فى
هذه الحرب .

وقال نيقولو : وهذا ما يحيرنى أنا الآخر . أما جورجيو فقد كان
شيئا آخر .

وقال الميجر جوبولو : هذا صحيح ، أنه كان يكون شيئا
آخر عندنا أيضا .

وقال الكابتن بيرفيس : انظر الى ابن الكلب هذا ، انه ممسك
بيد فتاتك يا ميجر ! يحسن بك أن ترفسه فى مقعده وتعطيه
درسا .

وأخذ الميجر جوبولو تينا الى منزلها ، وأمضى معها بقية النهار ،
وكان لطيفا جدا . وبدا أن عطفه أفادها كثيرا ، وكانت كثيرا ما
ترفع رجليها لتتأمل اليه بنظرة كان لها تأثير فيه .

وأخيرا قال لها : لا أدري ياتينا ان كان من المناسب ان أقول
لك هذا الآن ، ولكننى سأقوله على كل حال . . . تينا . . . اننى -
ربما كان من الخي . . . أن أنتظروا أقول لك ما أريد فى وقت آخر .
ونظرت اليه بطريقة جعلته يعتقد أنها كانت تأمل وخاب
أملها ، وقالت بحنو : ربما كان الأفضل !

وقال هو : سأقول لك فى الحفلة يوم الجمعة . . .

وكررت بحنو : يوم الجمعة !

ثم أدارت وجهها وقالت : غريب جدا ، ولكننى لم أعرف قط ان كنت
أحب جورجيو ! لقد كنت معجبة به ، وفى بعض الاوقات كنت
أخشاه ، وكانت له عندى منزلة كبيرة . ولكن جسده كان باردا
وكان عقله غيبا . اننى لا ازال لا أدري . !

وبدأت تبكى من جديد . !!

الفصل الثانى والثلاثون

فى استوديو لوجاكونو - ان كان يمكن لغرفة بنافذة صغير واحدة، ان تسمى استوديو - وقف وفد من موظفى المدينة يحيطون بالفنان وينتقدون ، بينما يحاول الفنان أن يعمل .

ووقف الرجل العجوز أمام حاملين ، على احدهما رسمه الذى لم يتم ، وعلى الآخر النموذج الذى ينقل منه ، وهو صورة فتوغرافية للمبجر جوبولو من تصوير سباتافورو المجنون . وكانت الصورة الفوتوغرافية متقنة جدا والصورة التى يرسمها الفنان واضحة ناجحة .

وكون جرجانو ذو اليدين حلقتي بين أصابعه ، ووضع الحلقتي أمام عينيه ، وحدق من خلالهما الى الصورة ، وقال : العينان . الوجه فى مجموعه جيد، ولكن العينين .. يبدو لى أن العينين ليسا عيني المستر ميجر !

وقال لوجاكونو العجوز : ان الرسم لم ينته بعد .

وقال داربا وكيل العمدة فى صوته الذى يشبه صوت العرسه : هل يجب ان تركز الانف على الشارب بهذه الطريقة ؟ ان هذا الانف يبدو نائما آ

وقال المصور العجوز : ان الرسم لم ينته بعد ...

وقال ساييتا النظيف المكلف نظافة المدينة ، وكان واقفا بعيدا حتى لا تتلوث بزته البيضاء بالالوان : الا يمكن تنظيف أرضية الصورة قليلا ؟

والتفت المصور ذو الشعر الابيض الى ناقيه وقال : انها لم تنته بعد . انها لم تنته بعد . انها لم تنته بعد . هل يمكن ادخال هذا فى ادمغتك الرسمية الكثيفة ؟

وقال داربا الذى كان أكبر الموظفين الموجودين : اننا لسنا

صما يالوجاكونو • اننا هنا لحساب مدينة ادانو ، جنبنا لنراك تتم
العمل على أحسن ما يكون ، ولتجعله لا ثقا بالغرض الذى طلب
له •

ورفع جرجانو كتفيه ، ومدذراعيه ورفع راحتيه ، ليقول ما
قال : اننا لا نقصد اهانة أيها العجوز ! ثم حرك يديه كما لو
كان يصور وقال : استمر أيها العجوز !

وعاد لوجاكونو لعمله ، ودمدم وهو يرسم بريشته : لأول مرة
منذ أشهر ، لدى موضوع أريد أن أصنع منه رسما ممتازا • فما
الذى يحدث • أبدأ العمل ، وأبدأ أحبه ، وإذا بفرشاتي قصمت فى
يدى ! ثم ماذا يحدث ؟ يزورنى موظفون رسميون لا يعلمون عن
فن الرسم بقدر ما أعلم عن نظافة الشوارع • • ! - (قال ذلك
بازدراء شديد ، فسحب ساييتا بزته البيضاء الى جسمه ، كما لو
كان يخشى أن يقذفه الرجل العجوز بالبوية) - وينتقدون
عملى بالرغم من أنه لم يتم بعد •

وكون جرجانو الدائرتين بأصابعه مرة ثانية ثم قال : كل الذى
قلته ان العينين ليسا بعد عينى المستر ميجر !

وقال داربا : كل الذى قلته ان الانف تبدو مرتاحة ... ربما
مرتاحة أزيد قليلا مما يلزم .. ربما نائمة !

وقال ساييتا : اقتراح تنظيف أرضية الصورة قليلا ليس انتقادا
لقرب الشبه !

وقال لوجاكونو : لقد قلت لكم أن الرسم لم ينته بعد ، وعندما
ينتهى سوف يرضيكم •

وقال داربا بصوته المعروف : الهم هو أن يرضى المستر
ميجر •

وقال الرجل العجوز : اعدكم بأنه سيعجب به •

ووضع جرجانو يديه على قلبه وقال : يجب أيها العجوز ،
والا فسدت فكرة تقديمنا الصورة له • أتعرف لماذا قررنا اهداء
الصورة اليه ؟

وقال لوجاكونو بضيق : نعم أعرف لماذا تهدونها اليه • •

ولم يكن جرجانو يتوقع أن يجيب الرجل العجوز على سؤاله
الانشائي ، فرفع يديه من على قلبه وقال : واذن ...

والتفت الرجل الشايب الى ثلاثهم وقال : واذن ... لماذا

لاتركوننى وحدى لاستطيع ان اضع فى الرسم ماتحسون به نحو هذا الرجل ؟

وبدا جرجانو يكون الدائرتين ويقول بتردد : العينان . .

وقال المصور : ان العينين لم ينته رسمهما . ولا الانف التعبانة ولا الارضية القذرة . واستطيع ان اشرح لك يا منظف الشوارع اننى استعمل الارضية لأجرب الواتى . هل جئت اليك باقتراحات عن طريقة رفع الساخ من الشوارع ؟

وشد سايتتا على ملابسه وقال : لا . . .

وقال لوجاكونو : واذن . . . والتفت الى عمله .

وقال الرجل العجوز كما لو كان يحدث الوجه المرسوم فى الصورة الفوتوغرافية : هذه صورة أريد ان اجعلها من الاتقان بقدر ما استطيع . ان هناك أشياء كثيرة أود أن اضعها فى هذه الصورة عندما تنتهى . .

قال ذلك الجزء الاخير بغضب لافهام منتقديه .

واستمر يشرح ما يريد أن يضعه فى هذه الصورة ، وحقق بذلك اغراض الانتقاد ، فذكر لنا قديده ما يدور فى خلدته بحيث أنه عندما يتم التصوير يستطيعون أن يروا ويظهروا ما بها من معان اذا ما بحثوا عنها .

قال الرجل العجوز : ان أهم شيء أريد ان تحويه هذه الصورة هو حياة وتنفس المسترميجر . أريد ان تحوى العين نظرة شقاوة رايتها فيها . شيئا يدل على أنه مغرم بالسيدات الشابات ! . . . ثم التفت الى جرجانو غاضبا : ولكن ذلك ليس كل ما أريد وضعه فى العينين !

واستمر يقول : اما طريقة قص الشارب فسيكون فيها بعض الزهو ، ليس كثيرا ، بل مجرد ما يكفى لجعل الرجل يرتدى ملابس نظيفة ، ويبدو نظيفا ، وينظر مرة - لمرتين - فى كل امرأة يمر بها !

وقال داربا بصوت مرتفع : هذه مسائل تافهة مضحكة . وماذا عن الأشياء الكبيرة ؟

وقال لوجاكونو : اننى اعتقد أحيانا أنك رجل صغير مضحك ! ان الأشياء الكبيرة تأتى من الأشياء الصغيرة . اننى لم أنته . ان فى الموظفين الرسميين دافعا يجعلهم يدسون انوفهم النائمة عادة على وجوههم فيما لم يتم عمله !!

وقال داربا : استمر أيها العجوز .
- ستظهر الذقن القوة ، والاذنان الحركة والانتباه . وفي تثبيت
الشعر النظافة ، وفي الخدين حرارة محببة .
ثم قال الرجل العجوز : ستعجبكم كما ستعجبه !
وقال داربا مرة ثانية : ولكن الأمور الكبيرة . ماذا عن الأمور
الكبيرة ؟

وقال المصور : لن تروا الأشياء الكبيرة إلا بعد ما ترون الصورة زمنا
طويلا . كما أنكم لم تكتشفوها في الرجل إلا بعد أن عرفتموه .
لماذا تريدون تعدادها ؟ أنكم تعرفونها كما أعرفها أنا ..

ولكن داربا قال : ماذا تظنها يا لوجاكونو ؟ فإن المنتقدين لم
يأتوا لينتقدوا ، وإنما جاءوا ليلبثوا عما يريدون .

وقال الرجل العجوز : هناك شيء واحد كبير حقيقى . أما
الأشياء الأخرى فمرتبطة به . أنها الرغبة البادية في وجه هذا
الرجل في أن يكون كل انسان في هذه المدينة سعيدا . ان هذا
شيء كبير حقاً ، ولو أن ذلك كان ظاهرا في وجه كل موظف رسمى ،
فإن المصورين لم يكونوا لينتقدوا قبل اتمام عملهم .

ونظر جرجانو الى الصورة بعين مقفلة ثم قال : اظن أن العينين
ستكونان مضبوطتين .

وقال داربا : لاشك أن هناك شيئا لم يتم بخصوص هذه الانف
الناعسة . ولكنها ستكون مضبوطة عند اتمامها .

وقال سايتا : اننى سعيد لانك شرحت لى موضوع أرضية
الصورة . هل عندك أى اقتراح بخصوص السباخ ؟

وقال لوجاكونو : كل الذى اقترحه ان أترك لوحدى حتى أتم
العمل . متى تريدون الصورة ؟

وقال داربا : ظننا أننا نستطيع تقديمها له يوم البسعة المقبل
بعد الظهر قبل الحفلة المقامة لتكريمه . كنا نظن أننا نجعل
ذلك اليوم كله يومه .

وقال الرجل الشايب : ستكون قد انتهت ، وسيعجبكم وجهه .
ذلك وعدى لكم .

الفصل الثالث والثلاثون

لقد كان الجنرال مارفن يعتقد فيما يسميه «استمرار الاتصال» .
كان يحب أن يعرف كل ما هو حاصل في العالم وفي الجيش .
لذلك كان يجعل ياوره اللفتنان بيرد يقرأ له كل صباح نحو ساعة ،
وفي صباح الاثنين والاربعاء والجمعة عندما تأتي حقيبة البريد
من الجزائر كان اللفتنان يقرأ له أوراقا مختلفة من الحقيبة .

وفي صباح ذلك الاثنين قرأ له اللفتنان العمود المخصص للكاتب
ارنى بايل . ومقطوعات شعرية من مجلة النجوم ، ومقالة عن
الالغام ، والالغام الفاطسية في مجلة المشاة ، وملخص بحث عن تحديد
النسل في مجلة المختار ، وتقارير ثلاثة عن الحالة الحربية في أفريقيا،
ومجموعة من خطابات مسلية نتجت عن مقال عن الجنرال في
بعض المجلات ، وخطاب ثناء للجنرال من وزير الدفاع سمسون
عن معركة في تونس . وكان هذا الخطاب قد وصل منذ عدة أيام ،
ولكن اللفتنان وجد من اللائق - من غير أن يطالبه أحد بذلك
أن يقرأه على الجنرال في صباح كل يوم .

وعندما تنتهى هذه القراءات تتحسن حالة الجنرال النفسية .
ولكن كما يحدث دائما عندما يبدأ اللفتنان بيرد يقرأ مذكرات
الضباط المختلفين ، بنقلب الرجل العجوز غاضبا . ذلك ان المذكرات
لا تكتب الا عن أشياء تمت خطأ . ففي هذا الصباح وصلت مذكرة
عن ضياع سلك تليفونات احدى الفرق ، فلم تعد تستطيع الاتصال .
وأخرى عن انشاء مخازن للوقود بجوار احدى الفرق ، حتى لا تضطر
عرباتها لقطع مسافات طويلة للحصول على الوقود . وثالثة عن
كيف أن غارات الطيارات تصيب أحيانا جنودا صديقة . . وهكذا .

وبعد قراءة بعض المذكرات يصرخ الجنرال ببعض التعليمات
الى الكولونيل ميدلتون الجالس بالغرفة الملاصقة ، وبعد بعضها
الآخر يصيح غاضبا : الى جهنم كلهم . انهم ليسوا أسوأ حالا من
الآخرين . الرد لا !

وتناول اللفتنانانت بيرد احدى المذكرات وقرأ : « الى الجنرال
مارفن للعلم . . الخ . . الموضوع عربات البغال بمدينة ادانو »
وتلمل الجنرال : لعنة الله على عربات البغال !

وقرأ اللفتنانانت بيرد في ١٩ يوليو وصلت أوامر من الجنرال
مارفن الفرقة التاسعة والاربعين ، بمنع عربات البغال من دخول
مدينة ادانو ووضع حراس عند الكوبرى فوق النهر الاحمر ،
وعند مصنع كاكوباردو للكبريت . ونفذ الامر . .

وقال الجنرال : « لعنة الله . هذا فى محله . أوقفوا العربات
اللعينة . هؤلاء الايطاليون الفاسدون يحاولون تأخير الغزو
اللعين . يحسن أن يستمروا فى تنفيذ الامر اللعين !

واستمر اللفتنانانت بيرد فى قراءته وهو لا يكاد يدرك ما يقرأ :
وفى ٢٠ يوليو رفع الحراس بأمر الميجر . . »

وفجأة أدرك اللفتنانانت بيرد ما يقرأ ووضع المذكرة على المكتب
وتناول مذكرة أخرى ، ولكن الجنرال صاح به : أتمها . لعنة
الله ! أتمها !

وقرأ اللفتنانانت : رفع الحراس بأمر الميجر فيكتور جوبولو ضابط
الشنون المدينة بمدينة ادانو ، لان العربات ضرورية للمدينة ،
والمدينة . .

ونسى الجنرال موضوع اتمام قراءة المذكرة وصاح : « جوبولو » ،
وانقلب وجهه الى لون الجبال البعيدة ، وقال « جوبولو » .
وجرت ذاكرته بطريقته الخاصة ، وصاح : ميدلتون ! تعال هنا
ياميدلتون !
وجاء الكولونيل .

— هل تذكر ياميدلتون اسم جوبولو . ابن كلب ايطالى فاسد
باسم جوبولو ؟

وقال الكولونيل ميدلتون بوجه متعب : نعم ياسيدى .
العربات !

وصاح الجنرال مارفن : لقد تذكرت الآن شيئاً . لقد كان
هذا الايطالى اللعين يرتدى ملابس غير رداثه الرسمى . لقد كان كان
يلبس لباسا احمر وقميصا كاكيا . انك تذكر ذلك ياميدلتون ؟

وقال الكولونيل ميدلتون : لا ياسيدى لقد نسيت ذلك !

وصاح الجنرال : ليكن ولكننى أذكره . لقد ضقت بهذا الحقيير .
هل علمت ما الذى فعله الآن ياميدلتون ؟

وقال الكولونيل ميدلتون بصوت متعب : لا ياسيدى !
- عليه لعنة الله . لقد جِرا على أن يترك العربات تعود الى المدينة •
ما اسم تلك المدينة الملعونة ؟

وقال اللفتنانث بيرد : ادانو ياسيدى •

- ادانو - لعنة الله على هذا الوصول •

وقال الكولونيل ميدلتون : ربما كان هناك سبب جعله ...

- لعنة الله عليك يا ميدلتون ! لقد بدأ تفكيرك يتحرر أنت الآخر !

وقال الكولونيل ميدلتون : نعم ياسيدى ...

وقال اللفتنانث بيرد : ان المذكرة تقول ان العربات كانت ضرورية
للمدينة ، وان المدينة كانت فى حالة سيئة بدونها !

ووقف الجنرال : لعنة الله ! اننى لم أعد أطيع هذا الحشرة
الايطالى !

وقال الصوت المتعب : نعم ياسيدى ...

- أصدر أمرا بسحب هذا الايطالى اللعين من تلك المدينة
عليها لعنة الله • ما اسمها ؟

وقال اللفتنانث بيرد : ادانو يا سيدى •

- مره بأن يقدم نفسه للجزائر ليعاد تعيينه • وحرر تقريراً
على حدة للجزائر شارحاً لماذا • وسوف أضع ابن الزنا هذا فى
موضعه ! ابعث الأمر اليوم • لعنة الله ! لا أريد أى تأخير
يا ميدلتون ...

وقال الصوت المتعب : نعم ياسيدى ...

الفصل الرابع والثلاثون

أخذ الصياد المسمى انيللو يتحدث هو ورجاله عن الحفلة في اليوم السابق لها .

وسأل انيللو : هل أنت ذاهب يا ميراندينو ؟
ولما كان ميراندينو ممن لا يحبون أن يرتبطوا قال : لقد دعيت إليها .

وقال اسكونزو : أصغر صيادي اداو : أنا ذاهب ، ويحسن أن تذهب يا ميراندينو ، فقد سمعت أننا نحن الصيادين محظوظون ، فان أغلب المدعوين من الموظفين الرسميين وكبار القوم ، ولكن من أجل توماسينو .

وقال انيللو : وربما لان وجوه بنات توماسينو ليست ذات جذرى !

وقال اسكونزو : ربما ! وقهقهة ...
وسحب الرجال شبكتهم ، وأخرجوا منها السمك اللامع ووضعوه في صناديقه . كان سمكا جيدا من المسعر ، أغلبه بسعر أربع ليرات أو خمس .

وقال اسكونزو : انها فرصة نادرة لامثالنا الصيادين يا ميراندينو !
يحسن بك أن تذهب .

وقال ميراندينو : سأفكر في الامر .

ورموا الشباك من جديد ، وأمسك ميراندينو بعجلة القيادة ، والركب يتعد عن الشباك . وبينما المركب يتعد بهدوء ، ألقى اسكونزو في قاعه خده على النافذة ، وأخذ ينظر الى مقدمة المركب وهي تشق الماء ، وشعاع الجزء العلوي ينساب ظلهم في الماء أيضا !
كان يوما من أيام البحر الابيض النادرة ، حيث لا نسمة من ريح تمر على الماء الازرق الصافي .

وراقب اسكونزو صورة الميجر راكبا على السلحفاة التي رسمها لوجاكونو العجوز وهي تنساب على الماء ، وكانت تسير فوق الماء ،

وتمثل في بعض الاحيان صورة رجل حقيقى راكبا سمكة تسبح على سطح الماء .

وقال اسكونزو : هل تظن أن المستر ميجر قد وقع في حب الشقراء ؟ لقد سمعت أنه كان يحيط خصرها بذراعه يوم عودة الاسرى بدون جورجيو !

وقال ميراندينو : لا شأن لى بذلك .

وقال انيللو : أظن أنه يحبها .

وقال اسكونزو : سنرى مساء الغد فى الحفلة .

وقال انيللو : ألا تظن يا ميراندينو أننا اقتربنا من الشاطئ أكثر مما يلزم ؟

وقال ميراندينو : سأنظر الى الخريطة .

وقال اسكونزو : انه يحاول أن يبتعد عن مركب توماسينو . ان توماسينو العجوز ينشر شبكته بقوة تجعل السمك يفر . ان خلق توماسينو ضيق جدا ، وربما كان غاضبا من السمك ، ولذلك يقذف بشبكته . ان ميراندينو يحاول أن يبعد بالمركب من طريق توماسينو . اليس كذلك يا ميراندينو ؟

وقال ميراندينو : لا أظن أن توماسينو غاضب من السمك .

وقال انيللو : يحسن ألا نقرب كثيرا . لقد حذرنا مما قد يحدث اذا ابتعدنا عن المنطقة التى حددوها لنا على الخريطة .

ونظر ميراندينو فى الخريطة ، ثم فى العلامات التى على البر ، وعلى الرصيف ، وقال : ربما نكون قد اقتربنا من الشاطئ قليلا ! . . . وأدار عجلة القيادة ، وقاد المركب بعيدا عن مركب توماسينو .

وقال اسكونزو : اننى شخصا افضل بنت توماسينو الصغرى على الشقراء . اننى أحب الصراحة فى لون الشعر .

وقال انيللو : لا أظن أن أى واحدة من بنات توماسينو تلتفت اليك يا اسكونزو .

وقال اسكونزو : ها . ها . أظن أننى أستطيع أن أوثر لو أردت .

وقلد انيللو اسكونزو وهو يقول : لو أردت !

ثم قال : ما الذى يجعلك تعتقد أنك تستطيع ؟ ان أنفك كبير جدا . وقال اسكونزو : ما الذى يجعلك تعتقد أن من الصعب

التأثير فى بنات توماسينو ؟ ما الذى تظنه يا ميراندينو ؟
وقال ميراندينو : اننى أظن أن كبار الأنوف ممن يشتغلون
بالصيد معرضون للاحتفاظ برائحة السمك فى أنوفهم بعد عملهم
الساعات الطويلة ، وينسبون الرائحة الى السيدات الشابات
اللاتى معهم . أظن أنه قد آن الوقت لنسحب الشبكة ؟
ووقف الرجال الثلاثة وبدأوا يسحبون الشبكة .
وقال اسكونزو : صيد كبير فى هذه المرة . هل تشعر بثقل
الحمل ؟

واستمروا يسحبون ، ثم قال انيللو : انها بطيئة الحركة
ليس فيها احساس بحيوية سمك صغير متحرك . الا توافق
يا ميراندينو ؟

وقال ميراندينو : اننى لا أقسم السمك الى الدرجات الا
بعد أن يصبح فى صناديقه .

ولكن عندما بدأت الشبكة تسحب أصبح واضحاً أن بها
بجانب القليل من السمك شيئاً آخر .

وقال اسكونزو : ربما جذبت رسومات لوجاكونو سمكة موسى
كبيرة . وربما يكون لوجاكومو قد رسم اننى لهذا السمك،
ويكون هذا ميعاد التناسل لهذه الاسماك !

وقال انيللو : يبدو لى أن الامور ليست على ما يرام .
وأكد ميراندينو : انها تبدو كشيء لم نعتد أن نصطاده .

واستدار المركب والرجال يجرون الشبكة ، وكانوا يسحبون
الشبكة والماء يتساقط منها . وعندما كادوا ينتهون من جر
الشبكة صاح اسكونزو : انتظروا قليلاً ودعونى أنظر فربما
استطيع أن أرى ما فى الامر قبل أن نضعه فى المركب .

وانحنى فى قاع المركب ووضع خده على الكوة السفلى ونظر .
وكان ما رآه هو آخر شيء وقع عليه نظره . رأى الماء الأزرق
الصابى، وانعكاس صورة المسترميجر راكباً سمكة البحر، ورأى
تموجات البحر فى المقدمة ، ورأى الشبكة والماء يتساقط منها
على صفحات البحر ، ورأى عدداً كبيراً من السمك وقد ضيق
عليها الخناق تحاول أن تفلت ، وأخيراً فى نهاية الشبكة رأى
دائرة معدنية تشع منها حراب معدنية .

وصاح بهم : توقفوا . توقفوا عن الجر . . . ولكن كان ذلك
بعد فوات الوقت فقد استمرت حركة المركب بطيئة ، واستمر

الرجال في سحب الشبكة فاصطدم قاع المركب بالغم . وسمع صوت الانفجار من المدينة . وظن زوجات الزراع وعمال الارض أنها مجرد فرقة قام بها المهندسون . ولكن زوجات الصيادين جرين الى الميناء يستطلعن ومددن ابصارهن نحو الماء .

وعند حصول الانفجار التفت توماسينو الى حيث كان مركب انيللو . ومن حسن الحظ أن شبكة توماسينو كانت قد سحبت الى داخل المركب ، ولذلك استطاع أن يتحرك بسهولة . فلما وصلوا الى المكان وجدوا بقايا أخشاب ، وعددا كبيرا من الاسماك الميتة طافيا ، وجثة انيللو طافية ، وكذلك جثة ميراندينو وبعض أشلاء من اسكونزو .

ورفع توماسينو ورجاله الجثتين الى المركب ، بينما اقبلت بقية مراكب الصيد .

وصاح توماسينو في الآخرين : استمروا في الصيد وابتعدوا عن الشاطئ ، وسأنتقل أنا انيللو وميراندينو الى البر . وصاح واحد من مركب آخر : واسكونزو ؟

وقال توماسينو دون أن ينظر الى الاشلاء الطافية : اسكونزو؟ انه مفقود .

وحرص توماسينو على أن يختار طريقه الى البر مستعينا بالبوصلة .

وقال احد الرجال : يا لسوء حظ اسكونزو . لقد كان راغبا في الذهاب الى الحفلة مساء الغد ، ولم يتحدث عن شيء آخر منذ ثلاثة أيام .

وقال آخر من مساعدي توماسينو : لقد كان اسكونزو مغرما بالحفلات ، ولولا كبر انفه لعد جميلا .

ولقد قضى على انيللو وميراندينو كما قضى على اسكونزو ، ولكن موتهما لم يبد فظيحا كموته هو لانهما لم يفقدا كما فقد هو على حد تعبير توماسينو . لذلك تحدث الرجال عن اسكونزو ولم يتحدثوا عنهما وهم في طريقهم للبر .

وبمجرد أن وصلوا الى الشاطئ قفز اليه توماسينو ، وسار بخطوات سريعة الى السراي ، وكان أول من أبلغ الميجر بالخبر! استقبله الميجر بمرح وقال له : صباح الخير يا توماسينو . اننى أفكر في حفلة الغد ، وسمعت أنك احد الداعين .

وكان وجه توماسينو مغبرا من الألم ، ولكن الميجر لم ير في ذلك ما يخرج عن المألوف .

وقال توماسينو : لن أستطيع الذهاب .
 - ولم يا توماسينو ؟ ان الحفلة لن تكون ناجحة من دونك ،
 وقال توماسينو بتجهم : لقد جئت للتحدث اليك عن الانفجار .
 هل سمعت الانفجار ؟
 وقال الميجر : لقد سمعت انفجارا منذ نصف ساعة .
 وقال توماسينو : نعم منذ نصف ساعة .
 - ما موضوعه ؟
 - أحد مراكى . لقم على ما اعتقد كما حذرتنا .
 ووقف الميجر . لقد هرب الدم من وجهه بمجرد أن بدأ
 توماسينو يتحدث عن الانفجار ، وانتقل من على مكتبه واقترب
 من توماسينو ووضع يده على كتفه ، وقال : انها غلطتى
 يا توماسينو وليست غلطتك .
 وقال توماسينو : انها غلطة انيلو لقد اقترب من البر كثيرا .
 لقد قست الاتجاهات وتبين لى أنه ابتعد عن منطقة الصيد .
 وقال الميجر : اننى آسف ؟
 وقال توماسينو : علام تأسف ؟ لقد حسبتك ستغضب .
 - اننى اشعر كما لو كنت قد قتلت رجالك يا توماسينو .
 - لقد حدثت حوادث هنا يا مستر ميجر قبل حضورك ؟ ومات رجال
 منا من قبل .
 وهكذا كان توماسينو يعزى الميجر ، بدلا من أن يتحمل غضبه ،
 لان رجاله أهملوا اتباع التعليمات !
 وبينما توماسينو فى طريقه للانصراف سأله الميجر :
 « ستستمررون فى الصيد ؟
 وأجاب توماسينو : طبعاً . ان أربعة من المراكب مستمرة فى
 الصيد .
 وقال الميجر : حسن يا توماسينو . ثم أضاف : اننى آسف
 لليلة الغد .
 وقال توماسينو : أنا آسف أيضا . ولكنه لا يليق بى الذهاب
 لأن المفروض أننى رئيس الصيادين .
 وتردد جوبولو ثم قال بصوت حاول أن يجعله طبيعيا : هل
 تعتقد أن أفراد أسرتك أيضا يجب أن يبتعدوا عن الحفلة ؟
 ونظر توماسينو الى وجه الميجر جوبولو . ولم يبد عليه أنه أقل
 حزنا وهو يجيب : لا . أظن أنه يجب أن تحضر تينا الحفلة .

الفصل الخامس والثلاثون

كان الميجر جوبولو لا يزال يشتغل في مكتبه لينجز عمله في اليوم التالي . وقبل الساعة بقليل سمع ضجة خارج باب مكتبه ، وسمع امرأة تصرخ وتبكي ، بينما زيتو الحاجب يجادلها محاولا منعها من الدخول .

• واتجه الميجر الى الباب وفتحه، وطلب الى المرأة أن تدخل . وكانت تحمل طفلا بين ذراعيها .

وبينما الميجر يتجه الى مكتبه، خطر بباله دون أن يعير الفكرة أية أهمية أن الطفل أكبر من أن يحمل . وشعر بخطوات المرأة تتبعه الى مكتبه . وكانت تحمل الطفل أمامها ورأسه متجه الى صدرها .

ولما جلس الميجر انفجرت المرأة في صيحات هستيرية : لقد كاد يموت من الملاريا ، ولكن الله أنقذه، وعندما أصيب بالجذري صلى عليه الأب بونشوفيكو ، وأنقذ أيضا ، وكانت عيناه جميلتين ، جميلتين كعينى والده ... ابني ، ابني ، لقد تحملت الكثير من أجله ، ولا أدري وأنا أحبه كل هذا الحب ماأنا فاعلة به !

ووضعت المرأة ابنها بحنان على مكتب الميجر ، ورأى الميجر أن الطفل قد مات !

واستمرت فى ثرثرتها الهستيرية ، واستدعى الميجر زيتو وطلب اليه أن يدعو جرجانو .

وبينما هو فى انتظار جرجانو حاول الميجر أن يجعل المرأة تخبره بما حدث ، ولكن كل ما استطاع أن يحصل عليه منها بخلاف البكاء والعيول كان أنينا وشكوى ، وذكرت مرة أو مرتين كلمة « لورى » .

ولما جاء جرجانو سأل الميجر عما حدث ، ولم يكن جرجانو قد علم وخرج يتحرى . وعاد فوراً ممسكاً بغلام آخر بيده .

وعلم الميجر من جرجانو ومن الغلام أن الطفل قد صدمه لورى
عسكرى امريكى ، واستمر فى سيره دون توقف .

وكان الطفل يصيح طالبا حلوى كما كان يفعل غيره من الاطفال .
وقد لاحظ الغلام واثنان أو ثلاثة غيره من الاطفال أن الذين يحصلون
على الحلوى عندما يرميها الجنود الامريكان ، هم الذين فى المقدمة .
وكان الذين لاحظوا ذلك أكبر من الآخرين ، ولذلك كانوا من بينهم
مجموعة يلتقط أحدهم الحلوى ، بينما يمسك الآخرون بأيديهم
متماسكة ليمنعوا بقية الاولاد من الوصول إليها . ورأى الآخرون
أنهم خدعوا بتفكير وقوة المجموعة الأولى ، فصمموا على اختراق
الحصار ، وتكاتفوا فى هذا الشأن . ونجحوا عند أول هجوم لهم
على الحصار المكون من أذرة الآخرين ، ولكن قوة اندفاعهم
ألقت بطفلين على هذا الطفل الذى كان فى المقدمة يلتقط الحلوى ،
وألقت الصدمة به أمام اللورى التالى ، فصدمة التصادم فى جبهته .

وعمل الميجر ما استطاع لتعزية الأم ، وأبلغها أنه سيدفع لها
مبلغا ، وأن على المدينة أن تتولى العناية بها . وأرسل فى طلب
السينيورا كارملينا سبينوتا ضابطة الشئون الصحية الكبيرة ،
وطلب منها العناية بالمرأة ، والاهتمام بأن يدفن الطفل دفنا
لائقا .

ثم التفت الى المرأة وقال لها : أرجو ألا تكرهى الامريكان بسبب
ما حدث ، وأرجو أن تذكرى خلال حزنك أن السبب فى تعرض
الاطفال للخطر هو أن الامريكان كانوا كرماء معهم . ولو أن
الامريكان لم يرموا اليهم بالحلوى لما استمروا يعددون بجوار
اللورىات ويستجدون . ان الكرم فى بعض الاحيان من عيوب
الامريكان ، ويسبب أضرارا فى بعض الاوقات . لقد سبب رفع
الاسعار هنا ، وجلب اليك التعاسة ، ولكنه أفضل ما نستطيع أن
تأتى به لاوروبا . فأرجوك ألا تكرهى الامريكان .
واستمرت المرأة فى البكاء ، وقادتها السيدة كارملينا سبيناتو
للخارج .

وقال الميجر : لقد كنت خائفا يا جرجانو أن يحدث حادث كهذا
يجلب النكد للاطفال ، ولكن لا بد من منعهم من الجرى وراء الحلوى .
وأجاب جرجانو رافعا يديه لأعلى : وماذا نستطيع أن نعمل ؟
وقال الميجر : أريدك أن تأخذ غدا لوريك ، ومعك روتوندو
واثنان آخران ، فاجمعوا جميع الاطفال الموجودين بالشوارع

يصيحون في طلب الحلوى وخذوهم الى نقطة البوليس حيث
تبقونهم الى ان يجن ظلام الليل، ثم استدعوا امهاتهم يأخذونهم الى
منازلهم • انه الشيء الوحيد الذي نستطيع أن نعمله ... نعطيه
درسا •

وسقط في يد جرجانو ، وضم يديه في هيئة رجاء وقال :
ولكن الحفلة مساء الغد يامستر ميجر • اننى أتألم جدا لولم أحضر
الحفلة !

وقال الميجر : ان أبناء ادانو ياجرجانو أهم من كل حفلة •
ورفع جرجانو يديه يستسلما وقال : نعم يامستر ميجر •

الفصل السادس والثلاثون

وجاء يوم الحفلة ، وحدثت أمور كثيرة :

ففى الساعة التاسعة والنصف صباحا ، وقفت سيارة كبيرة من سيارات البحرية الامريكية أمام السراى . ونزل منها ضابط وخمس رجال ، وأنزلوا صندوقا خشبيا كبيرا على الرصيف ، وتقدم رئيسهم الى الداخل ، وسلم رسالة الى الميجر فيكتور جوبولو .
وكان الميجر جوبولو مشغولا أمام مكتبه ، ولم يلاحظ العربـة .
وفض غلاف الرسالة وقرا :

« عزيزى الميجر

يسر البحرية الامريكية أن تستطيع تقديم خدمة للجيش .
هاهو الجرس الذى طلبته .. »

وقفن الميجر واقفا وقال : أين هو ؟

وقال الحاجب زيتو : أين ماذا يا ماستر ميجر ؟

وقال الميجر : الجرس ! الجرس ! لقد أحضروا جرسنا ؟
وجرى الى الشرفة ورأى السيارة تندفع مبتعدة . ورأى الصندوق موضوعا على الرصيف .

وصاح الميجر جوبولو فى أحد رجال البوليس الحربى أمام السراى : اسمع . احرس هذا الصندوق ولا تدع أحدا يأخذه .

ودمدم البوليس الحربى بصوت مرتفع ، ولكنه لا يصل الى سمع الميجر : ان الطريقة التى أنزل بها رجال البحرية هذا الصندوق تحملنى على الاعتقاد أن أحدا لن يفكر فى أخذه !
وأسرع الميجر للداخل وقال لزيتو : ما هو الزمن الذى احتاجوه لانزال الجرس القديم يا زيتو ؟

وقال زيتو : لقد احتاجوا لاستعمال ست مجموعات من البكرات ، واحتاجوا ليومين ، ثم ليوم لوضعه فى الصندوق !

وقال الميجر : لن أستطيع أن أصبر طول ذلك الوقت !

واتجه الى التليفون وطلب سلاح المهندسين :

- الميجر هارفى من فضلكم يا ميجر؟ هنا جوبولو . انى

أريد منك أن تؤدي لهذه المدينة خدمة كبيرة . ان لدينا عملية دقيقة ، وأخشى أن يتلفوا العمل . ان المطلوب رفع جرس جديد الى البرج فى سراى المدينة . أظن العملية تحتاج لثمانية رجال . واذا كان عندكم بكرات وآلة رافعة قوية لرفع الجرس يمكنك ؟ حسنا جدا . هل يمكن أن يبدأوا فوراً ؟ متى تظنهم يستطيعون أن يكونوا هنا ؟ حسناً سأكون فى انتظارهم فى الساعة الجادية عشرة والنصف ، لاريهم ما يفعلون . لا أدري كيف أشكره وكان الميجر جوبولوف راحاً جداً فطلب اللفتنانت ليفنجستون بالتليفون وشكره للدور الذى قام به فى الحصول على الجرس ، وأضاف : تصور انه سيرفع فى هذا المساء فوق البرج ، وربما دققناه الليلة للدعوة للحفلة . سوف تحضر الحفلة ، أليس كذلك ؟

— بلا شك باميجر .

— سأراك هناك يا كابتن . شكرًا ألف شكر !

— لا شيء يستأهل الشكر . قل لى هناك مسألة باميجر .

— ماهى ؟

— اننى لفتنانت . وفى البحرية لا بد من وقت طويل قبل أن يصبح

الانسان كابتنًا .

— هل الامر كذلك . انه يجب أن تصبح كابتنًا فى أقرب وقت .

ثم وضع سماعة التليفون وتناول المذكرة واستمر فى تلاوتها :

«وقديهمك ان تعرف شيئا عن الكوريللى وتاريخ الجرس . ان

توت دولنج الذى أظهر كرمًا كبيرًا بتقديم جرسه - ولاعتقد أن

هناك أى ضرر فى أن تكتب خطابا اليه - (الباخرة كوريللى ، تبع

مصلحة البريد ، نيويورك) - لقد ذكر لى توت بعض الشيء عن

كوريللى . لقد قال ان اسمه الكامل فانست كوريللى ، وكان يقود

مدمرة فى الحرب الماضية . ولقد أخطأت فيما رويته فى جلستنا

الماضية . الذى حصل أن كوريللى كان يقوم بالحراسة فى شمال

الاطلنطيقى ، وتعرضت الباخرة الايطالية لزوبعة مريضة ، وانقلقت

نصفين ، وترك كوريللى مكانه فى الحراسة ، وذهب وأخذ جميع

الايطاليين الذين كانوا يلبسون العوامات . ومع أنى لا أدري مدى

معلوماتك فى الشئون البحرية ، إلا أن هذا الذى فعله كان مجازفة

كبيرة ، وعلى الاقتراب من الباخرة فى مثل هذه الزوبعة . وكان

ذلك فى ١٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ كما يقول توت . وتوت زميل

دراسى قديم لى ، وهو لاعب كرة فاشل ، ولا أدرى ماذا أصدق أو لا أصدق مما يرويه ، ولكنى أعتقد أن هذا الذى رواه صحيح ، وأرجو أن تستمتع بصوت الجرس . . »

« إذا وجدت نفسك فى صعوبة من أى نوع كان ، فاقصد رجال البحرية ، وهم لا شك يجدون لصعوبتك حلا . »
« المخلص فى التعاون بين مختلف السلطات »

(روك روبرتسون : لفتنانت كوماندر بالبحرية الأمريكية)
واقترب زيتو من المكتب بينما كان الميجر يقرأ ، ولما أتم القراءة قال الحاجب : لقد أصبح عندنا جرس جديد يا مستر ميجر ؟
- عندنا جرس جديد يا زيتو !

- هل صوت رنينه جميل ؟
- أرجو ذلك يا زيتو . أظنه جميلا .
- أله تاريخ ؟

- نعم يا زيتو وسأخبركم به عندما يعلق فى البرج . هل تظن أنه يخسن أن القى خطابا أبين فيه للناس هنا موضوع الجرس .

- طبعا . لا بد من ذلك يا مستر ميجر . ان أهل ادانو سيهتمون بمعرفة كل شئ عن الجرس .

- هل تظن يا زيتو أنهم سيدركون كل ما فى الجرس من معان ؟
أعنى أنه يمثل الأشياء التى أعتقد فيها ؟ هل تظن أننى سأستطيع أن أشرح لهم كل ذلك ؟
- أظن ذلك يا مستر ميجر . اننى أدرك ما تقصد ، وزيتو ليس بالرجل النبیه !

وقبل الحادية عشرة ببضع دقائق مرت جنازة الصيادين الثلاثة الذين قتلوا فى الانفجار بالميدان . وخرج الميجر جو بولو الى الشرفة يرقبها . وكان فى مقدمة الجنازة ثلاث عربات ، تحمل الاثنتان الأوليان جثتى انيللو وميراندينو . وكانت كل جثة فى تابوت هو فلك صغير مما يستعمله الصيادون للوصول من البر الى مراكبهم ، وقد غطى التابوتان . أما العربة الثالثة المعدة لاسكونزو فكانت تحمل فلكا صغيرا غير مغطى ، وقد ملئت بالازهار .

وقبل الحادية عشرة والنصف بوقت طويل ، كان الميجر جو بولو على الرصيف بجوار صندوق الجرس ينتظر حضور المهندسين .

وكان ينظر ويلمس الصندوق بحنان كما لو كان بداخله طعام
لذيذ .

ووصل الفريق الذي أرسله قسم المهندسين في الميعاد .
وشرح لهم الميجر العملية المطلوبة، مشيراً الى أعلى البرج . وسأل
الجاويش المكلف العملية : ما هي المدة التي تحتاجها العملية ؟

وقال الجاويش : في بعض الايام يقول الاولاد بأن عندهم
تقلصات في المعدة ، وأنه يجب ألا يستعجلوا في العمل ، وفي
بعض الاحيان لا يشكون التقلصات . فالأمر موكول اليهم !

— وما هي المدة بحسب ظنك؟

— سننتهى منها اليوم أو غدا حسب التيسير .

— اجتهد في انائها اليوم من فضلك .

وقال الجاويش وقد استدار غاضباً نحو رجاله الذين كانوا
يتجمعون ببطء للعمل : كل شيء مرهون بحالتهم .

وانصرف الميجر للغداء ظهراً . وكان الجاويش بورث قد سبقه
الى مطعم بسكاتورى ، وجلس الميجر مع بورث كما اعتاد أن
يفعل برغم اختلاف الدرجة بينهما .

وتحدث الى بورث عن الجرس وسروره ، مماهياً لبورث الفرصة
لمناقشته . وقال الجاويش : انك أسوأ من اليوم الاول لوصولنا هنا .
وقال الميجر : كيف أكون أسوأ ؟

— لأنك لازلت حساساً جداً .

— صه يا بورث .

ولكن مناقشة بورث ازدادت : لا . اننى أقول جادا . ان الحرب
دائرة ، والصيادين نسفوا في الميناء ، والاطفال تدوسهم العربات
في الشوارع ، وهناك اصابة بالمalaria بين كل ستة أشخاص .
وكل ما تفكر أنت فيه رنين جرس ؟!

وقال الميجر جوبولو : اننى مهتم بامر هؤلاء الصيادين يا بورث،
وقد تصيبني متاعب بسبب ذلك . هل تظن اننى أهملت أمرهم؟
انك تعلم اننى أجبرت رجال البحرية ليدعوهم يخرجون للصيد .
ولمجرد الرغبة في المكايدة قال بورث كلمة أسفلها فيما بعد،
قال : بلا شك فقد تدخل جهنم من أجل هذا . وقد يعيدونك
الى الولايات المتحدة .

وقال الميجر جوبولو : لن يفعلوا ذلك . ليس فى مقدورهم .

وقال بورث: ولماذا لا يستطيعون ؟ اننى سمعت عن فتى فى المطارات أعيد للولايات المتحدة لمجرد أنه سكر .

وقال الميجر جوبولو : لا يمكن يا بورث فانه مطلوب منا عمل كثير هنا . تصور لو أنهم اتوا برجل سوء فى هذه المدينة . تصور لو أنهم جاءوا بمصيبة كذلك الرجل الموجود بمدينة بونتباسو ؟ وقال بورث : انك لست معجبا بنفسك . أم أنت بها من المعجبين ؟ وقال الميجر : أقفل فمك يا بورث . انك فى بعض الأحيان ثقيل الدم .

وفى الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والعشرين جاء زيتو يجرى الى مطعم بسكاتورى ليخبر الميجر انهم أخرجوا الجرس من الصندوق وقال : ان شكله ظريف ! وحاول الميجر ان يقنع بورث بالذهاب معه لمشاهدة الجرس ، ولكن بورث حاب : ان طبق الباذنجان هذا لذيذ لا أدرى كيف أستطيع هجره .

وانصرف الميجر مع زيتو . وفى الطريق قال له الحاجب : قبل ان أنسى يا مستر ميجر ، ان الموظفين يريدون مقابلتك فى الساعة الرابعة . وقالوا ان الامر هام ! وظهر القلق على وجه الميجر : هل الامر يتعلق بالصيادين يا زيتو ؟

وأجاب زيتو : اننى مجرد حاجب ، والموظفون لا يفضون الى بما فى سريرتهم يا مستر ميجر . ثم فكر زيتو فيما قاله وأضاف : لا انها ليست بخصوص الصيادين .

وقال الميجر : أرى ان الحاجب له طريقه للوصول الى مافى سريرة الموظفين ؟ واكتفى زيتو بالابتسام .

وكان قد تجمع عدد غير قليل من الناس يتفرون على ما يصنعه المهندسون بالجرس . كان أحدهم كاكوباردو العجوز ، ولأنه كان قد حدث الميجر فى اول أيام الغزو ، فقد انتدب نفسه مشرفا على العمل بالرغم من أنه ليس بين المهندسين واحد يتكلم الإيطالية !

وبمجرد ان حضر الميجر قال كاكوباردو : لقد أرسلت فى طلب

« جوزو » الذى يدق الجرس فى كنيسة سان انجيللو . انه يستطيع أن يعرف من مجرد النظر ما اذا كان الجرس حسن الرنين . فاذا لم يكن كذلك فطبعاً سوف ترده .

وكان الجرس موضوعاً على الرصيف فى المكان الذى وضعه فيه رجال البحرية ، وقد أزعج الصندوق من حوله جزءاً جزءاً ، وكان من البرونز ، وقد صقله رجال الكوريللى حتى أصبح يلمع كالذهب فى اشعة شمس الظهيرة . وكان منقوشاً على أحد جوانبه : « الباخرة الأمريكية كوريللى - أمريكا وإيطاليا » وعندما نظر كاكوباردو الميجريقرأ النقش سأله : من هو هذا الرجل كوريللى وكيف حفر اسمه على جرس مدينة ادانو ؟ وقال الميجر : سأبين لك ذلك عندما يعلق الجرس . ثم أخذ قطعة حجر من الطريق وضرب بها جوانب الجرس ، ولكن الصوت الذى انبعث كان بطبيعة الحال صوتاً مكتوماً ، لان الجرس كان موضوعاً على الخشب . وقال الميجر : انى لاتسأل كيف سيكون رنينه ؟

وقال كاكوباردو : ان جوزو سيعرف . وجاء ضارب الجرس أخيراً . لقد كان يكاد يبلغ سن كاكوباردو . وبدت يده وساعده قوية جداً ، أما باقى جسمه فبدا عليه العجز .

واستدعاه كاكوباردو فى وسط الجموع وطلب منه أن يفحص الجرس . وطاف الرجل العجوز حول الجرس وهو ينظر اليه ، ثم انحنى عليه ومرر راحة يده على الجرس من أعلاه لأسفله . ثم وقف وبدأ كما لو كان يقرأ ما كتب عليه مرة بعد أخرى . ونظر مرة واحدة الى أعلى برج الساعة حيث كان بعض المهندسين يثبتون بكرة . وطلب أن يقلب سافل الجرس عالياً ، ولما أماله بعض المهندسين على جنبه نظر الى باطنه

وأخيراً وقف وهز كتفيه وقال : انه جرس طيب . وسر كاكوباردو وقال للميجر : اننى أعرف جوزو العجوز . انه لا يغالى ، وعندما يقول عن شيء أنه طيب يعنى انه ممتاز . سيكون الجرس حسناً جداً .

وقال الميجر : اننى جد سعيد .

وبعد الساعة الواحدة بيضع دقائق ذهب الميجر جوبولو لمنزله ليأخذ قسطاً من الراحة ، وأراد أن يوفر جزءاً من نشاطه

من أجل الحفلة - ولكنه أراد أيضا أن يفكر قليلا في الخطبة التي سيلقيها عن الجرس .

واستلقى على سريره ، وكانت آراؤه في أول الامر مختلطة لانه كان متأثرا . ولكن أفكاره بدأت تتبلور تدريجيا ، ووردت الخواطر مستقيمة في تفكير الميجر جوبولو .

فكر في أنه سيقول بعض كلمات عن ازالة الجرس القديم ، ثم يروى كيف أن أهل ادانو جعلوه يهتم بأن يأتيهم بجرس جديد ، ثم بضع كلمات عن كوريللي وماعمله من أجل الايطاليين في الحرب الماضية ، ثم عن معنى ما نقش على الجرس «امريكا وايطاليا» في هذا الوقت ، ثم ربما قال شيئا عن جرس الحرية الامريكى . . فقد اهتم الميجر بموضوعه بعد أن كان قد ذكره في حديثه في ذلك اليوم ، وكتب الى حكومة الحلفاء العسكرية يستفسر ، واصبح يستطيع الآن أن يشرح مصدر الشرح . وسيدكر لاهالى ادانو ماهو منقوش على جرس الحرية من كلمات ليفيتيكوس : « أعلن الحرية في جميع انحاء الارض ولجميع سكانها » .

وبعد ذلك أصبح كل شيء واضحا في تفكير فيكتور جوبولو . عرف تماما ما سيقوله . وجاءته الالفاظ جميلة وصادقة عن الجرس الجديد ومغزاه لادانو ، وعمما إرادته هو - فيكتور جوبولو - لاهالى ادانو . كانت الكلمات واضحة وصادقة بما لا مزيد عليه .

وفى الساعة الثانية وصل حامل البريد على دراجة بخارية من فيشينامارى . وراه الجاويش بورث من مكتبه يقذف كيس البريد على الرصيف أمام السراى . . والبريد - حتى البريد الرسمى - حادث هام . ولذلك انتقل الجاويش بورث الى السراى لمكتب الميجر جوبولو يستطلع الامر .

لم يكن بالبريد شيء يخص الجاويش بورث . ولكن مادام الميجر جوبولو ليس في مكتبه فقد قرر الجاويش بورث ان يدس انفه ليرى ماهو حادث . ووصل في بحثه الى ورقة مرسلة للميجر جوبولو فقراها

« ١ مصرح لك بأن تتركب أول وسيلة للنقل الى قيادة افريغيا بالجزائر عن طريق فيشينامارى .

٢ - ستحدد لك القيادة في افريقيا عملك الجديد .
٣ - السبب في هذا الامر انك بالنسبة لرقم (١) أصدرت
عامدا وبدون استشارة امرائنا اوامر صادرة من الجنرال
مارفن ، الغرفة ٤٩ بخصوص دخول عربات البغال مدينة
ادانو . .

وكان الامر موفعا عليه من الجنرال مارفن .
وطوى الحاويش بورث الامر ووضعه في جيبه وترك المبنى .
وذهب مباشرة الى مقر فسادة الفاشستين وقال الكاتبن
بيرفيس : لقد اعفى الميجر من وظيفته .
وقال الكاتبن : باللعنة ماذا تعنى ؟
- اعنى ماقلته . لقد صدرانيه الامر بالعودة الى الجزائر
حيث يحدد له عمل جديد .
- ولماذا لعنة الله عليهم !

- التمرد . الغاء امر صادر من مارفن بخصوص عربات
البغال . اظن ان ذلك بعد حادث البغل الذي امر الجنرال
بإطلاق الرصاص عليه خارج المدينة !

وكان الكاتبن بيرفيس قد نسي كل مايتعلق بالتقرير الذي
ارسله للفرقة . والان وقد تذكر لم يجد في نفسه الشجاعة لان
يقول شيئا .

وقال بورث : انها مذكرة لعينة . ان الميجر بدا يحقق
اشياء نافعة لهذه المدينة .

وقال الكاتبن بيرفيس : حقانه بدا فعلا .
واخترق تفكيره شك . ان هذا الرجل بورث له طريقة لمعرفة
الكثير مما هو حادث :

- كيف عرفت ان الامر صدر ياغفائه ؟
وقال بورث : لقد رايت الامر على مكتب الميجر .
- وهل تعلم الميجر بالموضوع ؟
- لا . الميجر ليس في مكتبه . والامر في جيبى ، ولن اذكر
له شيئا عنه الا بعد الحفلة .

وعاد الميجر الى مكتبه في نحو الرابعة الا ربعا . وفحص البريد
وتفرغ بضع دقائق في اعداد تقرير للكلونيل سورتوريوس .
وفي الساعة الرابعة وصل زيتو وقال : هل تقابل الموظفين
الآن ؟ .

- نعم يازيتو .

ودخل الموظفون وفي مقدمتهم بللانكا العجوز كالعتاد ، ثم الباقون جرجانو وساييتا ودارباوروتوندو والسيدة كارمينا سبيناتو وتاليا في . ولاحظ المجر من وجوههم المرحاة أنه لن يسمع مالا يسر في هذا الاجتماع . وتكلم بللانكا العجوز : عندنا شيء نريد أن نقدمه للميستر ميجر .

ولم يستطع داربا أن يمنع نفسه من أن يقول بصوته الضخم : نريد أن نقدم للميستر ميجر ميستر ميجر آخر ! .. « وضحك الآخرون بصوت غير مسموع » .

وقال بللانكا : احضره يازيتو من فضلك ! وخرج زيتو . وعاد الحاجب أولا يحمل حامل رسم . ثم خرج ثانية ، وعاد يحمل صورة المجر من تصوير لوجاكونو .

وكان رسما جميلا حقا . ولما رآه المجر وقف مسرورا ، وقال : اذن هذا هو السبب في انكم اردتم أخذ صورة فوتوغرافية لى .

ووقف جرجانو كما لو كان يحمل آلة تصوير في يده ، ويضغط المفتاح باليد الأخرى ، مقلدا صوت سباتافورو العجوز الأحش :

— ايها الشاب انك مغرور . كل ماتريده هو أن تنظر في وجهك ! .

وفي هذه المرة عندما ضحكوا جميعا ضحك المجر معهم . وسلك بللانكا العجوز حنجرته ، وسكت الآخرون كما لو

كانوا قدامروا بالسكوت ، وقال العمدة : لقد بقيت سنين طويلة مجرد موثق في مدينة ادانو هذه ، ولم أخطب أبدا ، ولا أريد أن أبدا خطبة الآن . ولكن هؤلاء طلبوا منى أن قول لك يامستر ميجر ان هذه الصورة قد لا تكون أحسن صورة صورناها ، ومع أنها متقنة جدا بالنسبة للوجاكونو ، ولكن حتى لو كانت رديئة جدا لقدمنها لك لاننا نريد أن نبين لك

وتلعم بللانكا العجوز . وسلك زوره مرة أخرى وقال ان ما طلب منى هؤلاء أن اقونه لك هو أن هذه الصورة

ثم نظر العمدة العجوز الى الآخرين مستنجدا . وتقدم جرجانو الى الامام وقال : ان ما يريد الميستر عمدة أن يقوله هو أن العينين — « ورسم جرجانو دائرتين بأصابعه ووضعهما امام عينيه هو » — ان عيني الصورة صريحتان !

- وأشار داريا الى الصورة وقال : وفي الذقن قوة .
وأمسك جرجانو بأحدى أذنيه وأشار الى أذن في الصورة
ثم قال : ان الاذنين تدلان على الهمة .
- وقال سايتا منظم الشوارع مارا رأسه بالموافقة : ان ثبوت
الشعر يدل على النظافة .
- وأخيرا تذكر بللانكا العجوز جزءا مما أراد قوله وقال : وفي
الحدود حرارة محببة .
- ثم قال جرجانو - وفي هذه المرة بقيت يدها بجانبه بغير حراك
دليلا على الاخلاص التام : وتستطيع أن ترى في هذه
الصورة أن هذا الرجل يريد أن يكون كل ساكن في مدينة ادانوا
سعيدا ! وهذا شيء عظيم في وجه انسان .
- وقال بللانكا العجوز : لقد رسم لوجاكونو صورة ناجحة ،
وأردنا أن نقدمها لك .
- وقال الميجر جوبولو : أشكركم . ذلك كل ما قاله لان موظفى
أدانوا أسرعوا بالخروج . وعلى كل حال فلم يستطع الميجر جوبولو
أن يقول أكثر من ذلك .
- وقبل الخامسة بقليل حضر الجاويش المكلف بفرقة المهندسين
التي كانت تعمل في رفع الجرس وقال : وجدنا صعوبة ياسيدى !
- أية صعوبة ؟
- ان العمود الخشب الذى يجب وضع هذا الجرس فيه كبير
جدا ولا بد من احضار غيره .
- وهل سيمكنكم الحصول على غيره ؟
- بلا شك ولكن ذلك سيعطلنا نوعا .
- مافرة التعطيل ؟
- الامر متعلق بالزمن الذى تحتاجه للعثور على عمود جديد .
ولا أدرى العمل المطلوب لرفعه عندما نعر عليه . كل شيء حسب
التيسير .
- أيمكنكم أن تنتهوا هذا المساء ؟
- لاأظن . ولكننا نستطيع بسهولة أن نضعه غدا صباحا .
- وبعد الساعة بقليل خرج جرجانو ليجمع الاطفال الذين
يصيحون طالبين كراملة . وأخذ معه روتوندو وجندين آخرين
وسيارة البوليس ، وساروا في شارع امبرتو الاول . وهناك

وجدوا الاطفال متجمعين يتصايحون امام كل سيارة تمر : « كراميلا .. كراميلا .. »

وحتى عندما مرت سيارة البوليس مخترقة الشارع لتميل الى شارع فافيمي كان الاطفال يصيحون : « كراميلا .. كراميلا .. »

ونبتت فكرة فى رأس جرجانو حين وجدهم يهتفون لسيارة البوليس .

فلما وصلت السيارة لآخر الشارع ثم استدارت وعادت على الجانب الذى فيه الاطفال ، طلب جرجانو من الذين معه أن يفتحوا الحاجز الخلفى للسيارة وينزلوا السلم ، ووقف بجوار السيارة من الخلف وصاح : تعالوا يا أطفال لتأخذوا الكراميلة التى تطلبونها .

وخاف الاطفال أول الامر من سيارة البوليس وارتدوا للخلف ، ولكن جرجانو أشار بيديه وصاح : تعالوا يا أطفال لتأخذوا أنصبة كاملة من الحلوى . من يأت الاول يأخذ نصيبه فى البداية . تعالوا مع جرجانو لعيد الكراميلا . وتشكك الاطفال . ونظر كل منهم للآخر وتساءلوا !

وأخذ جرجانو يشير بيده ، كمن يضع طعاما فى فمه : أكوام من الكراميلا . تعالوا أطفال الى النزعة . لاصياح ولا تسابق . وانما استمتع بالاكل . تعالوا مع جرجانو . وكان أول من اقتنع ابن أحد الموظفين ، سايتا ، وقال للقريبين منه من الاطفال : اننى ذاهب . ان جرجانو صديق أبى وسيقدم لنا الكراميلة دون تعب . وجرى نحو سيارة البوليس . وصاح جرجانو : انك ولد طيب . ولد مؤدب . ولد ماهر . سأعطيك أكبر كمية من الكراميلة لانك أول من حضر .

وبدا هجوم عام على سيارة البوليس . وبينما يتسابق الاطفال على سلم السيارة كانوا يصيحون : كراميلا . كراميلا . وعندئذ صاح أحد الاطفال : فكروا فى أصدقائكم الذين ليسوا هنا الآن . انهم سيكرهون تغييبهم . وقال واحد من الاطفال الآخرين : ان من الاثرة ألا ندعوهم معنا .

وقال ثالث : ان انطونينو ابن هوجو ليس هنا . سأذهب لادعوه . وجرى . وقال آخر : انتظرونى ، سأذهب لاحضر رومانو .

وقال آخر : أين أوكيبنتي ذوالشعر الأحمر ؟ انتظروا حتى أحضره .

وقال اربا الصغير الغبي غباوة أبيه : يوجد شخص ليس هنا كان يجب أن يكون معنا . من هو ؟ من هو ؟

وبينما الاطفال قد جروا ليستدعوا أصدقاءهم قال جرجانو : أسرعوا . أسرعوا . ليس لدينا وقت . ان هناك حفلة للكبار كما أن للاطفال حفلة . وليس لدى جرجانو وقت كاف للكراميلة ! أسرعوا . .

وقال اربا الصغير : من هو الشخص الذي أفكر فيه ؟ من هو الطفل الذي يلبس بزة زرقاء ؟

وبدا الذين جروا من الاطفال يعودون ومعهم أصدقاؤهم . وكان جميع الاطفال الذين بالسيارة يهتفون : « كراميلا . كراميلا ! » ولكن اربا الصغير استمر يهتم متسائلا عن الطفل المنسى .

وعندما وصل آخر الذين جروا صاح اربا : كاك . كاك . لقد تذكرت انه كاكوباردو « ونزل من السلم جريا وقال : انتظروني . ان كاكوباردو هو الذي يلبس البزة الزرقاء . انه

يمسك يدي . لابد من أن أحضره معي . انتظروا ، وجرى اربا الصغير . وبدأ جرجانو يفقد الصبر ، فقد بلغت الساعة السابعة والدقيقة العشرين بيكأحدث الساعة السابعة والنصف ، لبداية الحفلة ، وقد بدأ الناس يسرون في الشارع متجهين الى منزل كواتروتشي .

وجرى اربا حتى قطع مجموعتين من المنازل ثم تذكر انه لا يعرف أين يقيم كاكوباردو . وصار يصيح مناديا عليه ، ولكن أحدا لم يجب . وبحث عن شخص يسأله ، ولكن لم يكن أحد ظاهرا على مدى النظر . وعلى ذلك قصد الى منزله ليسأل أباه .

ولم يستطع جرجانو أن ينتظرا أكثر مما فعل فأمر السيارة بالمسير .

وأخذ الاطفال يهتفون معا : كراميلا . . كراميلا . وسارت السيارة الى نقطة البوليس حيث لم يكن يوجد بها أي نوع من الحلوى .

ووقفت لجنة الاستقبال عند مدخل صالة منزل كواتروتشي . وكان بلانكا العجوز موجودا بحكم منصبه ، وكاكوباردو

الوحيد بين سكان ادانو الذي يملك فراكا ، وهو الوحيد الذي يرتديها ان كان يملكها ، وكرا كسي البدين الذي دل مظهره على أنه شرب أكثر من زجاجة الثلاث من النبيذ التي اعتادها في الغداء ، والسيدة كارملينا سبيناتو التي تمثل بقدر استطاعتها الجنس اللطيف ، ولوجا كونو ذو الرأس البيض الذي ضم الى اللجنة للصورة الجميلة التي رسمها . وكان متغيبا من اللجنة توماسينو احتراماً للذكرى الصيادين الذين توفوا ، وجرجانو الذي كان مشغولاً بعمل آخر .

وكان قد مضى على بداية الحفلة عشر دقائق ولم يحضر ضيف الشرف ، وكان جيوزيبي انزى رتب كل شيء يتنقل في الخلف ويردد من وقت لآخر : سوف يحضر المستر ميجر من دقيقة لآخرى .

وكان المستر ميجر في هذه الاثناء قد مر على تينا ، وكانت تينا ككل النساء لم تستعد أو لم ترد أن تعترف بأنها استعدت . وأخيراً في الساعة الثامنة الاربعاً خرجت تينا من غرفتها . وكانت مرتدية بلوزة رقيقة بيضاء وقميصاً كبيراً من التافتا الحمراء .

وسرعان ما تبدد ضيق الميجر جوبولو بالانتظار وقال : ان هذا يستأهل الانتظار طول الليل !

وانحنى تينا في كثير من الجذو جمعت أطراف قميصها بيدها اليسرى ، ومدت يدها اليمنى لتمسك بذراع الميجر جوبولو ، فقدمه لها ، وانصرف الاثنان بعد أن أرسلتا بتحياتهما الى توماسينو وروزا التي كانت تتصبب عرقاً من مساعدتها بفتيها على ارتداء ملابسهما .

وفي طريقهما في شارع امبرتو الاول سمعا طفلين يبكيان . وكانا لا يكادان يريان في الناحية لآخرى من الشارع بسبب الظلام . فاخترقا الشارع صوبهما . ووجدا ابن اربا الصغير في أسفله ، وحفيد كاكوباردو في ملابس الجميلة يجلسان ، وقد احتضن كل منهما أخاه وهما يبكيان بحرارة .

وانحنى الميجر جوبولو وأخذي ربت على ظهرهما ويسألها عن سبب البكاء .

وتمكن اربا الصغير خلال دموعه أن يقول : لقد تأخرنا ولم نتمكن من حضور حفلة الكراميل .

وقال كاكوباردو الصغير : تأخرنا .

وقال اربا الصغير : عن نزهة الكراميل . اننا الوحيدان اللذان
تركنا .

وقال كاكوباردو الصغير : أما لاطفال الآخرون جميعا . .
وتذكر الميجر جوبولو ما كان قد كلف جرجانو عمله وقال :
لابأس . سنأخذكما بدل ذلك الى حفلة للكبار . تعالوا معنا .
وهكذا سار الميجر وتينا صوب منزل كواتروتشي ، وقد أمسك
كل منهما بيد طفل .

وعندما دخلا المنزل قال كراكسى البدين الذى امتلأت معدته
بنبيذ كثير وقد تقدم نحوهما : يارباه . انه رب أسرة . . طفلان
جميلان . وزوجة جميلة . وأخذ يلاطف الطفلين . . .
ثم بهت حينما تبين أن « الزوجة » هى تينا وقال : مستر
ميجر . لماذا لم تقل لنا ؟

ولكن بقية اللجنة كانت قد وصلت فى هذه الاثناء ، وأغرقت
دهشة كراكسى بين التحيات والتسليمات . وأخذ كاكوباردو
العجوز حفيده الحسن البزة ، والمهلهل البزة اربا الصغير
بيديهما ، واستبقاهما معه طوال الليلة .

وافتتحت الحفلة ناجحة من وجهة نظر كل واحد . كان سكان
المدينة مغتبطين جدا اذ لم يستمتعوا بحفلة كهذه من
سنوات . وكان جيوزيبى منظم الحفلة يتلقى التهاني باستمرار .
وكانت الشمبانيا بكمية كافية توافق الكابتن بيرفيس ، وكثيرة
لدرجة لم تمكنه من مضايقة أى فتاة جميلة . واستمر كراكسى
محتفظا بانتعاشته ، بينما شرب فاتا الكسول ثلاث كوؤوس ثم
انتقل الى غرفة خالية واستغرق فى نوم عميق .

أما أفرونتى بيترو العريجي ذو الصوت العالى فقد شجع على
أن يرفع عقيرته بغناء لتسلية الضيوف . أما لورا صوفيا
الفتاة التى لم تتزوج فقد أنفردت بالكابتن بيرفيس بعد أن
تمكننت منه الحمر وأخذت تمطره بقبلاتها . ورقص نيقولو وحبيبته
سويا . أما الجاويش بورث الذى كان معكر المزاج فى أول الحفلة
فقد ظل ملازما لوعاء النبيذ لا يبارحه ، ثم سرعان مازق مزاجه
وبدأ يهاجم كراكسى البدين .

ونجح الميجر جوبولو وتينا منذ بداية الحفلة فى أن ينسحبا
الى شرفة بالمنزل .

وسألته تينا : هل أنت سعيد ؟
وقال الميجر جوبولو : لقد سألتنى هذا السؤال آخر مرة ،
وكنا فى شرفة أيضا !

وقالت تينا : لقد كان ذلك لمجرد تبادل الحديث .
وقال الميجر : وماذا تفعلين الآن ؟

- اننى أسألك : هل أنت سعيد ؟ وأدارت تينا وجهها المضى
فى وسط الليل البهيم نحو وجه الميجر .
وقال الميجر : أن من بين جميع الايام السعيدة التى قضيتها
فى ادانو كان هذا اليوم - ولا يزال - أسعدها
- قل لى اذن ما وعدت فى ذلك اليوم أن تقوله لى .

- قولى لى أولا هل تبيننت حقيقة شعورك نحو جورجيو ؟
وقالت تينا : لا ! وحسب الميجر جوبولو أن فى صوته
وطريقة قولها الكثير من الدلال ، ولكنها أضافت : لن أعرف ذلك
الآن .

وسألها : ولم لا ؟
فابتعدت قليلا ثم قالت بصوت يكاد لا يسمع : لاننى أعرف
مدى شعورى بالنسبة لك .

فأقترب منها ومن غير أن يلمسها قال : ذلك كل ما أردت
أن أقوله لك يا تينا . اننى أعرف شعورى أنا أيضا . اننى
مغرم بك . ولا أحس بالسعادة الا حين أكون بجوارك .

وأراد أن يقبلها ولكنها قالت : ما هذا ؟
وقال هو : أى شىء ؟

وقالت هى : الضجة ، ألا تسمعها ؟
وكانت فى الجو دمدمة مضى عليها وقت ، ولكن ضوضاء الحفلة
الداخلية غطت عليها ، ولكن الدمدمة الخارجية أخذت تتزايد .
وقال هو : ماذا تظنينها تكون ؟

وقالت : لم يسبق لى أن أسمع شيئا مثلها ؟
وأشار هو الى اليسار وقال : انها هناك . ماذا فى هذا
الاتجاه ؟

وقالت هى : هناك كنيسة اليتامى ومنزل كاكوباردو ومخبز
زابولا ونقطة البوليس . . .

وأخذ الميجر جوبولو يد تينا وقال : نقطة البوليس ؟ تعالى
معى .

وسارا نحو نقطة البوليس ، وبدأت الضوضاء تنمو فى نسيم

الليل . ولما اقتربا وضحت أنها عويل وبكاء عدد كبير من الاطفال .
ولما دخل الميجر وتينا رأوا الاطفال يصيحون غاضبين ويبكون
من جرجانو . وكان واقفا على سلم الدور الثاني والعرق يتصبب
من وجهه ، وهو يحاول بالاشارات وبأعلى صوته أن يشرح لهم لماذا
لا توجد كراميلة فى نقطة البوليس ! ولكن الاطفال لم يغفروا
له زلته بالكذب عليهم .

واخترق الميجر جوبولو طريقه بين الاطفال ، وصعد ثلاث أو أربع
درجات من السلم ، ولما رأى الاطفال الميجر أخذوا يهتفون ويضربون
الارض بأرجلهم طالبين « كراميلا . كراميلا » .

ورفع الميجر يده وهدأت الضجة تدريجيا . ولما شمل السكون
الجميع فيما عدا نهضة الاطفال بعد البكاء ، ألقى الميجر آخر
خطاب عام خطبه فى أذانو . لم يكن الميجر يعلم أن ذلك سيكون
آخر خطاب له ، ولكنه جعله خطابا بسيطا وواضحا ، ولو أنه أعد
خطاب وداع لما كان أفضل مما قال .
قال :

« يا أطفال أذانو ، آسف لا توجد كراميلا هنا . »

(وصرخ الاطفال احتجاجا .)

« وأخشى أن تكونوا قد خدعتم . ولكننى متأكد ان جرجانو
لم يرذ بكم سوءا حين قال لكم انكم ستجدون كراميلا هنا . انه
قال ذلك ليضمن مجيئكم ، لأن لديه أمرا هاما يريد أن يفضى به
اليكم . »

« هل تسمح لى أن أقول لهم يا جرجانو ؟ (وعز جرجانو
رأسه موافقا) . »

« هل تعرفون ابن كالفى الصغير الذى صدمته سيارة مساء
أمس ؟ أتعرفون لماذا صدمته السيارة ؟ وأنت يا بسكوالى يا ابن
جيجانتى ، هل تعرف لماذا صدم ؟ »

(وكان بسكوالى ابن جيجانتى أحد الفريق الذى رتب كيف يحرم
الآخرين من الكراميلا . فهز رأسه .)

« وأنت يا ماسيمو بن زوبى ، هل تعرف لماذا ؟ »

(وهز هذا الطفل ، وهو واحد من الفريق ، رأسه أيضا .)
وارتفعت يد صغيرة ، وقال صاحبها بصوت صغير : أنا عرف .

— ماذا تعرف يا ماركو ؟

وقال ماركو ابن مانيفاتورا أحد الاطفال الصغار الذين
خدعوا : لانه كان محبا لنفسه .

— ان ماركو على حق • ان ماركو يقول ان كالفى قتل لانه كان يحب نفسه • انك يا ماركو بحق تماما • هذا ما اراد جرجانو ان يقوله لكم • أليس كذلك يا جرجانو ؟
لم يكن ذلك ما كان يفكر فيه جرجانو فى الواقع ، ولكنه هن رأسه موافقا ••

— ان الطفل كالفانى ما كان ليقتل لو لم يكن هو وباسكوالى وماسيمو محبين لأنفسهم • لو أنهم لم يحاولوا أن ينفردوا بكل شيء ، ما كان ليصاب ، وكان ينال كل واحد مقدارا من الحلوى •

ونحن الآن لا نريد أن يقتل أطفال فى هذه المدينة • أنكم لا تريدون ان يقتل أحد أصدقائكم • أنا متأكد من ذلك • واليكم الطريقة التى سنتولى بها من الآن فصاعدا موضوع الحلوى • سأعين لجنة ترصد أسماء جميع الاطفال الذين يريدون كراميلة ، وتعين اللجنة غلامين يجمعان الحلوى كل مساء أثناء اختراق السيارات للمدينة • وسيستمر الجنود الامريكان فى اللقاء الحلوى • ذلك ما أنا واثق منه • وسيضع الطفلان المكلفان بالجمع الحلوى فى صندوق ، وتتولى اللجنة توزيعها بالترتيب بحسب أسماء أصحاب الطلبات • ومعنى ذلك أن يصيب كل واحد نصيب ولا يضر أحد • وقد اخترت للجنة ماركو وبسكوالى •

وصاح صوت : ان بسكوالى يحب نفسه وسيضع بعض الحلوى فى جيبه بدلا من وضعها فى الصندوق •
وقال الميجر : لا أظنه يفعل • اذن بسكوالى وماسيمو واليودورو واليزابيتا •

ثم أضاف الميجر : أريد أن تكونوا سعداء بعضكم مع بعض • أريد أن يحصل كل واحد منكم على أكبر كمية يرغب فيها من غير أن يضر الآخرين • ذلك ما أريده لمدينة أدانو •
وانصرف الميجر وأخذ جرجانو الاطفال لمنازلهم •
وفى طريق العودة الى الحفلة قالت تينا : الآن عرفت لماذا أجبك •

وقال الميجر جوبولو : لماذا ؟
— بسبب ما تريده لأدانو • من أجل هذا يحبك كل فرد هنا • لا يوجد أحد هنا يتحدث عنك بكلمة سوء ، وهذا أمر نادر فى أدانو •

وقال : وأنا أعرف لماذا أميل اليك •
— لماذا ؟

- لسبب أناني صرف .. لا نك تجعلينني أحس كما لو كنت
شخصا مهما .

وقالت تينا : ولكنك كذلك ! وكان في صوتها سخرية خفيفة
لا تكاد تحس .

ولما عاد الميجر وتينا الى الحفلة قابلهما جيوزيبى وهو يهز يديه
وتدل ملامح وجهه على الحيرة الشديدة . أين كنت يا مستر ميجر ؟
لقد بحثت عنكما فى جميع الشرفات وجميع غرف النوم .
وقال الميجر : لم يكن ذلك ضروريا يا جيوزيبى ، ما الذى
تريده ؟

- ان كراكسى البدين وجاويشك سيئان التصرف ، ولا
أدرى ماذا أعمل لهما ؟

وقال الميجر لتينا : أنتظرى هنا ، وذهب مع جيوزيبى للبحث
عن كراكسى وبورث .

لقد كانا فى المكتبة ، ولم يكن بالغرفة غيرهما ، وكانا سكرانين
أشد السكر .

وغضب الميجر أشد الغضب مما يفعلان ، وعنفهما أشد
تعنيف ...

وفجأة بدأ بورث يبكى .

وقال الميجر جوبولو بحدة : راقب نفسك يا بورث .

ولما تكلم الميجر بهذه الحدة انسحب كراكسى من الغرفة وتبعه
جيوزيبى ليراقبه .

وأصبح الميجر وبورث وحدهما . وتكلم الميجر ثانية :

- أحسن التصرف يا بورث أوعد لمنزلك .

لقد سكر بورث بسبب الميجر . لم يسبق له أن سكر بملابسه
الرسمية . ولما تكلم الميجر بهذه الحدة ، ثبتت عند بورث رغبة
المقاومة التى جعلته يكاد الناس وبضحك على الجادين منهم ويظامن
من غلواء المتكبرين ، وأجاب بغلظة :

- انك لم تعد قادرا على أن تأمرنى !

وقال الميجر ضاغطا كلمة «جاويش» ضغطا واضحا :

- يا جاويز بورث !
وقال بورث : لا توجه الى الحديث بوصفى جاويزا ، فليس لك
سلطة الامر على ؟

- ان سلطتى هي هي ، واذا أسأت التصرف ...
وقال بورث : لا .. ليست سلطتك هي هي . وليس لك أى
سلطة على أى انسان فى أدانو .

- انك سكران يا بورث . أحسن سلوكك .
- يا جوبولو لقد فصلت . لقد أعفوك من عملك . انك لم
تعد شيئاً هنا .

وبدا بورث يبكى مرة ثانية .
- أننى لا أدرى يا بورث عما تتحدث ، ولكننى ...
واتجه الميجر الى بورث وأمسك بذراعه يحاول اخراجه .
وقال بورث : ارفع يديك عنى ! . ثم
ثم مد يده الى جيبه وأخرج
ورقة وقال : خذ . اقرأ هذه .

وقرأ الميجر جوبولو أمر استدعائه من أدانو ، وسأل :
من أين حصلت على هذه ؟
وكان بورث لا يزال يبكى : من على مكتبك . لقد أردت ألا
تراها الا بعد الحفلة .

وخرج الميجر من الغرفة .
وضبط الميجر أعصابه حتى نهاية السهرة ، حتى اللحظة التى
ودع فيها تينا داخل باب منزلها ثم أحاطها بذراعيه وقال لها بحزن
عميق :

اننى حزين جدا .
وتراجعت تينا ونظرت الى وجهه ، ثم وضعت يديها على كتفيه
وقالت : ولكننى حسبتك سعيدا جدا ؟
وتمالك الميجر أعصابه وقال : أننى سعيد . أنا آسف .
وسألت تينا : أمن أجل زوجتك ؟
- لا يا تينا . لا شئ ! وفى حرم سلم منزلها قبلها بحنان .
وقال : الى الملتقى .

وارتعدت وقالت : ما الامر ؟ لماذا قلت الى الملتقى بدلا من ليلتك
سعيدة ؟ ماذا حدث ؟
- لا شئ . ياتينا . مساء الخير ياتينا ...

الفصل السابع والثلاثون

كان النهار قد انتصف قبل أن يرتب الميجر جوبولو أوراقه ويصدر تعليماته الأخيرة . وكان الجاويش بورث هو الذي ساعده فى ترتيب كل شيء . ولم يجد الكابتن بيرفيس فى نفسه الشجاعة الكافية ليظهر طوال الصباح .

وطلب الميجر جازاج السيارات وطلب سيارة تقبله الى فيشينامارى . ثم قال لبورث: لا أريد أن أودع أحدا يا بورث، فلا أدري ان كنت أستطيع أن أفعل .

ولم يحاول بورث أن يكاد فى هذا الصباح ، وقال : انى آسف لما حدث ليلة أمس . لقد كانت نياتى حسنة . لقد أردت أن تمضى وقتا سعيدا طوال الحفلة .

- أعرف ذلك .

وفكر الميجر لحظة ثم قال : حاول يا بورث أن تساعد من يحل محلى أيا كان ، ليؤدى عملا نافعا لأدانو .

وقال بورث : أننى أخشى أن يكون ذلك المسطول من مونتباسو . وقال الميجر : أرجو ألا يكون هو . ان أدانو فى حاجة لرجل معقول .

وقال بورث : ان أدانو تحتاجك يا ميجر .

وقال الميجر : لقد فات أوان الحديث فى هذا . انى لا أعجب كيف عرف مارفن بموضوع العربات ؟

واتجهت ظنون بورث الى بيرفيس ولكنه قال : ربما مر أحد رجاله بالمدينة أو علم بوسيلة من هذا القبيل .

وقال الميجر : ربما . أظن ذلك .

وجاءت سيارة الجيب . وحتى لا يثير الشكوك ذهب بورث الى منزل الميجر ، أحضر أمتعته ، وكانت لاتعدو مرتبة سرير ملفوفة وبدخلها ملابسه .

ولما عادت سيارة الجيب الى السراى حمل الميجر جوبولو صورته تحت ابطه ونزل السلم فركب السيارة . وهز يد بورث ولكنه لم يقل له وداعا .

وكان فاتا الكسول واقفا على الرصيف وقال لمجرد تبادل الحديث : اذهب لاي جهة ؟

وحاول الميجر أن يبدو مرحا وقال :
مسافة قريبة . كيف كارملينا هذا الصباح ؟

وقال فاتا الكسول : انها تطهودة ارايب .
وقال السائق : الى أين يا ميجر ؟

ولم يشأ الميجر أن يقول : الى فيشينا ماري ، حتى لا يسمعه فاتا أو أحد سواه ، أو لعله لم يستطع أن يقولها ، فأشار الى طريق فيتوريو امانويل ، وقال : من هنا .

وبعد ترك المدينة بحوالى أربعة أميال استوقف الميجر السائق :
قف دقيقة من فضلك !

وأوقف السائق سيارة الجيب .

وقال الميجر : اصغ . هل تسمع شيئا ؟

لقد كان صوتا جميلا فى نسيم الصيف . انه صوت جميل ،
ولا شك أنه قوى اذ أمكن سماعه على هذا البعد .

وقال السائق : مجرد جرس . لابد أن الساعة الآن الحادية عشرة .

وقال الميجر : نعم !!

ونظر من فوق التلؤلؤ الى البحر ، والى اليوم الصافى صفاء صوت الجرس نفسه ، ولكن أفكار الميجر كانت مضطربة قلقا ، ولم يكن يستطيع أن يفكر بوضوح .

وقال : نعم . الساعة الحادية عشرة .

انتهى

1250

الجدوى، حسن

تحية الاجراس

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01030688

American University of Beirut



General Library

